

تاريخ الدعوة الإسلامية

الدكتور مصطفى غالب

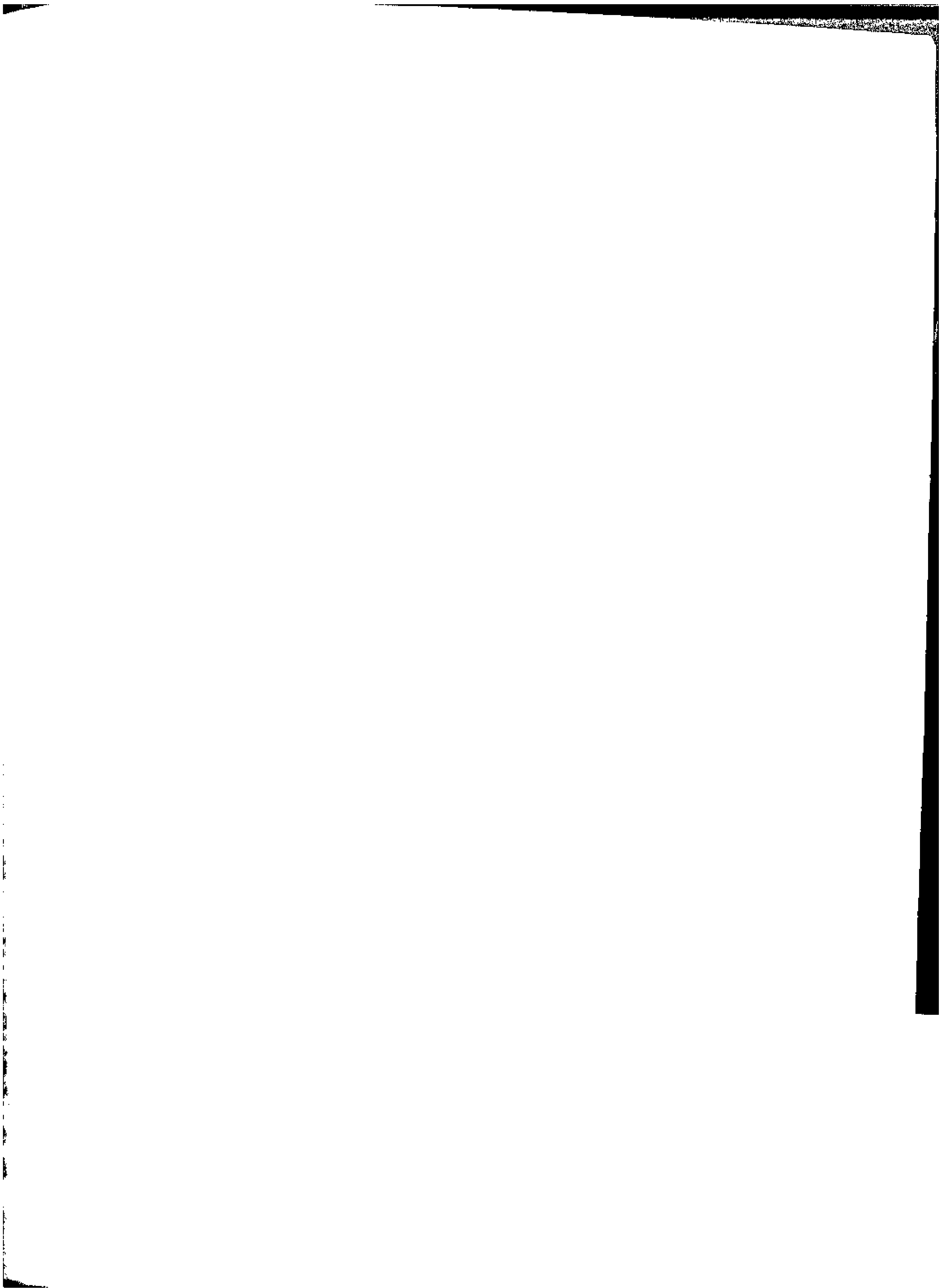


دار الإبتداء



Bibliotheca Alexandrina

0008465



١٥٠

الدكتور مصطفى غالب

١٩٩٩

الهيئة العامة لكتاب
رقم النشر: ٩٩٩
رقم التسجيل: ١١١١

ناتج الدعوة الإسلامية

دار الأنجلو
للطباعة والنشر والتوزيع
Alexandria

دار الأنجلو
للطباعة والنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

دار الأندلس - بيروت، لبنان

هاتف: ٣١٧١٦٢ - ٣١٦٤٠١ - ص.ب: ٤٥٥٣ - تللكس: ٢٣٦٨٣

مقدمة

الطبعة الثانية

عجلة الزمن تدور باستمرار وبدون توقف ، فتطوي بدورها ما لا يواكب سيرها التصاعدي ، الناهد الى التجديد والابتكار ، والخلق والابداع . فالتأخر عن مواكبة التطور الحضاري ، والانبعاث العلمي ، ونمو الفكر الحر الطليق ، يحول دون تحقيق الاماني التي تعتلج في النفوس الهادفة الى الرشف من منهل العلم والمعرفة .

وانطلاقاً من هذا المبدأ القائم على التجديد والتطور والابتكار ، وعملاً بما قاله عماد الدين : (اني رأيت انه لا يكتب انسان كتاباً في يومه الا قال في غده : لو غير هذا لكان احسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان افضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر) .
حشدنا جهودنا وامكانياتنا العلمية ، حتى تأتي الطبعة الثانية مستوفية للغرض المطلوب . فمكننا على دراسة طائفة من المخطوطات التي تبث في تاريخ الدعوة الاسماعيلية وعقائدها ، وفك ما غمض من رموزها .

والجدير بالملاحظة ان الدراسات الاسماعيلية في عصرنا الحاضر قد تطورت تطوراً ملحوظاً ، فظهرت الى عالم الوجود ابحاث جديدة مبنية على اساس علمي مكين ، ومستقاة من مصادر تاريخية حديثة ، ومن مخطوطات علمية قيمة ظلت رديحاً من الزمن تعيش في ظل التقيية والكتان .

ولقد اقلت تلك الدراسات شعاعاً من نور على الحركة الاسماعيلية التي ظلت تعمل بالستر والتخفي زهاء قرن من الزمن حتى ظهور الائمة المستورين في سعيه ، والقرامطة في البحرين .

والحركة الاسماعيلية كما يستدل من تاريخها الطويل ، كانت في بادىء الامر تدل على إحدى الفرق الشيعية المعتدلة . ثم صارت تهدف الى تكوين مجتمع اسماعيلي قوي عماده التقية والتخفي ، ونظامه يقوم على الاخاء والمودة ، وربط الفرد بالمجتمع بوشائج قوية من المحبة والاخلاص ، والايان العميق .

ولقد قام الاسماعيليون بدور خطير في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في بلدان مختلفة من العالم الاسلامي . فأسسوا أكثر من دولة لهم في البلدان الاسلامية ، فكانت لهم دولة في المغرب أسسها الامام عبيدالله المهدي سنة ٢٩٦ هـ . وامتدت الى صقلية وجنوب ايطاليا ، وكان لهم دولة في اليمن على يد (ابن حوشب) سنة ٢٧٠ هـ . وكان لهم دولة في مصر على يد القائد (جوهر الصقلي) سنة ٣٥٨ هـ . وأسسوا دولة (الموت النزارية) في بلاد فارس على يد (الحسن بن الصباح) سنة ٤٨٣ هـ . وكان لهم دولة في البحرين على يد (الحسين الاهوازي ، وحمدان بن الاشعث ، وابي سعيد الجنسابي ، وزكرويه بن مهرويه) سنة ٢٧٠ هـ . وكانت لهم قلاعهم وحصونهم المستقلة المنيعة في بلاد الشام .

ومن الطبيعي ان يكون لهذه الدول أثر فعال في مجرى الحوادث في العصور الوسطى ، حيث اندلعت بينهم وبين الدول المجاورة لهم وحق البعيدة عنهم حروب عنيفة قاسية امتدت وتشعبت حتى شملت العالم الاسلامي كله .

وكانت للاسماعيلية عقيدة دينية خاصة دانوا الله بها ، وعملوا على نشرها في العالم بالدعاية المنظمة تنظيمًا عجيبًا ، مما أدى إلى تقويض أركان الدولة العباسية والمجتمع العباسي القائم على أساس التعاليم السطحية الجامدة التي لا أثر فيها للانطلاق والتحرر والعلم والفلسفة .

ومرد ذلك النجاح المدهش الذي حققته الحركة الاسماعيلية إلى المنظمات السرية التي بذروا بذورها ، وإلى الايمان العميق الذي كان يهيب بالاتباع لتضحية أنفسهم في سبيل المصلحة العامة ، وتنفيذاً لأوامر رؤسائهم الروحيين الذين كانوا يثقون بهم ثقة عمياء مطلقة ، ويؤمنون بهم الايمان الذي لا يتزعزع .

ولما شمرت الخلافة العباسية التي كانت تجوز مرحلة اضطراب وضعف ، ويتعاقب في خلافتها عدة من الخلفاء الضعاف ، أقول شعرت بخطر الحركة الاسماعيلية الداهم فوكلت رؤساء الدين وأصحاب المقالات الدينية بالطعن بمبادئ هذه الحركة والافتراء عليها بالأكاذيب ، ولينعتوا مذهبها ونظامها بالاباحية والزندقة والاحاد والخروج عن الدين الاسلامي الحنيف ، ويطعنوا أيضاً بنسب أئمة هذه الحركة ويحرضوا عليهم أصحاب الجهل وأهل التعصب . فاضطر الاسماعيلية أن يخفوا دعوتهم ، وأن ينشروها بطرق خفية شأن كل دين أو فكر اجتماعي ممنوع مضطهد . وبنفس الوقت هب علماء الاسماعيلية لدفع الاتهامات التي ألصقت بهم ، وردوا على مخالفيهم ، فكان

النقاش بين الاسماعيلية وأعدائهم سبباً في ثروة فكرية شغلت الأوساط العلمية زمناً طويلاً .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية رأى دعاة الاسماعيلية الأول أمثال ميمون القداح وولده عبدالله ، وأبي الفضل الجدني ، والحسين الأهوازي ، وحمدان بن الأشعث ، وأبي سعيد الجنابي ، وزكرويه بن مهرويه ، وابن حوشب ، وأبي عبدالله الشيعي ، وغيرهم من الحجج والابواب ، بعدان درسوا شؤون الدولة العباسية درساً دقيقاً وافياً ، أنه لا بد للقضاء عليها وعلى نظامها الاجتماعي المبني على توحيد مصالح أصحاب الأراضي والثروة من وضع مخطط سري للدعوة يهدف إلى بذور بذور الاشتراكية بين جميع الامم والطبقات والأديان ، المؤلفة منها الدولة العباسية ، وكذلك لا بد من جمع كلمة المستائين من حكم الخلفاء ، وصهرهم في بوتقة الحركة الاسماعيلية . وبالفعل نجحوا نجاحاً كبيراً لم يسبقهم اليه غيرهم من أصحاب المذاهب والدعوات السياسية والاجتماعية . وباعتقادي أنه لن يقوم في المستقبل حزب أو مذهب أو حركة تضم تحت لوائها ممثلي جميع الامم وجميع الاحزاب السياسية والاجتماعية من أصحاب اليمين إلى أصحاب اليسار ، ويمثلي جميع المذاهب والاديان ، من أهل السنة والشيعة المعتدلين .

صحيح أن كلمة (اسماعيلية) كانت في بادئ الأمر تدل على إحدى الفرق الشيعية المعتدلة ، ولكنها صارت مع تطور الزمن حركة عقلية تدل على أصحاب مذاهب دينية مختلفة ، وأحزاب سياسية واجتماعية متعددة وآراء فلسفية وعلمية متنوعة .

ويستدل من المصادر التاريخية على أن هذه الحركة نشأت نشأتها الأولى سنة ١٢٨ هـ . في العراق وفارس كحركة دينية أوجدها الامام جعفر الصادق (ص) ولكن علماء الدعوة يذكرون بأن دعوتهم قديمة

قدم هذا الوجود ، ولديهم ما يثبت هذا القول علمياً وعقائدياً ، وهناك قسم آخر منهم يذهب الى القول بأن الدعوة الاسماعيلية بدأت منذ عهد اسماعيل بن ابراهيم الخليل ، ويستدلون على ذلك بنظريات فلسفية وعقائدية .

وبالرغم من اننا نملك اكثر من مصدر يؤيد هذه الأقوال ، إلا أننا نذهب مع أكثر الباحثين والمؤرخين ، فنبدأ ببحث هذه الدعوة منذ عهد الامام اسماعيل بن جعفر الصادق وما بعده فنقول :

كان الامام جعفر الصادق قد نص على أن يتولى الامامة من بعده ولده الأكبر اسماعيل ، ولكن قيل ان اسماعيل توفي في حياة أبيه . وبذلك انتقلت الامامة إلى ابنه محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، لأن الامامة حسب المفهوم الشيعي لا تكون إلا في الاعقاب ، ولا تنتقل من أخ إلى أخيه ، ولا يمكن للنص أن يرجع القهقري ، فلا بد من أن تنتقل الامامة من أب إلى ابن ، وذلك تأويلاً للآية القرآنية الكريمة (وجعلها كلمة باقية في عقبه) بأن معنى الكلمة هي الامامة وأنها لا بد ان تكون في الأعقاب دون غيرهم . وهناك أحاديث كثيرة يرويها الاسماعيلية تتعلق بهذا الموضوع ويستدلون بها على حق اسماعيل الشرعي بالامامة بعد أبيه ، سنستعرضها حيناً نتكلم عن اسماعيل بن جعفر الصادق في غير هذا المكان .

وبما ان اسماعيل هو صاحب الحق الشرعي في الامامة بعد أن نص أبوه على ذلك ، فلا بد إذن أن تتسلسل الامامة في ابنه محمد بن اسماعيل ، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية كان محمد بن اسماعيل أكبر سناً من عمه موسى الكاظم ، فبناء على التقليد الشيعي القديم الذي يوجب تسلسل

الامامة في أكبر أهل البيت سناً ، كان محمد بن اسماعيل إذن أحق من عمه موسى الكاظم بالامامة .

ولكن أغلب مؤرخي الاسماعيلية يقولون ان قصة وفاة اسماعيل بن جعفر في حياة أبيه كانت قصة أراد بها الامام جعفر الصادق التمويه والتغطية على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور الذي كان يطارده أئمة الشيعة في كل مكان وتحت كل شمس . فخاف جعفر الصادق على ابنه وخليفته اسماعيل ، فادعى موته ، وأتى بشهود كتبوا المحضر إلى الخليفة العباسي الذي أظهر سروراً وارتياحاً لوفاة اسماعيل الذي كان إليه أمر امامة الشيعة . ثم شوهد اسماعيل بعد ذلك في البصرة وفي بعض البلدان الفارسية . وعلى هذا الأساس لم تسقط الامامة عن اسماعيل بالموت قبل أبيه لأنه مات بعد أبيه .

غير ان مؤرخي الشيعة والسنة يذهبون في اسماعيل مذهباً مختلفاً كل الاختلاف عما يقوله الاسماعيلية ، فيقولون أن اسماعيل لم يكن يصلح للامامة ، كونه كان يشرب الخمر ، وأنه كان من أصدقاء أبي الخطاب الملقب الذي تبرأ منه الامام الصادق ، وان الصادق أظهر فرحة لموت ابنه اسماعيل . وعلى هذه الصورة اضطربت الروايات ، واختلفت الأقاويل في أمر اسماعيل ، فأصبح أكثر الباحثين لا يدرون حقيقة أمره ، ولا سيما أنه الامام الذي تنسب إليه الحركة الاسماعيلية التي قامت بدور هام في تاريخ العالم الاسلامي منذ ظهورها .

ومن الثابت تاريخياً ان محمد بن اسماعيل بعد ان تسلم الامامة بعد أبيه ، قد اشتد عليه الضغط العباسي فخرج من المدينة إلى الكوفة مصحوباً بأخيه علي وحدوده وأبوابه ، وظل فيها مدة من الزمن مستتراً عن العيون ، حتى ولد له ولد أسماه عبدالله . ومن الكوفة سار إلى

الري واستتر عند أحد دعاة السريين المسمى اسحق بن عباس . وكان ابن عباس هذا يشغل منصب حاكم الري من قبل الرشيد العباسي . وبعد مدة من الزمن قال له اسحق : يا مولاي قد علمت اليوم انهم بثوا العيون في كل مكان واني اصبحت اخشى عليك منهم ، فان رأيت ان تخرج الى الجبل وتعتصم بقلعة نهاوند عند خادمك الداعي منصور بن حوشب فان ذلك انسب ، وعلى كل حال الأمر لك يا مولاي . فعمل بإشارته ، وبعد ذهابه قبض العباسيون على اسحق وعذبوه عذاباً شديداً وقيل انه مات تحت السياط دون ان يدل على مكان الامام ، ولما لم يعرف هرون الرشيد عن امر الامام شيئاً ، أرسل قائده عمداً الخراساني ومعه جيش كبير من الكرد والأتراك للتفتيش عنه ثم القبض عليه ، فلما وصل الى نهاوند دخل مسجدها ، فرأى الامام محمداً بن اسماعيل مسنداً ظهره الى الحراب وبين يديه رجلان يعلمها اصول الدين ، فلم يتألك القائد نفسه حينما رأى عظمته وجلال هيئته من ان ينحني امامه ويقبل يديه ثم اشار اليه بضرورة سفره من نهاوند لأن الرشيد يريد ان يقبض عليه اذا ما ظل فيها ، فخرج منها تحت جناح الظلام مستتراً إلى بلدة سابور ، ومنها الى فرغانة ، وبعد ذلك الى عسكر مكرم ، وهناك على مشهد من دعاة نص على امامة ولده عبدالله ولقبه بأحمد الوفي ، وبعد ذلك بزمان قليل توفي الى رحمة الله سنة ١٦٩ هـ .

واستلم الامامة من بعده ولده عبدالله ، وازداد في القسوة والحفاء ، وخرج سراً من عسكر مكرم الى زمهر ومنها الى الديلم وهناك تزوج بامرأة من الأسرة العلوية يسمى والدما الأمير علي الهمداني فرزق منها ولداً أسماه أحمد ولقبه محمد التقي .

هذه لحظة خاطفة قدمناها عن هذه الفترة التاريخية من حياة اربعة من الأئمة المستورين ، على أن نستعرض فيما بعد تاريخ حياة كل امام على انفراد .

ولا بد لنا ونحن نقرب من نهاية هذه المقدمة من أن نأتي على ذكر ما قيل بأن الحركة الاسماعيلية هي التي صدعت المجتمع الاسلامي وهزت دعائمه الى الأعماق ، واصابته في روحه وخلاله ، وأدت بمضي الزمن الى تفككه واضمحلاله ، وانتشاره الى دويلات ومجتمعات ضعيفة ، متنابهة استطاع الغرب ان يخضعها تباعاً الى نفوذه ، واستعماره ، وان هذه الحركة هي التي عجلت بالقضاء على هذا المجتمع وهذا السلطان ، ونقلته من عهد الى عهد ومن طور الى طور .

ان هذا القول الذي جاء به مجدد السيد عارف تامر في مقدمة كتاب (عبرية الفاطميين^(١)) فيه كثير من التجني والافتراء والتناقض . فالحركة الاسماعيلية كما هو معروف لدى الباحثين المنصفين ، من غربيين وشرقيين ، وحتى باعتراف المتعصبين من خصوم هذه الحركة ، كانت تهدف الى إعادة بناء المجتمع الاسلامي في العصر العباسي على أسس علمية اشتراكية منبثقة من صميم الدين الاسلامي الحنيف ، على انقراض مجتمع فاسد يسوده الفقر المدقع ، والنظام الاقطاعي القائم على أساس الظلم والاستعباد ، والتعصب والتفرقة . فهل يعتبر بنظر الاستاذ عارف تامر تطهير مثل هذا المجتمع الفاسد بما آل اليه ، تفككاً واضمحلالاً ؟ وتسهيلاً لاختضاعه للاستعمار ؟ ان هذا القول لا يصدر عن انسان يملك ذرة من قواه العقلية ، إذ كيف يحيز لنفسه ان يقول في غير هذا المكان وبنفس

المقدمة المنوه عنها : (ويرجع لنجاح الدعوة الاسماعيلية في بدء ظهورها الى عوامل مختلفة منها ضعف العالم الاسلامي عامة والدولة العباسية خاصة وتحاذل الطوائف الشيعية الأخرى ... ثم الصبر والهدوء والكتان والصدق والثقة بالنفس .. وقد كانت تشتمل على برنامج سياسي واجتماعي منظم يقوم على العقل والتسامح والمساواة الاجتماعية والاقتصادية .. الخ (١) .) ولو أردنا ان نورد كل ما قاله عارف تامر في كتاباته عن الاسماعيلية والتي يظهر فيها التناقض جلياً واضحاً لاستغرق ذلك صفحات وصفحات .. ونحن نستغرب كيف يتجرأ انسان يدعي انه في طليعة الاسماعيلية ، فيقطعن اهل وعشيرته من الظهر ، عندما يلصق فيهم هذه التهمة الخطيرة البشعة . وخلاصتها ان الاسماعيلية هم الذين تعاونوا مع الاستعمار وسهلوا له مهمة السيطرة على البلدان الاسلامية ، بعد أن قاموا بتفكيك المجتمع الاسلامي .

ولا بد لنا ونحن نستعرض بعض ما كتبه عارف تامر من أن نشير إلى الكتابين اللذين أصدرهما مؤخراً وهما : (الامامة في الاسلام والقرامطة) لما أورد فيهما من الأراجيف والخرافات المضحكة ، مع علمنا الأكيد بأنه هو نفسه يعرف حقيقة تلك الأراجيف والأساطير التي لا تتفق مع المنطق والتاريخ ، وتتناقض أشد التناقض ، ولكنه مجاه بها لبنان ما يرضي شهرته ، ويشبع نهمه ، معتمداً في ذلك على المبدأ الذي يقول : (خالف تعرف) .

ولقد شحن هذين الكتابين بكل ما هو غريب ومخالف لجميع من سبقه من الكتاب والمؤرخين . وان كنا نعجب لمن يخلق مثل هذه الروايات ، ويفتعل النصوص ، ويحرف الوثائق ، نقول والألم يهصر قلوبنا ،

ويحز في أعماقنا ، أن الغاية لدى هذا الانسان تبرز الواسطة ، حتى ولو كانت الواسطة تقويض دعائم الدين ، وطعنه في الصميم ، والاجهاز على آخر . رمق من الضمير الانساني . علماً بأنه لو أردنا الرجوع إلى أي كتاب من الكتب التي حققها أو ألفها عارف ثامر ، نجد نقيض ما قال في الآخر . فهو يأتي بالفكرة أو المصدر أو الرأي في هذا الكتاب ، في حين أنه يخالفه أشد المخالفة وينقضه أبشع النقض في كتاب آخر ، ذلك لأن كل كتاب سار فيه حسب الهوى الجارف . ولو شئنا أن نضرب الأمثال ، لطال بنا السير ، ولخرجنا عن دائرة هذه المقدمة . وفي نهاية المطاف نرى أن ننوه في هذه الطبعة الجديدة من كتاب تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، كما سبق ونوهنا في كثير من كتاباتنا اننا ننشد من وراء ما نكتب الحقيقة ، والحقيقة وحدها هي التي ننهد إلى كشفها وإظهارها إلى عالم الوجود والتداول ، سواء رضي زيد أو سخط عمرو . وإذا كانت لنا ثمة آراء أو تعليقات ، فهي نتيجة البحث والنقد الحر الشريف البناء ، فنحن لم نتأثر بأية نزعة مذهبية أو طائفية . والله نسأل أن يسدد خطى العاملين لما فيه خير العروبة والاسلام .

مقدمة

الطبعة الأولى

إذا ما أردنا تعريف الاسماعيلية بإيجاز وتقديمها باختصار ووصفها بمختلف الأوصاف فلا نقول عنها إلا أنها العقيدة الفلسفية التي تتطور مع الزمن وتتكيف معه أو بلغة أصح هي انطلاق الفكر الوثاب في هذا العالم اللامتناهي أو وثوب الروح نحو مثلها الأعلى . فهي والحالة هذه بحر عميق من العلوم وقبس مضيء من النور ، وشعاع مشع ينير ظلمات عالم الكون والفساد ، فمن هذا البحر اغترفنا قطرة ، ومن هذا الشعاع النوراني أخذنا قبساً فجئنا نقدمه للعالم بهذا الكتاب الوجيز ليكون سبيلاً لكل من يرغب الاطلاع على الحقيقة المثلى والهدف المنشود .

لقد ادعى أكثر العلماء الذين بحثوا في تاريخ الدعوة الاسماعيلية بأن انتشارها كان بعد انتقال الامام جعفر الصادق (ع) سنة ١٤٨ هجرية عندما انقسمت شيعته إلى فرق عديدة اكبرها وأشهرها فرقتان : الفرقة الأولى وقد جعلت الامامة في موسى الكاظم بن جعفر الصادق والأئمة من نسله حتى الامام الثاني عشر الحسن العسكري الذي اشتهر بغيبته بالسرداب

بسامرا سنة ٢٦٠ هـ ، وتعرف هذه الفرقة بالشيعية الاثني عشرية ، أما الفرقة الثانية فقد جعلت الامامة في اسماعيل بن الامام جعفر الصادق ثم في ابنه محمد بن اسماعيل وولده من بعده فعرفت بالاسماعيلية وهي موضوع بحثنا ، وقد اختلف المؤرخون في معرفة تاريخ بدء الدعوة الاسماعيلية وانقسموا إلى فرق وأحزاب أخذ كل منهم برأي ، وأيد كل فريق منهم آراءه بمزاعم وأقوال ادعى صحتها وصدقها إلا أن بعض المستشرقين الذين نقبوا وبحثوا في تاريخ الدعوة وقد تمكنوا من الحصول على بعض المعلومات القيمة ، والتي كان لها أثر كبير في إظهار الدعوة الاسماعيلية بظهرها الحقيقي لا سيما بعد أن حاول اكثر المؤلفين المأجورين وضمها بشق الاشاعات واتهامها بمختلف التهم ، وخاصة في العصور العباسية وما بعدها .

وبفضل تلك الدراسات التاريخية الهامة التي قامت بها فئة من المستشرقين الثقات الضليعين في علوم الاسماعيلية وعلى رأسهم أو بالأحرى في مقدمتهم العلامة والمستشرق الروسي الكبير البروفسور (ايثانوف) عضو جمعية الدراسات الاسلامية في (بومباي) والبروفسور ماسينيون المستشرق الفرنسي الشهير والدكتور شتروطمان الألماني عميد معهد الدراسات الشرقية بجامعة هامبورغ ومسيو هنري كوريان استاذ الفلسفة الاسلامية في جامعة طهران والمستشرق الانكليزي برنارد لويس وغيرهم .

وحتى سنة ١٩٢٢ ميلادية كانت المكتبات في جميع انحاء العالم فقيرة بالكتب الاسماعيلية إلى أن قام المستشرق الألماني (براون) بإنشاء مكتبة اسماعيلية ضخمة غايتها اظهار الآثار العلمية لطائفة كانت في مقدمة الطوائف الاسلامية من الناحية الفكرية والفلسفية والعلمية ، ولم يقتصر نشاط اولئك المستشرقين عند حدود التأليف والنشر بل تعداه الى

الدعاية المنظمة سواء في المجلات العلمية الكبرى (مجلة المتحف الاسيوية) التي كانت تصدرها اكااديمية العلوم الروسية في مدينة (بطرسبورغ) ويشرف على تحريرها (ايثانوف) وبعض المستشرقين الروس أمثال (سامينوف) وغيره ممن دمجوا المقالات الطوال عن العقيدة الاسماعيلية. ففي سنة ١٩١٨ كتب المستشرق سامينوف مقالة الأول عن الدعوة الاسماعيلية وقد جمعه بنفسه ونشره في مجلته كما نقل إلى اللغة الانكليزية عدداً ضخماً من الكتب الاسماعيلية المؤلفة باللغتين (الكجرادية والأوردية) . والفيلسوف الوحيد الذي كتب عن الاسماعيلية وترجمت كتبه إلى لغات عديدة هو (ميان بهائي ولي عبد الحسن) وهو من مدينة (احمد آباد) ولقد أحدثت تلك الدراسات الهامة ثورة فكرية وانقلاباً عكسياً في العالم الاسلامي حيث قام عدد من الاساتذة المصريين بنشر الآثار الاسماعيلية في العهد الفاطمية ، فأخرجوا إلى حيز الوجود عدداً لا بأس به من الكتب القيمة وأظهروا للعالم أجمع آثار هذه الفرقة ، كما اتفقوا جميعاً على أن الاسماعيلية طائفة قد تجنى عليها التاريخ . وقد قال جمال الدين الافغاني عندما سئل عن العقيدة الاسماعيلية وفلسفتها : لولا الفلسفة الاسماعيلية لما عرف الشرق الفلسفة إذ أن الفلاسفة الاسماعيليين لا يقلون نضجاً وعبقرية عن فلاسفة الغرب (١) .

ونعود الآن لنذكر بعض تجني التاريخ وما ارتكبه بعض المؤرخين تلبية لرغبة الخلفاء العباسيين الذين كان قد تعذر عليهم إيقاف تيار الدعوة الاسماعيلية الذي كاد أن يحرفهم ودولتهم فשמروا بأنهم إن لم يبذلوا جهوداً جبارة لإيقاف ذلك التيار الجارف فسيقضي عليهم وستهوي دولتهم إلى

(١) مجلة المعرفة الوثقى .

الحضيض ، لذلك أعلنوها حرباً شعواء على الاسماعيلية ولم يجدوا طريقاً للقضاء عليها إلا وسلكوها باذلين في سبيل ذلك الاموال الطائلة حيث خصصوا أكثرها للكتاب والمؤرخين الذين أخذوا على عاتقهم تشويه التاريخ الاسماعيلي عن طريق الطعن في نسب الأئمة الاسماعيلية والقدح بعقائدهم ورميها بسهام من الاحاد والزندقة والفجور .

ولقد أحدثت تلك المؤلفات رد فعل في جميع الأوساط قوت شوكة الاسماعيليين وثبتت أقدامهم وعظم مركزهم فدوتخوا الملوك وفتحوا الحصون والتفلاخ وتعمقوا في العلوم فنبح منهم فلاسفة وشعراء وأدباء وحكماء ومؤرخين كان لهم شأن عظيم في عالم التأليف حيث نهضت على كواهلهم شتى العلوم في الاسلام .

ولقد تعمق دعاة الاسماعيلية في دراسة علوم ما وراء الطبيعة (١) فخلقوا فيها إلى القمة وتوصلوا إلى معرفة جوهر النفس فبحثوا عن مبدئها قبل تعلقها بالجسد وعن معادها بعد فراق الجسد وعن كيفية ثواب المحسنين في عالم الأرواح وعن جزاء المسيئين في دار الآخرة ، وبحثوا أيضاً في مراتب الموجودات وقابلوها فلسفياً مع مراتب الدعوة والدين فخرجوا منها بقاعدة ثابتة على الشكل التالي :

- ١ - العقل الأول يساوي الناطق يساوي رتبة التنزيل .
- ٢ - العقل الثاني = الأساس = رتبة التأويل
- ٣ - العقل الثالث = الامام = رتبة الأمر
- ٤ - العقل الرابع = الباب = رتبة فصل الخطاب

(١) أمثال ابن حوشب ، والكرماني ، وناصر خسرو ، وابن سينا ، والفارابي ، والنخشي ، واخوان الصفا ، والرازي ، والسجستاني وغيرهم .

- ٥ - العقل الخامس = الحجة = رتبة الحكم فيما كان حقاً أو باطلاً
 ٦ - العقل السادس = داعي البلاغ = رتبة الاحتجاج وتعريف المعاد
 ٧ - العقل السابع = الداعي المطلق = تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية
 ٨ - العقل الثامن = الداعي المحدود = تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرة
 ٩ - العقل التاسع = المأذون المطلق = رتبة أخذ العهد والميثاق
 ١٠ - العقل العاشر = المأذون المحدود = المكاسر أو المكالب ليجذب الأنفس
 المستجيبة .

كما أنهم وجهوا اهتمامهم في الطبيعة ومنها علم العدد فقسموه على أربع مراتب
 الآحاد والعشرات والمئات والآلاف وقالوا بأن هذا التقسيم ليس أمراً ضرورياً
 لازماً لطبيعة العدد مثل كونه أزواجاً وأفراداً وصحيحاً وكسوراً بعضها
 تحت بعض لكنه أمر وضعي لتكون الأمور العددية مطابقة لمراتب الأمور
 الطبيعية وذلك أن الأمور الطبيعية أكثرها جعلها الباري مربعات مثل
 الطبائع الأربعة : الحرارة والرطوبة واليبوسة ، ومثل الأركان الأربعة
 التي هي الدم والبلغم والمرتان المرة الصفراء والمرة السوداء ، ومثل الأزمان
 الأربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء ، ومثل الجهات الأربع
 والرياح الأربعة الصبا والدبور والجنوب والشمال ، والأتاد الأربعة الطالع
 والضارب ووقد السماء ووقد الأرض ، والمكونات الأربعة التي هي المعادن
 والنبات والحيوان والإنسان ، وعلى هذا المثال وجدت أكثر الأمور الطبيعية
 مربعات ، وإنما صارت هذه الأمور الطبيعية مربعات بعناية الباري جل
 ثناؤه واقتضاء حكمته لتكون مراتب الأمور الطبيعية مطابقة للامور الروحانية
 التي هي فوق الأمور الطبيعية وهي التي ليست بأجسام وذلك أن الأشياء
 التي فوق الطبيعة على أربع مراتب : أولها الباري جل جلاله ثم دونه
 العقل الكلي الفعال ثم دونه النفس الكلية ثم دونه الهوى الأولى وكل

هذه ليست بأجسام^(١) وان نسبة الباري من الموجودات كنسبة الواحد من العدد ونسبة العقل فيها كنسبة الاثنين من العدد ونسبة النفس من الموجودات كنسبة الثلاثة من العدد ونسبة الهيولى الاولى كنسبة الأربعة . واعلم بان العدد كله آحاده وعشرات ومئاته وألوفه أو ما زاد بالغاً ما بلغ فأصلها كلها من الواحد الى الأربعة (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) ومنها ينشأ وهي أصل فيها كلها ، فإذا أضيف واحد إلى أربعة كانت خمسة وان أضيف اثنان الى أربعة كانت ستة وان أضيف ثلاثة الى أربعة كانت سبعة وعلى هذا المثال سائر الاعداد من العشرات والمئات والألوف وما زاد بالغاً ما بلغ .

إذن فالواحد علة العدد كما ان الباري علة الموجودات وموجدتها ومرتبها ومتقنها ومكملها كما ان الواحد موحد في جميع الاعداد ومحيط بها ، كذلك ان الباري شاهد على كل شيء موجود ومحيط به ، وكما ان كل واحد يعطي اسمه لكل عدد ومقدار ، كذلك الباري أعطى الوجود لكل موجود وكما ان من تكرار الواحد نشوء العدد وتزايد كذا من فيض الباري ووجوده نشأت الخلائق وتماها وكالها ، وكما أن الاثنين هو أول عدد نشأ من تكرار الواحد كذلك العقل هو أول موجود فاض من وجود الباري وكما ان الثلاثة ترتبت بعد الاثنين كذلك النفس ترتبت بعد العقل . إذن فالعقل هو أول موجود أوجده الباري تعالى وأبدعه من نور وحدانيته جوهر بسيط من غير واسطة ثم أوجد النفس الكلية بواسطة العقل الفعال ثم أوجد الهيولى وذلك ان العقل قد فاض من الباري وهو باق تام كامل ، والنفس جوهر روحانية فاضت من

(١) رسائل اخوان الصفا ج ١ ص (٢٧ - ٢٨) .

العقل وهي باقية تامة غير كاملة والهيولى الاول جوهر روحاني فاض من النفس وهو باق غير تام ولا كامل .

وقد نظمت الدعوة تنظيماً دقيقاً فقسم عميد الدعوة الذي هو الامام الدعوة الى اقسام عديدة كل قسم حسب مقدرته ، وضمن اختصاصه ، واتخذ شكل التقسيم شكلاً هندسياً هرمياً وكان بتنظيماته وفروعه مشابهاً لتقسيمات السنة الى فصول وأشهر ، وأيام وساعات .

فالامام هو بمركز السنة والاثني عشر شهراً مثل الدعوة الذين هم في اثني عشر جزيرة التي هي العرب ، الترك ، البربر ، الزنج ، الحبشة ، خزر ، الصين ، فارس ، الروم ، الهند ، السند ، الصقالبة . وهم رؤساء الدعوة فيها ولكل واحد من هؤلاء ثلاثون داعياً في قطره ولكل داع من هؤلاء اربعة وعشرون داعياً مأذوناً ومكسراً .

ولقد قوي سلطان الاسماعيلية وأصبح لهم ملك واسع الأرجاء عندما أسسوا دولتهم في المغرب ونقلوها الى مصر ، فأسس الأئمة دور العلم وشحنوها بالكتب العديدة لمختلف العلوم والفنون واداعوا عقائدهم على جمهور المستجيبين في مجالس الدعوة ، وجعلوا من قصورهم مكاناً خاصاً للدعوة عرف (بالمحول) .

ولقد تقدمت الثقافة تقدماً باهراً وخاصة الثقافة التي تتصل بالدعوة ونبغ شعراء ، وازدهرت العلوم الاسماعيلية في القرن الرابع الهجري فحث الامام العلماء على الاستزادة من العلم وكانت مكاتب الدعوة زاخرة بنفائس الكتب التي كانت يشرف عليها الامام بنفسه ويشجع العلماء ليجيبوا العلم الى الناس ، ولقد عني الاسماعيليون بالتنظيمات الادارية ورتبوها ترتيباً دقيقاً .

ووجهوا عنايتهم الى الطبقة العاملة ، فشجعوا الاتحاد بين الصناع وأهل

الحرف وأوجدوا نظام النقابات وسنوا قوانين إذا ما أردنا تحليلها فنقول عنها بأنها الاشتراكية العادلة المتوسطة ، فنتج عن ذلك أن عدداً كبيراً من الناس أخذوا يشتغلون لتقوية الدعوة الاسماعيلية والدعاية لها في السر والعلانية .

ولقد تعرضت الدعوة الاسماعيلية في تاريخها الطويل لكثير من النكبات والاضطهادات ويحدثنا ابن الأثير^(١) عن قتل الاسماعيلية بما وراء النهر فيقول في سنة ٤٣٦ هجرية أوقع (بغراخان) صاحب ما وراء النهر يجمع كثير من الاسماعيلية وكان سبب ذلك أن نفرأ منهم قصدوا ما وراء النهر ودعوا إلى طاعة المستنصر بالله الفاطمي صاحب مصر فتبعهم جموع كثير وظهروا مذاهب أنكرها أهل تلك البلاد وسمع ملكها (بغراخان) خبرهم وأراد الايقاع بهم فخاف أن يسلم منه بعض من أهل تلك البلاد فأظهر لبعضهم أنه يميل إليهم ويريد الدخول في مذهبهم وأعلمهم ذلك وأحضرهم مجالسه ولم يزل حتى علم جميع من اجابهم إلى مقاتلتهم فحينئذ قتل بحضرته منهم وكتب إلى سائر البلاد بقتل من فيها ففعل بهم ما أمر وسلمت تلك البلاد منهم .

ووضع السيف في الاسماعيلية^(٢) بحلب سنة ٥٠٧ أو ٥٠٨ هجرية كما وضع فيهم في دمشق سنة ٥٢٢ هجرية وكذلك كان حالهم في الباب من أعمال حلب . قال ابن جبير : قد أخذت أهل البلاد الحمية فتجمعوا من كل صوب عليهم ووضعوا السيوف فيهم فاستأصلوهم عن آخرهم .

وفي سنة ٦٥٧ هجرية أغار (سموط بن هولاكو التتري) على بلاد الشام فخرب كل شيء ودمرت جيوشه سلمية تدميراً كاملاً وقد التحم

(١) ابن الأثير ج ٩ ص ١٨٠ .

(٢) خطط الشام ج ١ ص ٢٩٩ و ج ٢ ص ٣ .

القتال في سهولها أكثر من مرة بين الغزاة والاسماعيليين واحتلت القلاع والمدن الاسماعيلية بكاملها واندثرت حضارتها التي تكونت في عهد الامام الاسماعيلي (الوفي أحمد) وبقيت خراباً حتى أمها الاسماعيليون وأشادوها خلال القرن الثالث عشر الهجري^(١) .

وخلاصة القول لقد أظهر الاسماعيليون في شتى العصور ومختلف البلدان انهم يستحقون بجدارة أن يكونوا أحفاداً لأولئك الأبطال الذين سطوروا في تاريخ الكفاح والمدنية والعلم آيات ناصعة زاخرة بالبذل والعطاء وكرم الخلق والحب والطاعة العمياء لامام زمانهم وناموس وجودهم المعصوم . وإن أمة هكذا شأنها جديرة بأن تتبوأ مكانتها تحت الشمس وأن تحيا حياة هنيئة عزيزة الجانب موفورة الكرامة .

أما الاسماعيلية في سورية وهي اللغز الذي صعب حله والباب الذي لم يثمر على مفتاحه فقد كانت ما بين عام ١٨١١ م حتى ١٩٥٠ م تنحبط تنحبطاً فوضوياً وتعرض إلى مسا يسمونه عهد الانقراض وكانت التفرقة مهيمنة على مجتمعهم حتى كادت أن تقودهم إلى العواقب الوخيمة لولا أن اتصلوا بالامام الحاضر الموجود سلطان محمد شاه علي ففتح لهم آفاقاً جديدة وسار فيهم خطوات سريعة نحو الرقي والمدنية ، وزودهم بتعاليم كان لها الأثر الفعّال في دعم نهضتهم الحديثة وتقوية مركزهم حتى أنه قال لهم اثناء زيارته لسورية (إذا عملتم بهذه التعليمات ستصبحون عماً قريب أعزاء أقوياء كهذا الجبل) .

ولا بد لنا من القول أن النهضة الاسماعيلية الحديثة قد شقت طريقها

(١) هذا ما جاء في كتاب الفلك الدار ص (٢٢٤) ونحن نعتقد بأن الاسماعيليين في سلمية لم يصيبهم شيء من قبل هولاء كدليل أن وزيره الخاص ومستشاره كان (الداعي الكبير نصير الدين الطوسي) وقد عقد مع الاسماعيلية معاهدات سلمية كانت ذات تأثير على مجرى العلاقات الودية ، ولا ندري من أين أتى شيخنا الكبير عبد الله بهذه المعلومات المشكوك بصحتها ،

نحو العلاء بعد أن خلعت عنها ثوب الكسل والتواكل وضربت بالتقاليد البالية التي حدت من حيويتها ونشاطها وجعلتها تتأخر عن باقي الأمم مدة من الزمن .

وكتابي هذا يجد ذاته بشكل مجموعة من الابحاث التاريخية الاسماعيلية ، ويتضمن أبحاث ومواضيع جلتها في الدعوة الاسماعيلية وتطوراتها منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر . وغايتي من تأليف هذا الكتاب أمران :

١ - خدمة العلم والحقيقة وتعريف القراء بالاسماعيليين . وما هي كنوز

دعوتهم المغلقة ؟ وما هي معتقداتهم الدينية ؟

٢ - حاجة النشء الاسماعيلي للاطلاع على تراثهم الجيد ليتنبهوا من

رقدتهم الطويلة ، وقد آن لهم ان يتحدوا ويتضامنوا ليتوصلوا

إلى ما فيه الخير والفلاح والسؤدد للوطن وللمروية جمعاء .

وبعد فهذا هو كتاب الدعوة الاسماعيلية أقدمه للقارئ الكريم

كخطوة أولى من الخطوات التي عزمنا أن نجتازها في المستقبل ، وانني على استعداد لتقبل كل نقد وتلميح ، كما أنه يسرني أن أرفع جزيل الشكر لجميع من شجعوني وآزروني في عملي هذا وسهلوا لي مهمتي الشاقة حتى جاء عملي كما ترى .

وأخص بالذكر منهم سيدي الوالد (مكي) الطائفة الاسماعيلية في

سوريا الذي نفح في العقيدة الاسماعيلية وحجب إليّ هذه الدراسات منذ

كنت صغيراً ، ووارث الدعوة الاسماعيلية في سوريا الأمير سليمان العلي

حفيد باني سلمية الحديثة ، وأعضاء المجلس الاسماعيلي الاعلى ، لتسهيلهم

مهمتي ووضع جميع الامكانيات والوثائق تحت تصرفي ، والاديب الصديق

اسماعيل الأمير سليمان لتوجيهاته وملاحظاته القيمة ، والشيخ سليمان الشيخ

ابراهيم من قرية (بري الشرقي) الذي وضع بين يدي جميع ما يملكه من مخطوطات نفيسة كانت أكبر عون لي في أبحاثي ، فإليهم جميعاً تقديري واحترامي ، وكل ما أرجوه هو أن أكون قد وفيت له حقه من الخدمة العلمية ، وأحمد الله أن وفقني لهذا وإن يهديني دائماً وأبداً لما فيه الخير والفلاح انه على كل شيء قدير ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل النبيين وآخر المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين .

سلبية في ٢٠ حزيران ١٩٥٣

مصطفى غالب

الفصل الاول

الدعوة الاسماعيلية وتنظيماتها السرية

من المشاكل المستعصية التي يصعب على المؤرخ والباحث حلها وسبر أغوارها وهو يستعرض تاريخ الدعوات الباطنية السرية وتنظيماتها ، حرص تلك الدعوات الشديد على كتمان وثائقهم ومصادرهم التي تنير الطريق لاستجلاء كنهها وكشف حقيقتها وما غمض من رموزها ومصطلحاتها . لذا جاءت الدراسات والابحاث حول هذه المشكلة العويصة ناقصة مبتورة ، ومبنية في اكثر الأحيان على الاستنتاجات والتخمينات الخيالية التي لا تستند الى الواقع بشيء . وما اكثر ما يعتمد هؤلاء على المصادر التي كتبها اعداء تلك الفرق ، وعلى الافتراءات التي لفقها الخصوم في العصور الغابرة ، حيث عمدوا الى تصنيف الروايات المشحونة بما يئليه التعصب والتزمت ، بقصد ابعاد الناس عن الانخراط في صفوف تلك المنظمات السرية الباطنية التي هزت أسس المجتمع الاسلامي في القرون الوسطى .

وبالرغم من كل هذه الملابسات فقد ظهر في هذا العصر علماء منصفين من غربيين وشرقيين كرسوا جميع امكانياتهم العلمية للتنقيب والبحث عن

الحقيقة ، وما عثم أن أمسكوا في أول الخيط الذي يقودهم إلى كنوز وأسرار تلك الدعوات التي أحدثت انقلاباً فكرياً واجتماعياً وسياسياً في مختلف أنحاء العالم الاسلامي . وفي طليعة هؤلاء العلماء المستشرق الروسي الكبير البرفسور (فلاديمير ايثنانوف) الذي نشر أكثر من مائة مؤلف عدا عن المقالات والابحاث الكثيرة التي كتبها في اكبر المجلات العلمية ، فرسمت هذه الدراسات والابحاث خطوطاً عريضة واضحة لتنظييات وتاريخ ومعتقدات الدعوة الاسماعيلية السرية في اكثر مراحلها . مما كان له التقدير والاعجاب لدى الاوساط العلمية العالمية .

ونحن الذين أخذنا على عاتقنا منذ أمد بعيد التنقيب والبحث حول تاريخ هذه الدعوة وتطورها العلمي والفكري والعقائدي ، نكشف عن أسرار أهم تنظييات الدعوة الاسماعيلية واطورها في جميع المراحل التي مرت فيها هذه الدعوة منذ عهد اسماعيل بن جعفر الصادق وحق عصرنا الحاضر ، والمعلومات التي تقدمها للمهتمين بالدراسات الاسلامية ، مستقاة من الوثائق والمصادر الاسماعيلية السرية ، وقد توخينا في نقلها الأمانة والصدق والبحث العلمي الصحيح ، بعيداً .. بعيداً .. عن التعصب والمحاباة ..

اعتمد الأئمة الاسماعيلية في تنظيم دعوتهم على دعاة مخلصون علماء وفلاسفة ، ذوي مواهب خارقة ، استطاعوا بهم أن ينشروا الدعوة والفكرة الاسماعيلية في جميع أنحاء العالم الاسلامي .

ولا غرو فقد كان اولئك الدعاة اساتذة تخطيط هذا الفن في العالم ، فجعلوا تنظييات الدعوة من صميم العقيدة وفلسفتها التي تقوم على نظريات رياضية فلسفية فلكية مستقاة من نظم الكون والمخلوقات التي تحيط بالانسان ، فتوصلوا إلى جعل الدعاة الذين هم عصب الدعوة الحساس

وشريانها الحيوي من حدود الدين ، وأسبغوا عليهم هالة من القدسية والتعظيم .

وبالحقيقة لم توجه أية دولة من الدول ، أو فرقة من الفرق ، اهتماماً خاصاً بالدعاية وتنظيمها ، كما اهتمت بها الاسماعيلية ، فجعلت منها الوسيلة الرئيسية لتحقيق نجاح الحركة في دور السתר والتخفي ، ودور الظهور والبناء معاً . ولقد أحدث التخطيط الدعائي المنظم تنظيمًا عجيباً لم يسبقهم اليه أحد في العالم ، وابتكرت الأساليب المبنية على أسس مكيعة مستوحاة من عقيدتها الصميمة .

وإذا قورنت أحدث التنظيمات العصرية الحديثة مع تنظيمات الحركة الاسماعيلية وأجهزتها الدعائية ، لتبين لنا ان الاسماعيليين كان لهم القدر المعلى في هذا المضمار ، من حيث الدقة في التنظيم ، والاخلاص والتفاني في التنفيذ .

ولقد برعوا براعة لا توصف في تنظيم أجهزة الدعاية — على قلة الوسائل في ذلك العصر — واستطاعوا أن يشرفوا بسرعة فائقة على أقاصي بقاع البلدان الاسلامية ، ويتنسمون أخبار أتباعهم في الأبعاد المتنامية . وذلك بما نظموا من أساليب وأحدثوا من وسائل . وقد كان للحمام الزاجل — الذي برع في استخدامه دعاة الاسماعيلية — أثره الفعال في تنظيم نقل الأخبار والمراسلات السرية الهامة .

وقد كان للتخطيط الدقيق الذي اعتمدته الدعاة الأول في سلمية أكبر الأثر في إقامة الدولة الاسماعيلية في اليمن ، وفي المغرب ، ومن ثم في مصر . والجدير بالاهتمام ان الامام الاسماعيلي — والذي يعتبر رئيساً للدعوة — جعل الدعاة من (حدود الدين) ، إمعاناً منه في اسباغ الفضائل عليهم ليتمكنوا من نشر الدعوة وتوجيه الاتباع والمريدين دونما أية معارضة

أو مخالفة . لأن مخالفتهم ومعارضتهم تعتبر بالنسبة للاسماعيلية مروقاً على الدين وخروجاً عن طاعة الامام نفسه ، لأنهم من صلب العقيدة وحدودها . ولقد وفقت الحركة الاسماعيلية بين جهاز الدعاية الذي نظمته خير تنظيم ، وبين نظام الفلك ودورته ، فجعلت العالم - الذي كان معروفاً في عصرها - مثل السنة الزمنية ، فالسنة مقسمة الى اثني عشر شهراً واذن فيجب أن يقسم العالم الى اثني عشر قسماً . وأطلق على كل قسم « جزيرة » وجعل الامام عميد الدعوة على كل جزيرة من هذه الجزر داعياً ، هو المسؤول الأول عن الدعوة فيها ، وأطلق عليه لقب « داعي دعاة الجزيرة » أو « حجة الجزيرة » .

وقالوا ان الدعوة لا يمكن استقامتها إلا باثني عشر داعياً يتولون ادارتها ، يقابلهم في عالم الفلك الواحد اثنا عشر برجاً هم : الحمل ، الثور ، الجوزاء ، السرطان ، الأسد ، السنبلة ، الميزان ، العقرب ، القوس ، الجدي ، الدلو ، الحوت . يطابقها في جسد الانسان اثني عشر ثقباً هي : العينان ، والاذنان ، والمنخران ، والشديان ، والسبيلان ، والفم ، والسرة . يقابلها في عالم الحجب اثنا عشر حجاباً هم : حجاب القدرة ، وحجاب العزة ، وحجاب العظمة ، وحجاب الهيبة ، وحجاب الجبروت ، وحجاب الرحمة ، وحجاب النبوة ، وحجاب الكربة ، وحجاب المنزلة ، وحجاب الرفعة ، وحجاب الشفاعة ، وحجاب السعادة . وقالوا ايضاً ان النبي قال : « طوبى لمن حفظ الرأس وما حوى ، والعقل وما وعى ، والقلب وما دعا ، وذكر القبر والبلى ، ولم يتأثر بالحياة الدنيا » . أي طوبى لمن حفظ رأس دعوة الحق والائمة من ولده ، ويقولون بأن الرسول اراد من قوله (العقل وما وعى) ، أي ان في العقل اثني عشر قطعة دليلاً على اثني عشر

داع الذين هم في جزائر الارض ، وهم في الدنيا مشهورون : العرب ، الترك ، البربر ، الزنج ، الحبشة ، خزر ، الصين ، فارس ، الروم ، الهند ، السند ، الصقالبة . ولما كانت الابراج ستة قبلية ، وستة شمالية ، كذلك اقتضى أن تكون الثقوب ستة في الجانب الايمن ، وستة في الجانب الايسر ، يطابقها أن شهور السنة على نوعين : ستة شمالية ، وستة جنوبية ؛ فالسنة الشمالية ، عدد أيامها ثلاثون يوماً ، ويسمون بالاشهر الكاملة ، والسنة الجنوبية ، عدد أيامها تسعة وعشرون يوماً ، ويسمون بالاشهر الناقصة .

وباعتبار ان الشهر ثلاثون يوماً ، لذا كان لكل داعي جزيرة ثلاثون داعياً نقيباً لمساعدته في نشر الدعوة ، وهم قوته التي يستعين بها في مقارعة الخصوم ، وهم عيونه التي بها يعرف أمرار الخاصة والعامة ، فهم بمثابة وزرائه ومستشاريه في كل ما يتعلق بجزيرته . ولما كان اليوم مقسم الى اربع وعشرين ساعة ، اثنتي عشرة ساعة بالليل ، واثنتي عشرة ساعة بالنهار ، لذا جعل الامام الاسماعيلي لكل داع نقيب أربعة وعشرين داعياً ، منهم اثني عشر داعياً ظاهراً كظهور الشمس بالنهار ، واثني عشر داعياً محجوباً مستتراً استتار الشمس بالليل . وبعملية حسابية نجد أن عدد الدعاة الذين بشهم الامام في العالم الذي كان معروفاً لديهم كان حوالي ٨٦٤٠ داعياً ، في وقت واحد ، وذلك بخلاف عدد آخر من الدعاة لا يشملهم هذا الاحصاء ، وهم الدعاة الذين يكونون دائماً في مركز الدعوة الرئيسي مع عميدهم الامام ، علماً بأنه كان لكل فئة من هؤلاء الدعاة عمل خاص لا يتعداه حفظاً لنظام الدعوة وسريتها ، فدعاة النهار الاثني عشر في كل جزيرة كانوا يعرفون بالمكاسرين أو المكالبين وهم أصغر طبقة في درجات الدعاة ، وعلى عاتق المكالبين تقع مهمة مجادلة

العلماء والفقهاء أمام جماهير الناس ، وكأنهم تلاميذ يريدون الافادة من أساتذتهم ، دون أن يخالج الشك العلماء والفقهاء او الجماهير المجتمعة للاخذ عن هؤلاء العلماء أو الفقهاء ، بأن من يجادلونه ويناقشونه مناقشة علمية عنيفة أنه من الدعاة ، وفي أغلب الأحيان يظهر عجز العالم عن الجواب ، الصحيح ، أو تبدو منه أخطاء فيسخر منه الداعي المكالب ويتركه ، وهنا تظهر عبقرية الداعي المكالب فيسرع اليه الناس يلتصقون منه الجواب الشافي عن الاسئلة التي طرحها والموضوعات التي ناقش فيها العلماء ، ومن الظاهر ان الداعي المكالب كان يختار اختياراً خاصاً ، ولا يسمح له بالمكاسرة الا بعد امتحان عسير وتجارب كثيرة ، ونجد في بعض الكتب الاسماعيلية الشروط الواجب توفرها عند اختيار الداعي المكالب والحصل التي يجب أن يتحل بها ، من ذلك أن يكون من نفس البيئة التي سيكاسر فيها ، ولد ونشأ بها ، حتى يكون معروفاً عند الجمهور ويجب أن يكون حسيباً ونسيباً بين قومه ، فالحسب والنسب يكسبانه بعض الاحترام ، وان يكون معروفاً بالصدق والامانة والتقوى والورع ، فهذه الصفات تزيد احتراماً في قومه ، فاذا وثق داعي الجزيرة في شخص تتوفر فيه هذه الشروط شرع في تعليمه العلوم الاسلامية حتى يتبحر فيها ، فاذا تم له ذلك ، أخذ يلقيه مسائل اختلاف المذاهب وآراء أهل الملل والنحل كلها من فرق اسلامية وغير اسلامية ، ويظهر له مواطن الضعف في كل مذهب وفي كل رأي ، ثم يعلمه كيف يجادل في اختلاف هذه الآراء ، وكيف يناقش أصحابها ، فاذا تم له ذلك يبدأ الداعي في تدريبيه على تفهم نفسية كل جماعة من الجماعات ، وكيف يخاطب كل طائفة من الطوائف حتى يستميل الناس اليه ، فاذا أتقن كل هذه الأمور وتدريب عليها ، ونجح فيها النجاح الملحوظ سمح له الداعي أن يكاسر ويجادل

الفرق الأخرى دون أن يشعر أحداً بأنه اسماعيلي المذهب بل يجب أن
يكنتم ذلك كتاباً شديداً ، ولذلك يجب أن يكون المكاسر ذكياً ذا فراسة حتى
لا يخطئ في معرفة نفسية المجتمع أو تقدير الناس الذين يخاطبهم ، فإذا
فرض ووجد المكاسر أمامه خصماً عنيداً أكثر منه علماً وتبحراً في
مختلف الفنون ، وجب على المكاسر في هذه الحالة أن يلج في المسائل
الفلسفية العميقة التي لا حد لها والتي لا يفهمها العامة ، ويدخل معه في
مناقشات باطنية هي من أخص خواص الفلسفة الاسماعيلية التي لا يعرفها
غير الدعاة . وبذلك ينجو المكاسر من الظهور بمظهر الضعف أمام
العامة ، بل ربما عظم شأنه في أعينهم لأنه يتحدث عن أشياء لا يفهمونها
ولا يعرفون كنهها ، وهكذا كان شأن الداعي المكاسر أو « الداعي
المكالب » الذي كانت مرتبته أقل مراتب النظام الاسماعيلي للدعاية ،
فإذا كان هذا هو شأن أصغر الدعاة استطعنا أن ندرك ما كان عليه
أمر كبار الدعاة على اختلاف درجاتهم ورتبهم مراتبهم . وفي حالة توصل
الداعي المكاسر إلى اقناع أحد المستجيبين ممن يرغبون الوصول إلى معرفة
الحقيقة يأخذه إلى أحد الدعاة الذين هم أعلى منه مرتبة ، فيلاطفه ويفاتحه
في لين ورفق دون أن يظهر له صفته المذهبية أو شيئاً من عقائده ، بل يكتفي
باطلاعه على بعض المسائل المذهبية ويلج له ببعض التأويلات الباطنية التي
لا ضير في كشفها ، فإذا أصر المستجيب على الاستزادة من المعرفة أحاله
إلى الداعي المأذون وهو من دعاة الليل الذي يبدأ بأخذ العهود والمواثيق ،
فإذا وثق بإخلاص المستجيب بدأ يكشفه ببعض الأسرار الخفية التي لا
ينفر منها ، ويتدرج به حتى يطمئن الداعي المأذون إلى إخلاصه ،
ويطمئن المستجيب إلى الداعي ويثق به ، عندئذ ينقله إلى الداعي الذي
هو أرقى منه رتبة ، وهكذا يتدرج المستجيب بين الدعاة حتى يسمح

له اخيراً بحضور مجالس داعي دعاة (الجزيرة) الذي له وحدة الحق في ان يعلم الناس التأويلات الباطنية للدين والقرآن والحديث ، كما يعلم الدعاة فلسفة الدعوة المذهبية أي (علم الحقيقة) . صحيح كان داعي الدعاة يلقي المجالس والاحاديث على العامة الذين أخذت عليهم العهود والمواثيق دون أن يصلوا بعد الى درجة عالية في علوم الدعوة ، ولكن هذه المحاضرات كانت بعيدة عن الاسرار الاسماعيلية العليا .

على هذه الصورة الدقيقة نظم الاسماعيليون دعوتهم ودعاتهم ، وحددوا صلاحيات ومهمة كل واحد من هؤلاء الدعاة ، وامعنوا في تكريم الدعاة واسباغ المناقب والفضائل عليهم ، فجعلوا من « حدود الدين » الذين يجب ان يعرفهم ويتوالاهم جميع المؤمنين .

اما الدعاة الذين يكونون « القيادة العليا للدعوة » والذين يظنون بمعية الامام دائماً ، فالامام يختارهم بنفسه من أقوى وأعلم دعاة الجزائر ، ويطلق على الداعي المختار لهذه المهمة « داعي الدعاة » ، واليه حق الاشراف على الدعوة في جميع الجزائر ، ويكون الواسطة بين دعاة الجزائر وبين الامام ، ويكون معروفاً بين الدعاة جميعاً وبين حاشية الامام في أدوار السر والظهور . وعلى عاتقه تقع مهمة عقد مجالس الحكمة التأويلية على اختلاف درجاتها ، ومع مرتبة داعي الدعاة كانت هناك مرتبة رفيعة أخرى هي مرتبة (الحجة) ويسمى صاحبها « حجة الامام » وأحياناً كان الامام يولي المرتبتين لشخص واحد ، وفي أغلب الأحيان وخاصة في الأدوار السرية كان يحمل كل مرتبة لشخص ، وفي هذه الحالة يستر اسم صاحب مرتبة الحجة فلا يعرفه الا الامام نفسه . وهناك من يزعم أن ولي عهد الامام يجب أن يحمل مرتبة الحجة فهذا الزعم لا تؤيده الوثائق ولا المصادر الاسماعيلية ، فمرتبة ولاية العهد نوع ومرتبة

الحجة نوع آخر ، فولاية العهد ان تعطى الا لابن الأكبر للامام الذي ينص عليه علناً أمام مجلس الدعوة ويجب ان يكون من عقب الامام . أما الحجة فينتقيه الامام من أصل الأربعة الحدود الحرم ، ولا يجوز مطلقاً اختياره الا منهم .

وهناك مرتبة سرية أخرى وهي مرتبة « باب الابواب » ولا يعرف شاغل هذه المرتبة الا الامام نفسه وولي عهده . وقد وصف احد الدعاة الاسماعيلية العلماء هذه المرتبة بقوله : « وحد الباب هو من الحدود الصفوة واللباب فهو أفضل الحدود وهو حد العصمة ولا ينتهي إلى ذلك إلا الأحاد والأفراد » ويقول آخر : « باب الأبواب هو باب صاحب الزمان الذي يؤتى منه إليه وحجته على الخلق وحامل علمه وصاحب دعوته » . فمرتبة باب الأبواب أو « الباب » فقط من أرفع مراتب الدعوة وتلي مرتبة الامام الدينية مباشرة ، وهي مرتبة سرية للغاية ، ولقد قال عنها الفيلسوف الاسماعيلي الكبير أحمد حميد الدين الكرمانلي في كتابه راحة العقل : « الباب وله مرتبة فصل الخطابة » . ويمكننا أن نرتب مراتب الدعوة الاساسية من الناحية الدعاوية على الشكل التالي :

- ١ - إمام وله رتبة الأمر .
- ٢ - باب وله رتبة فصل الخطاب .
- ٣ - حجة وله رتبة الحكم فيما كان حقاً أو باطلا .
- ٤ - داعي دعاة وله رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنة ورئيس الدعاة المباشر .
- ٥ - داعي البلاغ وله رتبة الاحتجاج وتعريف المعاد .
- ٦ - النقيب وله رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرة .
- ٧ - المأذون وله رتبة أخذ العهد والميثاق .

- ٨ - داع محدود (أو محصور) وله رتبة جذب الأنفس المستجيبة .
 - ٩ - جناح أيمن ملحق بصورة دائمة بالداعي النقيب ، فهو جناحه ويده اليمنى .
 - ١٠ - جناح أيسر ملحق بصورة دائمة بالداعي النقيب فهو جناحه ويده اليسرى .
 - ١١ - مكاسر (أو مكالب) له حق المجادلة ، وخاصة بين طبقات العامة .
 - ١٢ - مستجيب أو رتبة يصل اليها من يؤخذ عليه العهد والميثاق .
- على هذه الصورة رتب الامام رئيس الدعوة الاسماعيلية الحدود الجسمانية في النظام الاسماعيلي ، واجتهد الأئمة بأن لا يخلو بلد من دعائهم ، وبفضل هذا التنظيم الدقيق انتشرت الحركة الاسماعيلية بشكل لم تعهده أية دعوة في العالم .

ولا بد لنا من الإشارة بأن هناك بعض الاختلافات الشكلية في أسماء ورتب بعض الدعاة ، قد يجدها الباحث في بعض الكتب الاسماعيلية ، ولربما كان مرد هذا الاختلاف إلى ظروف وأسباب خاصة ، أو نتيجة لعدم تعمق المؤلف ووقوفه على التمييز بين كل داع وآخر . إلا أن كتب الحقيقة السرية التي ألفها كبار الدعاة والعلماء والفلاسفة تتفق مع التنظيمات التي ذكرناها أعلاه ، وإذا صدف ووجدت تنظيمات مخالفة لما أوردناه وذكرناه فهي لا شك وليدة تعليقات وتخمينات واستنتاجات لا تنسجم مع واقع الحقيقة ، لأن التنظيمات التي أوردناها آنفاً ظلت باقية ومعمول فيها حتى نهاية العهد الفاطمي في مصر .

ولما انتقلت الدعوة الاسماعيلية النزارية إلى فارس ، أجرى الامام النزاری بعض التعديلات الجذرية التي تتناسب مع ظروفه وعصره ، ومع ذلك ظل القسم الخاص بالدعاية الدينية قريب الشبه

من النظام السابق ، ولو أن عدد الدعاة قد تقلص ونقص ، فالامام
النزاري جعل رتبة (الشيخ) في دعوته بدلاً من رتبة (داعي الدعاة) ،
وعين له النواب في كل منطقة من المناطق الاسماعيلية ، وألحق بنائب
الامام أو حجته أو (الشيخ) عدداً غير محدود من الدعاة الذين كانوا
يدعون الناس للمذهب النزاري . أما القسم الثاني ، فهو خاص بالفدائية ، والجيش
وهؤلاء كانوا يتبعون مباشرة لمركز الامامة أو لنائب الامام في منطقته ،
ويتلقون الأوامر والمهمات السرية منه مباشرة . وكانت الفدائية على
ثلاث درجات :

١ - الرفاق أو المقدمون ، وهم قادة الجيش ، والفدائية ، ولهم حق
الاشراف على التدريب والسهر على تنفيذ المهمات العسكرية .
٢ - مرقبة الفدائيين الذين ينتقون من العناصر المخلصة المعروفة بالتضحية
والاقدام والشجاعة النادرة ، والجرأة الخارقة ، فيكلفون بالتضحيات الجسدية
وبتنفيذ أوامر الامام أو نائبه .

٣ - المستجيبون ، وهم الذين يقضون دور التدريب والتعليم ، وهؤلاء
يدخلون مدارس الفدائية وهم في سن مبكرة ويتلقون التدريب والتعليم
في المدارس الخاصة بهم ، على أيدي كبار المقدمين ، ويسهر على تدريبهم
وتعليمهم الامام نفسه ، أو نائبه « الشيخ » .

ولقد عمل بموجب هذه الانظمة جميع الاسماعيلية النزارية في جميع
المناطق ، فطبقت شهرة الفدائية وأعمالهم الخارقة الآفاق . أما الاسماعيلية
المستعيلة فيجعلون في كل بلد من البلدان التي فيها جماعة منهم ، رجلاً من
رجال الدين الذين تخرجوا من (الجامعة السيفية) بمدينة سورت في الهند ،
ويسمونه (العامل) وهو المكلف بجمع أموال الخمس و (السلة أو الخزنة)

ويقدمها للداعي المطلق بمناسبة عيد الفطر وغيره ، ويقوم على شؤونهم الدينية من تنظيم عقود الزواج والطلاق ، وغير ذلك ..

أما تنظيمات الاسماعيلية النزارية الدينية في عصرنا الحاضر ، فهي لا تتفق بأي حال من الأحوال والتنظيمات التي كانت معروفة في العصور السابقة ، لأن تلك التنظيمات القديمة لم تعد تتلاءم والعصر الحديث ، بدليل انه قد أصبح للقضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التأثير الأكبر . ونلاحظ الآن ان الدعاية الدينية ، وهي الأهم ، في المعتقدات الاسماعيلية مفقودة تماماً ، ولم يعد لها أي وجود . كما وان المثقفين ثقافة دينية عالية ليس لهم وجود في صفوف الاسماعيلية النزارية ، بالنظر لانعدام المدارس الدينية الخاصة ، والمدرسين الكفاء الذين كانوا يعقدون المجالس الخاصة ، والندوات لاعطاء المستجيبين العلوم الاسماعيلية . كما وان الوظائف أصبحت وقفاً على رجال الاقتصاد ، وعلى الظروف والمناسبات ، فلا تراعى مطلقاً الكفاءات العلمية ، أو الثقافية . والوظائف المعروفة الآن هي :

الهيئة الدينية :

١ - سيف الدعوة - أو وزير الدعوة - أو وارث : وهي رتبة فخرية شرفية تعطى عادة لكبار زعماء الطائفة . وهناك رتب شرفية أخرى مثل : اتمادي ، رأي ، علي جاه ، كونت .

مكي : يشرف على تعيين موظفي المساجد ، ويراقب جباية الأموال وجمعها ويترأس المصلين ، وفي أغلب الأحيان يكون صاحب هذه الرتبة لا يتمتع بأي ثقافة دينية ، ولا تراعى في تعيينه أية ناحية من النواحي المعروفة في العهود السابقة . وله في كل مسجد من مساجد الاسماعيلية أي في كل (جمعة خانا) وكيلا له .

- ٣- كامريا - أو كاماديا - ومهمته المحافظة على خزينة الدعوة والاعتناء بالشؤون المالية فقط .
- ٤ - ناظر مراقبة سير أمور الدعوة من الناحية المالية والاجتماعية والدينية .
- ٥ - واعظ : مهمته وعظ الأتباع ، وحضور المآتم لتلاوة آيات القرآن ولا يتمتع بأي ثقافة دينية .

المجلس الاسماعيلي الاعلى :

مهمة هذا المجلس الاشراف على شؤون الاسماعيلية من جميع النواحي ويعين من قبل الامام ، ويتألف من : الرئيس ، أمين سر ، وعدد من الأعضاء قد يصل في بعض الأحيان الى العشرة .

اللجنة الثقافية :

ومهمة هذه اللجنة الاشراف على الأمور الثقافية والمدارس وانتخاب البعثات العلمية . وفي الأقطار الاسماعيلية كإهند ، وإفريقيا ، والباكستان ، عدة منظمات أخرى ، كالجمعيات الخيرية ، والنسائية ، والصحية ، والرياضية ، وروابط الطلبة . الخ... ما هنالك من تنظيمات عصرية تتناسب مع المناطق والبلدان التي يقطنها الاسماعيلية . وقد كان لهذه التنظيمات التي أوجدها آغاخان الثالث أثرها الفعال في نهضة الاسماعيلية في مختلف المجالات ، وفي بعض البلدان بلغت الذروة .

الفصل الثاني

عقائد الاسماعيليه

لنفرض أن الحركة الاسماعيليه كائناً حياً يتمتع بالحسيه المطلقة ،
والادراك الكامل للواقع في مختلف نواحيه ، فلا بد أن ينمو هذا
الكائن الحي ويستمد أسباب نموه ، اما من ذاته ، بما يفجر من طاقات
روحانية في عالم النفس ، واما اكتساباً مما يحيط به من مؤثرات في عالم
المادة . لهذا رافقت الحركة الاسماعيليه في مسيرتها ، مسيرة الزمن ،
وأخت في حياتها وحدة الحياة . فكانت مزدوجة في تقمصها دور المعلم
الذي يشق طريق السعادة للبشرية ، ودور المحرب الذي يتكشف أسرار
ما غلق على النفس ، ويستخلص من تجاربه عصارة الحياة ليحقن بها
قوة زخمة تدفعه خطوات أسرع نحو التقدم والسمو من أجل الكمال .
ومن هنا كانت الحركة الاسماعيليه قديمة في جذورها ، عتيقة في أحداثها ،
فاكتسبت في ذلك مناعة ضد الهرم ، ولبست من نصاعة جواهرها ثوباً
لا يشيخ ، ولا تعبت به عناكب البلى .

وانطلاقاً من هذه الحقيقة السرمديه الواضحة ، نستطيع أن نبين أن

الحركة الاسماعيلية تعتمد على عقيدة شاملة لكامل أمور الحياة ومتفرعاتها . وهذه العقيدة تترتب في حقائق أزلية ثابتة ، رافقت الكون منذ البدء ، وستستمر إلى ما لا نهاية . ومن معتقدات متطورة جديدة تتلاءم مع مقتضيات الحياة نفسها ، ومتطلبات الزمن المتجدد . غير ان هذه المعتقدات الجديدة المتطورة تبقى في تلازم متين مع صلب العقيدة الجامعة الاولى ، ومتأسكة مع لماتها ، كي تزيد في اتقادها ، وتعمق في اشعاعها ، فتضمن لها استمراراً أزلياً .

فالعقيدة الأساسية الجامعة للاسماعيلية تترسخ في حقائق ثابتة هي :
١ - العبادة العلمية (أي علم الظاهر) : وهو ما يتصل بفرائض الدين وأركانه .

٢ - العبادة العلمية (أي علم الباطن) : من تأويل ، ومثل عليا للتنظيمات الاجتماعية ، ومثل عليا للإدارة السياسية . وكل هذه النقاط تعتبر من صميم العقائد ، تتداخل مع بعضها تداخلاً كلياً ، وتعتمد كل واحدة على الأخرى ، فهم يقولون بالباطن والظاهر معاً ، وذهبوا إلى تكفير من اعتقد بالباطن دون الظاهر ، أو بالظاهر دون الباطن . وفي ذلك يقول الداعي المؤيد في الدين :

« من عمل بالباطن والظاهر معاً فهو منا ، ومن عمل بأحدهما دون الآخر ، فالكلب خير منه وليس منا » . ومن أصول ومرتكزات العقيدة الاسماعيلية ضرورة وجود الامام المعصوم ، المنصوص عليه ، من نسل علي بن أبي طالب ، والنص على الامام يجب أن يكون من الامام الذي سبقه ، بحيث تتسلسل الامامة في الاعقاب ، أي أن ينص الأب على امامة ابنه الأكبر . ولا تزال الامامة المحور الذي تدور عليه كل العقائد

الاسماعيلية وفلسفتها ، لأن الامامة ركن أساسي لجميع أركان الدين فدعائم الدين هي : الطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد ، والولاية . والولاية هي أفضل هذه الدعائم ، فان أطاع المؤمن الله وأقر برسالة الرسول الكريم ، وقام بأركان الدين كلها ثم عصى الامام ، أو كذب به ، فهو آثم في معصيته ، وغير مقبولة منه طاعة الله وطاعة الرسول . وتدور حول هذه النقطة أكثر أبحاث علماء الاسماعيلية الذين يعتبرون الامام كاهرم ، رأس الهرم الامام بكل ما حاز من فضائل ومثل ، والقاعدة : هم الاتباع ، ومن الطبيعي أن تتطلع القاعدة الى القدوة في اتخاذها الكمال ، فتلتقي نظرهم عند رأس الهرم ، واعتبروا الامام كالبحر الخضم تصب فيه كافة العيون والسواقي والانهار ، فهي منه ، أي منه انبثقت ، واليه معادها . أو كالمولد الكهربائي الذي يشع نوره في المصابيح ، وتفقد هذه المصابيح قدرتها على الاشعاع عندما يمتنع المولد عن مددها بالنور .

والاسماعيلية يعتبرون من حيث الظاهر ان الأئمة من البشر ، وأنهم خلقوا من الطين ، ويتعرضون للأمراض والآفات والموت ، مثل غيرهم من بني آدم ، ولكن في التأويلات الباطنية يسبقون عليه (وجه الله) ، و (يد الله) ، و (جنب الله) ، وأنه هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة ، وهو الصراط المستقيم ، والذكر الحكيم ، الى غير ذلك من الصفات . وفي هذه الأقوال أدلة على كل صفة من هذه الصفات ، فمثلا : ان الانسان لا يعرف إلا بوجهه ، ولما كان الامام هو الذي يدل العالم على معرفة الله ، فبه إذن يعرف الله ، فهو وجه الله ، الذي يعرف به الله ، وان اليد هي التي يبطش بها الانسان ويدافع بها عن نفسه ، والامام هو الذي يدافع عن دين الله ، ويبطش بأعداء الله ، فهو على

هذه المثابة يد الله ، ومن جهة ثانية نرى الاسماعيلية يجرّدون الله من كل صفة ، وينزهونه التنزيه كله ، وينفون عنه جميع ما يليق بمبدعاته التي هي الاعيان الروحانية - ومخلوقاته التي هي الصور الجسمانية - هي الاسماء والصفات ، ويعتبرون نفى المعرفة ، هو حقيقة المعرفة ، وسلب الصفة هو نهاية الصفة .

وهكذا نرى ان الاسماعيليين اعطوا الامامة مركزاً سامياً مقدساً ، وجعلوا من الامام مثلهم الأعلى وجعلوه على رتب ودرجات ، وزودوه بصلاحيات واختصاصات واسعة . ويستدل من المصادر الاسماعيلية السرية أن مقامات الامامة ودرجاتها التي كانت معروفة في دور السر والتقية هي :

- ١ - الامام المقيم : وتعتبر اعلى مراتب الامامة وأرفعها ، وهو الذي يقيم الرسول الناطق ويعلمه رسالة النطق .
 - ٢ - الامام الأساس : هو القائم بأعمال الرسالة ، ومنه يتسلسل الأئمة المستقرون في الادوار الزمنية .
 - ٣ - الامام المتم : هو الذي يتم الرسالة في نهاية الدور الذي يقوم به سبعة من الأئمة ، فهو سابعهم ومتمماً لرسالة الدور .
 - ٤ - الامام المستقر : صاحب الحق في توريث الامامة لولده ، بموجب النص على الامام الذي يأتي بعده ، وهو الأصل .
 - ٥ - الامام المستودع : لا يستطيع توريث الامامة لأحد من ولده . يتسلم الامامة في الظروف والأدوار الاستثنائية .
 - ٦ - الامام القائم بالقوة : ناقصاً في ذاته .
 - ٧ - الامام القائم بالفعل : تام في ذاته وفعله .
- وقد دعموا هذه المعتقدات بنظريات فلسفية وتأويلات باطنية ، اما

اكتساباً أو استنباطاً . فأصبحت الفلسفة بنظرهم وسيلة لتقييم العقيدة ، وطريقاً الى كشف جوهر الخالق والدين . ونادوا بوجوب التأويل الباطن ، لأنه من عند الله ، خص به علياً بن أبي طالب ، كما خص الرسول بالتنزيل . واستدلوا على ذلك بقصة موسى مع الرجل الصالح المذكور في سورة الكهف . وعمدوا إلى احاطة علوم الباطن بالستر والكتمان ، وحظروا اظهارها إلا لمن يستحق ذلك فقط . واعتبروا التأويل الباطن نظرية دينية فلسفية ، تتلخص كما ذكرنا في أن الله سبحانه وتعالى جعل كل معاني الدين في المخلوقات التي تحيط بالانسان ، لذا يجب أن يستدل بها في الطبيعة ، وبما على وجه الأرض ، على ادراك حقيقة الدين ، وقالوا ان المخلوقات قسمان : قسم ظاهر للعيان ، وقسم باطن خفي ، فالظاهر يدل على الباطن وما ظهر من أمور الدين من العبادة العملية ، وما جاء في القرآن هي معاني يعرفها العامة ، ولكن لكل فريضة من فرائض الدين تأويلاً باطنياً لا يعلمه الا الأئمة وكبار حججهم ودعاتهم وحدودهم .

ولهم أدلة عقلية على وجوب التأويل استقوها من القرآن الكريم ، فذهبوا إلى أن مثالة الدين تؤخذ من خلقة السموات والأرض ، وتركيب الأفلاك ، وجميع ما يتأمل مما خلقه الله ، فقد ركزت في المخلوقات كل معاني الدين الذي حمله القرآن الكريم ، فآيات القرآن اذا في حاجة إلى من يستنبط كنوز هذه المعاني ، واستناداً لهذه الطريقة ، أوجدوا نظرية المثل والمثول ، والباطن والظاهر ، وجعلوا الظاهر يدل على الباطن ، وسموا الباطن ممثولاً ، والظاهر مثلاً ، وفي ذلك قال داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله :

« خلق الله أمثالاً وممثولات ، فجسم الانسان مثل ، ونفسه ممثول .

والدنيا مثل والآخرة ممثول . وان هذه الأعلام التي خلقها الله تعالى ، وجعل قوام الحياة بها ، من الشمس والقمر والنجوم لها ذوات قائمة يحل منها محل المثل ، وان قواها الباطنة التي تؤثر في المصنوعات هي ممثول تلك الأمثال^(١) . وجاء في المجالس المستنصرية : « معشر المؤمنين ، ان الله تعالى ضرب لكم الأمثال جملا وتفصيلا ، ولم يستح من صغر المثال اذا بين به ممثولا ، وجعل ظاهر القرآن على باطنه دليلا^(٢) » . ويقول داعي الدعاة المؤيد في الدين :

أقصد حمى ممثوله دون المثل ذا ابر النحل ، وهذا كالسل^(٣)

واستناداً على نظرية المثل والمثول هذه يجب أن يكون في العالم الأرضي ، عالم جسماني ظاهر يماثل العالم الروحاني الباطن ، فالامام هو مثل السابق ، وحيثه مثل التالي ، وكل خصائص العقل الأول (السابق) جعلت للامام . وقالوا : ان الله سبحانه وتعالى متعال عن المراتب كلها كمالاً ونقصاناً ، ووحدة وكثرة ، وأول ما ترتب أولاً في الوجود وهو موجود وجد على طريق الابداع والاختراع لا على طريق الفيض كما يقول الفلاسفة ، وهذا الموجود الأول علة أولى يتعلق بها ويترتب عنها وجود ما سواها من الموجودات ومثله في هذا كمثل الواحد الذي هو في الاعداد التي ترتب عنه ، بمتابة العلة الأولى في وجودها . فان الاول ان لم يثبت وجوده لم يكن للثاني طريق الى الوجود ، والثاني ان لم يثبت وجوده لم يكن للثالث طريق إلى الوجود واذا لم يكن للثاني والثالث وجود الا بثبوت وجود ما يكون أولاهما وسببا

(١) المجالس المؤيدية ٢/٢ هـ المجلس الثامن من المائة الثانية .

(٢) المجالس المستنصرية : ص ٩٨ - ٩٩ .

(٣) القصيدة الأولى من الديوان .

لوجودهما^(١). فمن وجود الثالث والرابع وغيرها من الموجودات قيام الدليل على وجود أول لها ثابت ، وسبب لولاه لما وجد ما سواه ، فقد ثبت للموجودات بوجودها مبدأ أول ، عنه ترتبت في الوجود ، وذلك المبدأ الأول لسميه : العقل الأول ، والموجود الأول ؛ الذي وجوده لا بذاته بل بإبداع المتعالي سبحانه إياه ، ولما كانت الموجودات موجودة ثابتة ، ثبت أن العلل ثابتة وانها لا تزال ترتفع عن الكثرة عند التوجه نحو الأول منها ، وتقل الى أن تنتهي الى شيء واحد ثابت هو علة تنتهي اليها العلل ، مثل التسعة من الأعداد ، التي وجودها يدل على وجود الثانية ، ووجود الثانية يدل على وجود السبعة ، فلا تزال ترتفع عن الكثرة تحليلًا الى ما منه وجدت الى أن تنتهي الى واحد ثابت هو علة لجميعها ، وبه قوامها . فيكون ذلك الواحد المتقدم الرتبة وجوده لا بذاته ، بل هو في ذاته فعل عن لا يستحق أن يقال انه فاعل ، وهو مفعول لا من مادة ، وهو فاعل لا في مادة هي غيره . وانما قلنا انه فعل في ذاته لكونه أول موجود . ولما كان الانسان الذي هو آخر الموجودات ، وهو النهاية الثانية لها منحلًا الى أشياء كثيرة مفعولة فيها هي كالمادة التي منها فعل وهي كلها دار الطبيعة ، والى أشياء كثيرة فاعلة صارت دار الطبيعة مادة لها تفعل فيها لاجرا ما من شأنه أن يوجد منها الى الوجود مثل الانسان وغيره ، وهي كلها قائمة بالفعل ، وهي الملائكة الموكله بالعالم ، فالانسان فاعل في مواد هي غيره عند إيجاد الصورة الصناعية ، ومفعول من دار الطبيعة ، وفعل للملائكة القائمة بالفعل ، وفاعليته بكونه فعلا لغيره الذي قام بفعله ، أعني إيجادها ، ووجدنا دار الطبيعة والفاعلين فيها منحلًا الى أشياء ليست في الكثرة مثل دار الطبيعة ، بما تجمعها والفاعلين فيها ، بل أقل ، وهي الهيولى والصورة معاً ، وما

(١) راحة العقل : للكرماني ص ٥٩ .

صارت الهيولى والصورة مادة له في تكوين الافلاك والاستقصات من الملائكة أعني العنصر القائم بالفعل ، ودار الطبيعة والفاعلون فيها فاعلة للانسان وغيره من أنواع الموجودات ، ومفعوله مما منه وجدت ، أما دار الطبيعة فمن الهيولى والصورة ، وأما الفاعلون فمن قاعل مثلهم سابق عليهم ، وفعل للملك القائم بالفعل الذي هو سابق للجميع ، وفاعليتها بكونها فعلا للذي قام بفعله اياها ، ووجدنا الهيولى والصورة والفاعل فيها متحللين الى شيء واحد منه وجودها بانتهاى التحليل الى أول الكثرة بالذوات التي ليس وراء أولها الذي هو اثنان الا الواحد ، وامتناع الأمر في انحلالها الى شيئين يجريان منها مجرى الآباء والامهات والفاعلين فيها من الانسان والهيولى ، والفاعلين فيها من الآباء والامهات لاتصال الأمر فيه ان لو كان كذلك الى ما لا يتناهى ، يكون سبباً للاوجودية الموجودات ، فقد ثبت بانتهاى التحليل إلى واحد به يتعلق وجود ما سواء ، ان هذا الواحد هو العلة الثابتة ، وهو فعل في ذاته ، وفاعل في ذاته ، ومفعول بذاته . ثم نقول : لما كان كل قائم بالقوة ناقصاً ، وكان خروجه الى الفعل الذي هو درجة الكمال الا يكون إلا بالذي يستند اليه في ذلك ، فمن هو قائم بالفعل تام في ذاته وفعله ، وكانت أنفس البشر في دار الطبيعة قائمة بالقوة ناقصة ، فخروجها الى الفعل اذن لا يكون الا بالذي هو قائم بالفعل ، تام في ذاته وفعله . ولما كان موجوداً من أنفس البشر من خرج الى الفعل مثل الأنبياء والأوصياء والأئمة عليهم السلام وتابعيهم بنبيهم الكمالين ، واستيفائهم السعادتين ومصيرهم مجعاً للفضائل ، صفراً من الرذائل تماماً ، كان القائم بالفعل التام في ذاته وفعله الذي به كانت كمالهم وارتقاؤهم إلى درجة القيام بالفعل وباستنادهم اليه كان وجودهم تأمين ولولاه لما كان لهم خروج الى الفعل موجوداً (١) .

(١) راحة العقل : للكرماني ص (٦١ - ٦٢) .

وتحدث الفلاسفة الاسماعيليون عن وجود الله فاثبتوا ضرورة وجوده عن طريق ليسيته ، وضرورة استناد الموجودات واحتياجها الى موجد ، ونفوا عن الله تعالى الاليسية كما نفوا عنه الليسية ، وقالوا : ان الله لا يمكن ان يكون ليساً ولا أيساً ، أي أنه لا يصح أن يكون الله غير موجود ، ولا أن يكون موجوداً من نوع الموجودات التي وجدت عنه ، ويطلق عليه اسم المبدع الأول ، والعقل الأول ، والمحرك الأول الذي لا يتحرك باعتباره مبدأ لحركة جميع المتحركات في عالمي العقل والجسم وعلة لوجود الموجودات الكائنة ، كالواحد الذي هو أول الأعداد . ويأتي بعده في ترتيب العقول : العقل الثاني ، الذي وجد عن العقل الأول عن طريق الانبعاث ، كما أن وجود العقل الأول عن الله عن طريق الابداع ، لذلك أطلق على العقل الثاني اسم المنبعث الاول ، كما أطلق على العقل الأول اسم المبدع الأول ، والمنبعث الأول . ويسمى في السنة الالهية : (القلم) . ويأتي بعد المنبعث الاول المنبعث الثاني ، وهو أول الموجودات القائمة بالقوة ، وهو الهيولى المسماة في السنة الالهية اللوح ، لكونه قابلاً للصور قائماً بالقبول ، كقبول اللوح من القلم صور التخطيط ، التي تعرف بالهيولى المقارن وجودها مع الصورة . ويوجد عن العقل الأول والمنبعث الأول عقول سبعة وجد كل منها عن الآخر صاعداً الى المنبعث الأول . كما ان كلا منها ساطع سار فيما وجد عن الاول من الهيولى والصورة التي منها وجود السماوات والارض وحركاتها ، ومن تمامية الدور بالسبعة بعد الناطق والاساس وقيام العاشر في مقام الناطق بالدعوة الى أمر جديد في دور آخر على وقوف الانبعاث عن وجود المثل عند انتهائه الى العاشر من العقول ، وقيام العاشر مقام الاول في تدبير أمر دار الجسم ، وكون أئمة كثيرة فيما بين الانتماء السبعة ، على أن بين العقول المنبعثة ملائكة

كثيرين بحسب كثرة الاكر في دار الجسم ، ومن كون مراتب الائمة شيئاً واحداً من الامامة والكمال ، على أن مراتب العقول شيء واحد في كونها برية من الاجسام والمواد . ولما كان محصول ضرب الواحد فيما عنه ذاته من الفردين اثنين ، كان ذلك موجباً أن يكون الموجود عن الابداع الذي هو المبدع الاول بفعله في ذاته احاطة بها ونظرة اليها التي هي على نسبتين وكالين اثنين ، وهما المنبعثان الاولان أولاً وثانياً : اللذان هما العقل الثاني القائم بالفعل ، والعقل القائم بالقوة الذي هو الهولى والصورة ، كما ان الموجود عن الناطق اثنان الوحي القائم بالفعل مقامه والكتاب الذي هو امام قائم بالقوة ، وهو بمنزلة الهولى والصورة التي هي مادة تتضمن كل شيء . ولما كان الطرف الاول من الاثنين أجل من الطرف الآخر بقربه مما عنه وجوده وبعد الطرف الآخر وان كانا في الوجود معاً ، كان ذلك موجباً أن يكون أحد الموجودين عن المبدع بقيامه بالفعل إحاطة بذاته ، واغترباطاً بها الذي هو العقل الثاني أجل وأشرف من الآخر الذي هو الهولى القائمة بالقوة المفعول به . كما ان الوصي القائم مقام الناطق هو أشرف من الكتاب المفعول به ، ولما كان محصول ضرب اثنين في اثنين يساوي أربعة ، وكانت مع الحاصل في الوجود ستة من واحد واثنين وثلاثة وعشرة ، وكانت العشرة مكانها في العشرات كالواحد من الآحاد ، كان ذلك موجباً أن يكون ما وجد بالابداع والانبعثات من العقول الفاعلة في ذواتها بذواتها عشرة تم بها عالم الابداع والانبعثات الذي هو المبادئ الشريفة ، وقام العاشر منها لعالم الجسم مقام المبدع الاول في عالم الابداع الاول والانبعثات الاول ، كما ان الموجود في الدور من الحدود العشرة أولها الناطق والوصي وسبعة من الائماء الذين يتمون الأدوار الصغار ،

والعاشر هو الذي يقوم مقام الناطق في دوره ثم يظهر بأمر جديد في دور جديد .
وعلى هذه الصورة نستطيع أن نرتب العقول العشرة مع ما يقابلها
من مراقب الدعوة الاسماعيليه ، ومراتب الموجودات ومطابقتها لها على
الشكل التالي :

- ١ - العقل الاول أو المبدع الأول = الناطق .
- ٢ - العقل الثاني : (فلك الكواكب الاعلى الحاوي لكل ما في عالم
الجسم الثاني الذي يأتي في الترتيب بعد عالم الجسم الاول وهو عالم الهوى
والصورة) = الأساس .
- ٣ - العقل الثالث : (فلك زحل) = المتم الاول = الامام .
- ٤ - العقل الرابع : (فلك المشتري) = المتم الثاني = الباب .
- ٥ - العقل الخامس : (فلك المريخ) = المتم الثالث = الحجة .
- ٦ - العقل السادس : (فلك الشمس) = المتم الرابع = داعي البلاغ .
- ٧ - العقل السابع : (فلك الزهرة) = المتم الخامس = الداعي المطلق .
- ٨ - العقل الثامن : (فلك عطارد) = المتم السادس = الداعي المحدود .
- ٩ - العقل التاسع : (فلك القمر) = المتم السابع = المأذون المطلق .
- ١٠ - العقل العاشر : (مأذون فلك القمر) = المتم الثامن = المأذون المحدود
= المكاسر = المكالب .

كما وان الموجودات الروحية والمادية التي وجدت عنه تعالى بإبداعه
لها واختراعه ايها ، فقد رتبت على الشكل التالي :

- ١ - أول الموجودات ، هو المبدع الأول ، أو الموجود الأول ، الذي
ليس وجوده بذاته ، والذي هو علة الموجودات قنتهي اليها هذه
الموجودات . وهو عين الابداع وعين المبدع من ناحية ، وعين
الوحدة وعين الواحد من ناحية أخرى .

٢- ثاني الموجودات ، هو العقل الثاني ، أو المنبعث الأول ، العقل القائم بالفعل ، وهو في الكمال كالعقل الاول ، كما أنه لا جسم ولا في جسم .

٣- وثالث الموجودات ، هو العقل القائم بالقوة أو المنبعث الثاني الأول وهو الهيولى والصورة ، وقد سمي بالمنبعث الثاني الأول لأنه ثاني في الرتبة بعد المنبعث الأول من ناحية ، ولأنه أصل لعالم الجسم فهو أول بالنسبة لما ينشأ عنه من الاجسام من ناحية أخرى .

٤- وعن العقل الثاني القائم بالفعل يصدر الملائكة الموكلون بعالم الطبيعة ، وهم كثيرون ، ووجود كل منهم عن الآخر .

٥- وعن العقل القائم بالقوة الذي هو الهيولى والصورة يصدر عالم الطبيعة بأفلاكها وكواكبها .

وكذلك وجد في الجسد سبع قوى فعالة جسمانية وهي : الجاذبة ، والماسكة ، والهاضمة ، والدافعة ، والغازية ، والنامية ، والمصورة . وسبع قوى روحانية حساسة خفيفة لطيفة وهي : الباصرة ، والسامعة ، والذائقة ، والشامة ، واللامسة ، والناطقة ، والعاقلة ، ومن هذه القوى الحساسة خمسة منها تشبه الكواكب الخمسة الجارية في السماء : المريخ ، المشتري ، عطارد ، زهرة ، زحل . والقوى الناطقة مناسبة للقمر ، والقوى العاقلة مناسبة للشمس .

وقالوا : ان للقوى الفاضلة التي هي : العاقلة ، والمفكرة ، والذاكرة ، والمتخيلة ، والمميزة ، والحافظة ، والناطقة ، في الدنيا نظير ، السبعة النطقاء ، ودعائم الاسلام السبعة التي هي : الصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة ، والجهاد ، والولاية ، والطهارة . وقسموا هذه العلوم الى ثلاثة أقسام : رياضية ، طبيعية ، إلهية . وقالوا : أن العلوم الرياضية هي

دون فلك القمر ، والعلوم الطبيعية في الفلك التاسع الى فلك القمر ،
أما العلوم الالهية فهي فوق الفلك التاسع ، مثل العقل ، والنفس ،
والأمر ، والباري ، وقد أشرف على كل نوع من هذه العلوم عقول
تسيرها وترعاها ، ففضلوها ورتبوها حسب أهميتها ، فجعلوا المرتبة
الأولى للعلم الالهي ، وموضوعاته تبحث عن كنه الله تعالى ، وكنه
النفس الناطقة العلامة بالقوة ، الفعالة بالذات ، معتمدين على قول
الرسول : (من عرف نفسه فقد عرف ربه) . و (أعرفكم بنفسي أعرفكم
بربي) . ومن يتوصل الى معرفة نفسه أطلع على الخفايا والأسرار ،
وأصبح اسمه لدى العامة (النقال) أي الذي ينقل النفوس من الظلمات
الى النور ، ويخرج من الفجار أشخاصاً أخياراً ، ويجعل من الكافر
الملاحد ، مؤمناً ولياً ، وهذا النقال لا يعرج على قرية خاوية الا وأحيائها
ولا أرضاً قاحلة الا وأدسبها ، يهيء الاسباب ، ويرفع الحجاب ،
ويهيئ الأمور الصعاب ، ويحمل نوراً من أنوار الله يقذفه في قلب من
يشاء من عباده واتباعه الصالحين ، ويرشدهم الى جوهر العقول ،
وأسرار النفوس ، وأنوار الافكار ، وحكم الازهار ، ويطلعهم على السر
المكنون ، والنور الشريف اللطيف ، وهو علم الربوبية ، والسر الأمري ،
والرحمة الواسعة التي يخص بها من يشاء .

وقالوا : ان الانسان هو النفس قبل الجسم ، لأن نفسه لبست زمناً
طويلاً حتى عرفت وعقلت المعقولات ، أي عرفت أمام نصرها وزمانها ،
ولما عرفته ارتفعت الى عالمها النوراني ، عالم الملكوت الأعلى .

وقالوا : بأن الله أبدع من نوره الشمعاني صورة أزلية كاملة
دعاها العقل الكلي ، فكان حداً من حدوده أطلق عليه السابق لسبقه
الحدود الروحانية الى معرفة الخالق وتوحيده ، فكان أولاً لاحقاً ، ثانياً

موجوداً ، ثالثاً واحداً ، رابعاً تاماً ، خامساً كاملاً ، سادساً أزلياً ،
 سابعاً عاقلاً ، ثامناً عالماً ، تاسعاً قادراً ، عاشراً حياً ، وأطلق المبدع
 على هذا الملاك الأول والحد الأول ، اسم (القلم) وقال له : أقبل ،
 فأقبل ، وقال له : أدبر ، فأدبر ، فقال : بعزتي وجلالي ما خلقت
 خلقاً أعز منك ، بك أثيب ، وبك أعاقب ، وبك تبلغ النفوس المنازل
 العالية ، قد جعلتك وسيلتي لجميع عبادي ، من أطاعك فقد أطاعني ،
 ومن عصاك فقد عصاني ، وأفاض الله من نوره ومن العقل الكلي الفعال ،
 جوهرأ آخر في كماله ، دونه في رتبته . فكان ملاكاً ثانياً قابلاً للصورة
 وعن الملائكة وعالم الطبيعة يصور الانسان بالنفس والجسم . فترجم
 نفس الانسان الى ما عنه وجدت وهو الملائكة ، ويرجع جسمه الى ما
 عنه وجد وهو الهيولى والصورة .

وتقابل مراتب الموجودات أو مراتب عالم الصنعة الالهية ، ومراتب
 عالم الصنعة النبوية أو عالم الدين كما يلي :

١ - الناطق وهو الأصل الذي يصدر عنه الدين بما فيه من علم
 وعمل ، وبمن فيه من أئمة يدعون الى التحقق بكمال العلم عن
 طريق العبادة العلمية الباطنية ، والى التحقيق بكمال العمل عن
 طريق العبادة العملية الظاهرة .

٢ - وعن الناطق الذي هو أصل عالم الدين من جهة التركيب ، وجد
 الامام القائم بالفعل وهو الاساس .

٣ - وعن الناطق أيضاً وجد الامام بالقوة وهو الكتاب .

٤ - وعن الامام القائم بالفعل الذي هو الاساس وجد الأئمة القائمون
 بحفظ الشريعة ، وهم كثيرون .

٥ - وعن الامام القائم بالقوة الذي هو الكتاب وجدت الشريعة

الجامعة للعبادتين الباطنة والظاهرة علماً وعملاً ، وهي اشياء كثيرة .
٦ - وعن الائمة والشريعة يحصل كمال النفس البشرية ، اذ بالشريعة يحصل كمال العملي الذي يأتي من العبادة الظاهرة ، ومن الائمة يحصل كمال العلمي الذي يأتي من العبادة الباطنة .

وعدا عن هذه الآراء الفلسفية والنظريات العميقة أوجدوا نظريات الهياكل السبعة والادوار السبعة ، فقالوا عن الهياكل انها على نوعين : سبعة مؤتلفة ، وسبعة مختلفة . والنطقاء سبعة ، وأسسهم سبعة ، والائمة سبعة . فالنطقاء السبعة والاسس السبعة هم : آدم ، وأساسه شيث ، نوح وأساسه سام ، ابراهيم وأساسه اسماعيل ، موسى وأساسه هارون ، عيسى وأساسه شمعون الصفاء ، محمد ، وأساسه علي بن ابي طالب ، اسماعيل وأساسه قداح الحكمة .

والائمة السبعة هم : علي ، الحسين ، علي زين العابدين ، محمد الباقر ، جعفر الصادق ، اسماعيل ، محمد بن اسماعيل ، وطابقوا هذه النظرية على الاعداد ورتبوها كما يلي :

آدم : بمنزلة الاحاد ومنه السلالة .
نوح : بمنزلة العشرات وهو كالنطفة في الصورة الجسمانية .
ابراهيم : بمنزلة المئات وهو كالعلقة في الصورة الجسمانية .
موسى : بمنزلة الآلاف وهو كالمظام في الصورة الجسمانية .
عيسى : بمنزلة عشرات الالوف وهو كاللحم في الصورة الجسمانية .
محمد : بمنزلة مئات الالوف وهو كالصورة التامة .
القائم : بمنزلة آلاف الالوف وهو كالنفحة الاخيرة ، قائماً بالقبول ، أطلق عليه اسم اللوح المحفوظ ، فكان حداً ثانياً أبدعها الله بالكلمة

القدسية (كن) فكان ، الكاف منها دليلاً على السابق ، والنون إشارة إلى تاليه .

ف (كن) كلمة كلام الله الساري وحيّاً بلا واسطة ، فكان حداً ثالثاً ، أطلق عليه اسم (الجد) ، آخذاً من قوله تعالى « وانه تعالى جد ربنا » ونتج عن ذلك الحد الرابع الذي هو (الفتح) ، لانه فتح بالذكر ما صح بالفكر ، فتم بهذا الابداع الحد الخامس الذي أطلق عليه اسم (الخيال) لانه كان أول عارض تخيل بالفكر ، والنافخ الأول في نفخة البعث ، وبذلك قال أحد الدعاة :

غدا السابق السامي اليه وناله مع الجد والفتح والخيال الملام
واطلق على هذه الحدود الخمسة اسم الحدود العلوية الروحانية ، وقيل
عن النبي (ص) أنه قال : تسلمت من خمس وسلمت الى خمس وبين وبين
ربي خمس ، وأنا وآل بيتي خمس .

فالخمس حدود التي يعني رسول الله أنه تسلم منهم هم :

- ١ - آدم وحظه بحيرة الراهب
- ٢ - نوح وحظه خديجة بنت خويلد .
- ٣ - ابراهيم وحظه ميسرة
- ٤ - موسى وحظه عمر بن نافل
- ٥ - عيسى وحظه زيد .

أما الخمسة حدود التي سلم اليهم ملكة الدين هم : الاساس ، الوصي ،
والامام ، والحجة ، والداعي . والخمس التي بينه وبين ربه هم : العقل
النفس ، الجد ، الفتح ، الخيال . يقابلهم في عالم الملائكة ، القلم ، اللوح ،
ميكائيل ، اسرافيل ، جبرائيل . وقوله أنا وآل بيتي خمس ، يقصد :
محمد ، علي ، فاطمة ، الحسن ، الحسين .

وقالوا : ان جميع الانبياء ، لم يأخذوا التأييد ، ولا اتصل بهم الوحي الا عن طريق الحدود الروحانية ، الغير متشخصة ، وقد فسر أحد الفلاسفة الاسماعيلية قوله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولاً فيوحي بأذنه ما يشاء » بأن القسم الأول من هذه الآية هو رتبة (الجد) الذي هو كلام الله وحياً ، وكلمة من وراء حجاب ، هي رتبة (الفتح) ، وكلمة ويرسل رسولاً هي : رتبة (الخيال) ، وأفضى السابق الى تاليه بالمادة الارادية ، والمشئنة المقتضية ، وأفضى التالي الى الجسد ، وهو اسرافيل بما يجري في العالم الروحاني ، فأفضى به اسرافيل إلى الفتح وهو ميكائيل الذي أبلغه إلى الخيال جبرائيل ، فبلغه جبرائيل إلى الناطق الحي ، الذي يمثل في دوره ، السابق ، كما يمثل الحجة أي الاساس دور التالي ، ويمثل الداعي الجسد ، والمأذون الفتح ، والمكاسر ، الخيال في كلا الدورين . فقول النبي : اني آخذ الوحي عن جبرائيل ، وجبرائيل يأخذه عن ميكائيل ، وميكائيل يأخذه عن اسرافيل ، واسرافيل يأخذه عن اللوح ، واللوحي يأخذه عن القلم . أنه يعني بذلك اني آخذ الوحي عن الخيال ، الذي يأخذه عن الجسد ، عن التالي الذي يأخذه عن السابق ، فيكون قد أخذ عن خمسة حدود علوية اتصل عنهم خمسة حدود أرضية هم : النطقاء عن السابق ، والاصياء عن التالي ، والدعاة عن الجسد ، والمأذونون عن الفتح ، والمكاسرون عن الخيال .

والمأذونون ، والمكاسرون أقرب الحدود إلى المستجيبين ، ومرتبتهما كبيرة ، لا تتوافر إلا فيمن كان على علم تام بالعقائد ويعرف مواضع الضعف فيها ليتمكن من مجادلة أصحاب الفرق الاخرى وإظهار ما في معتقداتهم من أخطاء لترغيب المستجيبين ، وإذا ما طبقنا نظرية المثل

والمعقول يكون في العالم الارضي حدود جسمانية تماثل الحدود العلوية وتتصف بصفاتها وتسمى باسمائها ، لأن الله سبحانه وتعالى المنزه عن الاسماء والصفات ، أقام العالمين العلوي والسفلي بعشرة حدود كاملة ، خمسة حدود روحانية ، وخمسة حدود جسمانية ، فالحدود الجسمانية أو الارضية هم : النبي والوصي والامام والحجة والداعي ، يقابل كل منهم : السابق والتالي والجد والفتح والخيال ، وان العالم العلوي يمد العالم السفلي وعالم العرش يمد عالم الكرسي وعالم الكرسي يمد فلك زحل ، وفلك زحل يمد فلك الشمس ، وفلك الشمس يمد فلك الزهرة ، وفلك الزهرة يمد فلك عطارد ، وفلك عطارد يمد فلك القمر ، وفلك القمر يمد فلك الحرارة ، وفلك الحرارة يمد فلك الهواء ، وفلك الهواء يمد فلك الماء ، وفلك الماء يمد فلك التراب .

والوجود بحد ذاته تأسس من علتين : احدهما الأمر وهو علة العلل ، والثاني العقل الفعال وهو علة ومعلول ، والأمر هو المادة الالهية التي تمد العلة الثانية ولا تستمد منها ، والأمر والباري كلمة واحدة تستمد منها كافة الحدود الروحانية ، وقد يظهر الأمر في العالم السفلي متجسداً في صورة الحجاب البشري ، وقيامه بالمدة المقررة ، فاذا غاب الامام انتقل الأمر إلى شخص آخر من ولده بموجب النص ، فهو إذن علة الوجود كما ان الواحد علة الاعداد ، ومنه تكونت كسورها وأعدادها ، والأمر هادي بذاته ، لأنه يمد ولا يستمد ، بينما العقل يمد ويستمد ، فهو هادي بهديته ، لان مادته من الأمر استمدتها لانه علة ، والأمر ظهر في العالم السفلي في صورة الحجاب البشري ، والأمر هو الامام بالحقيقة لانه هادي بجوهره وهو الأمر ، والجسم البشري حجاب له قد سمي باسمه .

وقالوا في التوحيد : ان كون المبدع سبحانه لا مثل له ، ليس يتعلق بتوحيد الموحدين ، ولا بتجريد المجردين ، فيخرج من أن يكون لا مثل له ، إذا لم يوحد الموحدون أو عن نعوت مبدعاته إذا لم يجرده المجردون ، بل هو تعالى - تكبر ووجد الموحد أو لم يوجد ، وبجرد المجرد أو لم يجرد - لا مثل له ، إذ لو كان لكافا اثنين ، ولكافا من حيث كونها اثنين يوجد في كل واحد منهما ما يباين به الآخر ، وبه تقع الاثنينية فيكون لكل واحد منهما جزءان بها ، وجود ذاتهما : احدهما الذي أعطى كلا منهما ما اختص به وباين الآخر وهو بالالهية أخرى ، وهو تعالى من العلاء في ذروة لا يجوز أن يكون غير يسبقه أو يتأول عليه ، والذي يكون بهذه المثابة لا يكون له ضد ولا مثل .

وليس التوحيد تدقيق المعنى في الاخبار عن الله تعالى بأنه فرد ، فيكون المدقق موحداً ، ولا تخصيص الله تعالى بمعنى من المعاني فيثبت أنه بذلك المعنى فرد ، إذ عظمة كبريائه في حجاب من الامتناع عن أن تكون الحروف تترجم عنها بوجه من الوجوه ، وكيف تترجم الحروف عنها ولا تعلي لها مناراً في تأليف لبدل الا وماء قدرته يفيض ولا ينبيء منها نبأ لينطق بمعنى يدق أو يحل الا وعجزها يفرخ ويبيض ، وتعالى الاله المعبود عن قضايا العقلات ، وتقديس عن نعوت الطبيعيات ، وإنما هو (أي التوحيد) مصدر على التفضيل ، وله من معناه وجهان احدهما منسوب إلى ابداع المبدع تعالى وتقديس ، والآخر منسوب إلى فعل المؤمن الموحد ، فالذي هو منسوب الى ابداع المبدع تعالى وتقديس هو أن يقتضي موحداً ، وهو الفاعل للواحد ، وموحداً وهو المفعول للواحد ، وإذا كان التوحيد فعل الموحد بمعنى الفاعل للواحد فكان الواحد قد يقال على أوجه منها : ان يكون الواحد واحداً بثنائي ذاته الى جهات يفارق

غيره ، مثل أشخاص الأشياء المحسوسة ، وهو مستحق من هذه الجهة لأن يقال انه واحد ، وتناهيه الى الجهات واستيعاب الحدود جملة يدل على أن هذا الواحد محدث ، ومنها ان يكون الواحد واحداً ، بمعنى ان يختص بمعنى لا يوجد في غيره ، مثل قوة حجر المغناطيس في حجر الحديد ، وهو مستحق من هذه الجهة ان يقال انه واحد ، واختصاصه بهذا المعنى من دون غيره يوجب ان يكون هذا الواحد محدثاً . ومنها ان يكون واحداً مطلقاً ، فالواحد المطلق ناطق عن ذاته بالازدواج الذي هو الوحدة وحاملها ، وجميع هذه الوجوه توجب ان يكون الواحد على الاطلاق محدثاً ، وإذا وجب ان يكون الواحد على الاطلاق محدثاً ، كان منه الايجاب بأن التوحيد هو فعل الواحد الناطق عن ذاته بمحدثه لا يليق بمجد المبدع سبحانه وتعالى كبرياؤه ، اذ المبدع تقدس موحد بمعنى انه مبدع الواحد والاحد والله بريء من الصفات الواقعة تحت اختراعه ومتقدس عنها لا سيما انه تعالى فاعل على هذه الصفات وفاعل الأشياء كلها . هذه هي الخطوط الرئيسية التي تتركز عليها عقائد الاسماعيلية ، والتي تستمد اصولها من جوهر الاسلام الصحيح ، وتلتقي في اهدافها العليا مع احكام الله في آياته البينات ، وتقر بوحداية الخالق وتنزهه عن الصفات والأشياء ، مع الاستمسك بكافة الشرائع السماوية والاعتصام بآل البيت الائمة الاطهار .

الأئمة الاسماعيليون منذ بدء الخليقة

قلنا بأن علماء الدعوة الاسماعيلية يذكرون في كتبهم السرية بأن دعوتهم قديمة قدم هذا الوجود ويستدلون على هذا القول علمياً وعقائدياً ، لذلك لا بد لنا ونحن نستعرض تاريخ الدعوة الاسماعيلية من ايراد بعض اقوالهم المتعلقة ببدء الخليقة والاتيان على ذكر الائمة منذ أقدم العصور حتى يأتي بحثنا مفيداً وتاماً .

تحدث اخوان الصفاء عن بدء الخليقة وعن الأمور الالهية الروحانية وحدوثها دفعة واحدة فقالوا : « أما الأمور الالهية الروحانية فحدوثها دفعة واحدة مرتبة منظمة بلا زمان ولا مكان ولا هيولى ذات كيان بل بقوله (كن فيكون) ، والأمور الروحانية الالهية هي : العقل الفعال ، والنفس الكلية ، والهيولى الاولى ، والصور المجردة . والعقل هو نور الباري تعالى وفيضه الذي فاض أولاً . والنفس هي نور العقل وفيضه الذي افاضه الباري منه ، والهيولى الاولى هي ظل النفس وفيها ، والصور المجردة هي النقوش والاصباغ والاشكال التي عتمها

النفس في الهيولى باذن الله تعالى وتأيدته لها بالفعل . وهذه الامور كلها بلا زمان ولا مكان بل بقوله (كن فيكون) كما قال : وما أمرنا الا واحدة كلمح البصر . ثم ان الاركان الاربعة متقدمة الوجود على مولداتها بالايام والشهور والسنين كما ان الافلاك متقدمة الوجود على الاركان بالازمان والادمار والقراءات ، وعالم الارواح متقدم الوجود على عالم الافلاك بالدهور الطوال التي لا نهاية لها ، والباري تعالى متقدم الوجود على الكل كتقدم الواحد على جميع الاعداد ^(١) .

وقال أحد الدعاة :

لا نريد ان نتكلم عن بدء الخليقة وابتداء دور الشر والتقية واحتجاب دور الكشف والمشينة واطهار الرسل للبرية وهم الاشخاص من البشرية والصورة الادمية ، لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم على صورة الرحمن وهي الصورة الدينية والخلقة القدسية ، فعند ذلك أمر جبرائيل فأخذ قبضة من طين الايمان ، وعجنها بحقائق البيان ، ومدّها كصورة الرحمن ، واكمل بها حلة الدين القويم ، وجعلها طريقاً مستقيماً وحكمة للعالمين وهي صورة آدم الأول منتهى دور المشينة ، ومبتدأ دور التقية القائم بقوة الأب ، المؤيد بحكمة الرب ، وقد كان زمان دور المشينة والكشف للبرية سرّاً في الوجود وقطباً في العمود ، ونوراً ساطعاً بالبرهان وجوهرراً حاملاً للايمان ، وعزماً جارياً بباطن الامور في ملكوت المادة المطلق ، وجوهر الحجاب الاسبق ، وهو واجد الخلق وحجاب الحق ، فلما كثر بين العالمين الفساد ، وانحل في نفوسهم عقد الوداد ، وحادت عقولهم عن طريق الرشاد ، عندئذ بدت من النور الحقيقي إرادة معنوية

(١) رسائل اخوان الصفا ٣ - ٤٣١ .

ونظرة أزلية ، فأراد أن يحتجب عن أهل ذلك الزمان ويدور دوران القرآن ، ويبعث رسلاً بالاعذار والالذار ، ويظهر وجود الشرائع بعالم الكون والفساد ، ويستر وجود الحقائق عن عصابة الاضطهاد . فعند ذلك نظر ذلك الامام الحكيم ، والسيد الكريم ، والبناء العظيم ، والصراط المستقيم ، والحجة على أهل السموات والارض ، نظرة لطيفة فجمع بنفسه جميع الكائنات ، ولطائف الموجودات ، وسائر اسرار المغيبات ، وفك اسرار الوجود ، فتوجه نحو مدار (برج الحمل) تحت خط الاستواء ، عند شجرة طوبى ، في جوار العرش العظيم ، والنور القديم ، حيث مدينة (بوسباط) .

وكان أهل تلك المدينة ، أهل معارف وايمان ، وحقائق وبيان ، وسر واعلان ، فأقام الامام عندهم مدة مديدة ، وأياماً عديدة ، يعلمهم الحكمة والبيان ، وأسرار الزمان ، وكان آدم في ذلك الوقت رجلاً من أهل الدعوة الحقيقية ، والملة الاسماعيلية ، ومن بعض المؤمنين المستمعين لحكمة ذلك الرب الشفيق ، والسر الدقيق ، فقربت نفسه بالمعارف ، وتشيدت اركانها باللطائف ، عندئذ نظر اليه ، وأفاض النعمة عليه ، وأرشده إلى معرفة الادوار ، وجعله حجاب الاستار ، وعلمه الاسماء الكليات ، ومعاني الجزئيات ، وعرفه على الملائكة القائمين بعلوم الافلاك وكلمهم بأوضح الخطاب ، فما أعطوا جواباً ، وقالوا : (سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم) فقال تعالى : (يا آدم أنبئهم باسمائهم) . فلما أنبأهم بتلك المعاني الخفية ، والحكمة الدينية ، خروا اليه ساجدين ، ولأمره طائعين ، ولقوله تابعين ، إلا ابليس ، فانه أبا أن يكون من الساجدين ، (وهو الحارث بن مره) وكان هذا الحارث حجة من حجج الامام ، ومطلع على الحقائق والبيان ، فحسد

آدم على ما اعطاه ذلك الحكيم الاعظم ، والنور الأتم ، وقال : يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ، وملك لا يبلى ، ومقام لا يرام ، ومقصد لا يتغير ، لأنه مبدأ النفوس ، والملك الحقيقي والنوراني ، ومحل سر صاحب دور الأدوار ، وعزة الجبار ، عند سدرة المنتهى في جوار العلي الاعلى ، عندئذ سمع وصفي آدم اليه ، وظن أنه شفيق عليه ، فقال له : يا آدم إشرح لي ما قاله لك الامام ؟ فباح له عند ذلك بما أوصاه اياه ولي الأمر ، وحكيم العصر .

ولما علم ذلك الامام طردهما من دعوته ، وسد عنها باب رحمة ، حتى أعلن آدم توبته ، وصفاء نيته ، وإخلاص حقيقته ، فتاب عليه ، وقربه إليه ، وعلمه المعاني الالهية ، والحكم الربانية ، ونفخ فيه الروح الأبدية ، ورتب له حدوداً وحججاً ودعاة ، وعرف عليه جميع أهل دعوته ، وجعله حجاباً له ، وباباً لا يدخل إليه إلا من أظهر الشريعة ، وستر الحقيقة ، وشيد له الأركان ، وعمر البنيان ، واستقر بآدم عليه السلام ، وكان قبل تسليمه اليه ، والنص عليه ، ان احضر ذلك الامام وهو (هنيذ) ولده هابيل وسلم الأمر اليه ، وأمره أن يسلم لآدم ، ويقوم بجميع أعماله ، ويساعد على قيام الشريعة ، ثم أقبل على آدم وقال له : هذه وديعتي معك سلمها لولدي هذا حتى استقرت أحوالك . عندئذ قبل كل منها بما فوض اليه ، واستقر الامام ، وقام آدم بالشريعة ، وهابيل بالحقيقة ، حتى قتمة الدور وكال الأمر ، ورجوع السر إلى مستقره ، والحق إلى أهله (١) .

وأتى اخوان الصفاء على ذكر بدم الخليفة بقولهم (٢) :

(١) الحدواند عزيز شاه : ورقة (٣٦ - ٣٧) مخطوط بمكتبي الخاصة .
(٢) جامعة الجامعة : ورقة (٣٠ - ٣٢) نسخة خطية في مكتبي الخاصة .

« لما خلق الله آدم اسكنه الجنة التي هي دار كرامته ، ومحل نعمته ، في جواره الامين ، وقراره المكين ، مقر عبادة المصطفين من الملائكة المقربين ، وعهد اليه أن لا يقرب شجرة عرفة بها ، ونهاه عن أكلها ، وأعلمه انها محذورة إلى وقت معلوم ، وان بها يكون العمود الى البداية ، وانها لا تبدو ثمرتها ، ولا يحل أكلها ، إلا عند النهاية ، وانها بقية دور الكشف الأول ، فيكون أول مدة دور الستر الذي قدر الله سبحانه أن آدم أول المتخلفين فيه ، إن ثمر تلك الشجرة يكون مستوراً في أكمامها ، مخبوءاً تحت ورقها ، مكنياً في أغصانها ، مخفياً لا يكاد مخلوق في دور الستر يقف عليه ، ولا يصل اليه ، ولا يتناول شيئاً منه إلا في الوقت الذي قدره ، والزمان الذي يسره ، إذا بدا دور السعادة بظهور النفس الزكية ، في يوم العرض الثاني ، وتجلت النفس الكلية لفعل القضاء ، فعند ذلك تبدو شجرة سدرة المنتهى ، وبها تكون النشأة الأخرى .

وعهد الله الى آدم وأطلععه على ذلك ، وأعلمه أنه لا يكون في وقته ، ولا يتهيأ له في زمانه ، وأباحه ما سوى ذلك من أكل الشجر ، والتناول من أصناف الثمر ، ما يكون غذاء له ، ولمن هو معلم له ، فلما زين الشيطان سوء عمله ، وحمله على ارتكاب ما نهى عنه ، وأخذ ما لا يحل له ، وتناول ما خطر عليه ، ولم يمكنه ذلك منه ، إلا بالحيلة عليه ، والملاطفة له ولزوجته ، وكان من حاله انه جاءه في صورة الناصح المشفق ، فطلب منه الفائدة بالسؤال والتدلل ، فقال له : قد أتاك الله من العلم والحكمة والمعرفة ، ما لم يؤته أحد قبلك ، وقد فضلك على ملائكته الذين أمرهم بالسجود لك ، والخضوع بين يديك ، وجعلك معلماً لهم ، تعلمهم اسماء ما يكون ، ولم يبق عليك إلا معرفة شيء

واحد ، ولو عرفته لكنت من الملائكة العالين ، الذين لم يؤمروا بالسجود لك ، ولم يدخلوا في طاعتك ، ولهم المقامات العاليسة ، والدرجات السامية عند الله سبحانه وتعالى . فقال آدم : وما هذا العلم الذي أخفاه الله عني ولم يطلعني عليه ، وقد علم اني محتاج اليه ، وغير مستغني عنه ؟ فقال له : هو علم القيامة ، وكون النشأة الأخيرة ، والبروز لفصل القضاء ، وكيفية الصور الروحانية المعراة من الاشخاص الهيولانية في دار البقاء . ولو علمت هذا أنت وزوجك لكنكما ملكين ، وكنتما من الخالدين ، غير انهما لو كانا من أهل دور الكشف لكانت خلقتكما روحانية ، ولم تكن جسمانية إذ كان البقاء والخلود على الأفضل بالنفس أشبه من الجسم ، فعند ذلك اشتاقت نفس آدم إلى ذلك ، وأراد الاطلاع عليه بالاظهار له من حد القوة الى حد الفعل ليرى كيف يكون دور الكشف ، وكيف يكون قبول أهل ذلك الزمان ، وإستجابتهم إليه ، وكيف تكون منزلة النفس الزكية في ذلك الوقت ، فأبسى شيئاً مما نهى عنه لغير أهله ، واطلع عليه غير مستحقه ووضع منه شيئاً في غير موضعه ، فكانت بمنزلة الأكل الذي نهى عنه ، فلما بدا ذلك منه ، اضطربت عليه أحواله واستوحشت منه أعماله ، ونفرت منه الوحوش التي كانت قد أنست به ، وتباعدت عنه الطيور ، السقي كانت قد ألغت صورته ، ونزع عنه لباسه ، وبدت سوأته ، وانكشفت عورته وظفر به عدوه ، وأقبل يفرق عنه جموعه ، وبعد أهل الجنة عنه ، فعند ذلك ناداهما ربهما (ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ، وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ؟) قالا : ربنا ظلمنا أنفسنا فوضعنا ما نهينا عنه ، في غير موضعه ، ودفعناه إلى من لا يستحقه ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال : (اهبطوا بعضكم لبعض

عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع إلى حين . فأهبط من دار الملائكة التي كان فيها ، وأخرج منها إذ كان أهل الجنة قد سثموا موضعه ، واستوحشوا من شخصه ، لما بدت سوءاته ، وانكشفت عورته ، ورأوه بعين من جاءهم بما ينكرونه ولا يعرفونه ، فظفر به عدوه ، وخرج آدم وزوجته سائحين في الأرض لا يدريان أين يتوجهان في بلاد الله عز وجل وبهما من الندامة ما جاوز وصف الواصفين ، وكيف لا يكون ذلك ، وقد زالت الرئاسة عنها وتدير السياسة النبوية منها ، فلما طالت الهنة بآدم استرجع القول ونادى ربه وتوسل اليه بالقائم في ذلك الوقت الذي تظهر فيه الحقائق ، وباصحاب المقامات العالية في ذلك الزمان الذين هم الكلمات التامات والآيات الباهرات ، وأنه لم يعتمد ذلك ، وإنما اشتاق إلى تلك المنزلة الجليلة ، والدرجة الرفيعة بغير انكار ولا استكبار عن الاقرار بفضل صاحبها ، فعند ذلك تاب الله عليها ويسر لها المعيشة ، وبعث اليها ملكاً من ملائكته فعلمها ما يحتاجون اليه في الحياة الدنيا لقوام الاجسام في محل الكون والفساد ، وتلقى التأييد والوحي والالهام ، وأمر بإقامة الشريعة والسجود والعمل بالحسنى ، وإظهار الصنائع ، وكثر أولاده ، وانتشر نسله ، واتسعت دعوته ، وعمرت داره ، وقر قراره ، وكان على ذلك مدة ما شاء الله سبحانه أن يبقى إلى أن استكمل أجله ، فنقله إلى دار البقاء ، وأراه ما عجل فيه ليراه وهو في محل الأجسام ، فلم يخب سعيه ، ولا حبط عمله ، لما تاب وأتاب .

ولو أردنا الاتيان على ذكر كل ما قاله الدعاة والعلماء الاسماعيلية حول بدء الخليقة لاستغرق ذلك منا صفحات .. وصفحات .. لذلك نكتفي بما أوردناه ونقدم فيما يلي لحة موجزة عن الائمة الاسماعيلية منذ هبوط آدم والأدوار والأكوار والفترات والقراءات كما جاءت في الوثائق السرية

الاسماعيلية ، وفي شجرات النسب المحفوظة لدى الاسماعيلية .

الدور الاول :

يبتدىء هذا الدور منذ هبوط آدم ، ويستمر حتى ابتداء الطوفان ومدته الفان وثمانون عاماً وأربعة أشهر وخمسة عشر يوماً . ويسمى (دور التكوين) ، وامام هذا الدور هو هنيذ الذي تعهد وأقام الناطق آدم . ولهذا الدور أساسان هما هابيل وشيث ، الأول قتل بيد أخيه « قابيل » فاستلم منصبه بعد وفاته « شيث » . وتدل المصادر التاريخية أن سبب تسمية آدم على قولين : أحدهما لأنه خلق من اديم الأرض وهو وجهها ، والثاني لأنه مشتق من أدمه وهي سمرة اللون ، وهو اسم عربي وليس بمعجمي ، وكنيته أبو محمد اظهاراً لشرف نبينا محمد . وكان أمرداً وإنما نبت لحاً لولده من بعده ، وكان كثير الشعر في بدنه جعداً وأنزل الله عليه عشر صحائف في عشرين ورقة ، وقد علمه الله الاسماء كلها ، وكان يتكلم بألف لسان ، كذا نقله النسفي في بحر العلوم ، وكان لغته في الجنة العربية . فلما عصى واخرج من الجنة سلبه الله العربية فتكلم السريانية ، وولده أربعون ولداً في عشرين بطناً ، ولما احتضر كانت مدة مرضه احدى وعشرين ، وتوفي وغسله شيث وصلى عليه ودفن في جبل أبو قبيس في غار ، فظل حتى استخرجه نوح يوم الطوفان وحمله معه في تابوت في السفينة فلما خرج منها رده إلى مكانه ، وقيل دفن في بيت المقدس ، وقيل في مشارق الفردوس عند قرية كانت أول قرية في الأرض . وعاشت حواء بعده سنة واحدة . ولم يمض آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعون ألفاً وقيل ألفي ألف ، وعاش تسعمائة وثلاثون سنة . وتقول بعض المصادر الاسماعيلية ان هناك ما يقارب ستون إماماً كانوا قبل آدم وآخرهم هنيذ . ويعتبر ملك بن متوشلخ متم هذا الدور .

العدد	الامام المستقر	الفترة		الامام المقيم	أساس الدور	منتهم الدور	ناطق الدور	الامام المستودع	ملاحظات
		من سنة	الى سنة						
١	أنوش بن شيث	٤٣٥	١٣٨٥	هشيد	هابيل ١٣٠ - ٢٢٥		آدم عاش ٩٣٠ سنة	حنوك	الارقسام التاربخية المذكورة اعتبرناها من هبوط آدم حتى الطوفان .
٢	قينان بن أنوش	٦٢٥	١٥٣٥		ثيث ٢٣٠ - ١١٤٤			عيراد	
٣	مهلائيل بن قينان	٧٩٥	١٦٩٠					عويافيل	
٤	البارد بن مهلائيل	٩٦٠	١٩٢٢					متوشائيل	
٥	اخنوخ بن البار	١١٢٢	١٤٨٧					هرمس	
٦	متوشلخ بن اخنوخ	١٢٨٧	٢٢٤٢					يورال	
٧	ملك بن متوشلخ	١٤٥٤	٢٣٤٦			ملك بن متوشلخ			

الدور الثاني :

يبدأ هذا الدور من طوفان نوح حتى ولادة ابراهيم وقيل ان مدته ٧٤٢ سنة و ٧ أشهر وخمسة عشر يوماً ، وقيل تسعمائة واثنان وسبعون سنة وستة أشهر وخمسة عشر يوماً ، وقيل الف عام . وقد نسخ ناطق الدور نوح ما جاء به آدم من الأمر ، ونصب نوح قبلته إلى المغرب وصلى إليها ، ثم أشرق من نوره في أساسه سام ، وتنقل حتى ظهور صاحب الدور الثالث ابراهيم . وأساس هذا الدور هو سام الذي عاش من العمر ٦٠٠ عاماً . ويعتبر ناحور هو الامام المتم للدور الثاني . ويذكر التاريخ أن نوحاً ولد سنة ١٦٤٢ من ولادة آدم ، وعندما بلغ من العمر ٦٠٠ عاماً جرى الطوفان الذي ابتداء في العاشر من شهر رجب سنة ٢٢٤٢ من هبوط آدم ، ودام الطوفان ستة أشهر وانتهى في العاشر من شهر محرم سنة ٢٢٤٣ . وقيل ان نوح كان دقيق الوجه في رأسه طول ، عظيم العينين ، غليظ العضدين ، كثير لحم الفخذين ، ضخمة السرة ، طويل اللحية والقامة ، وهو أول نبي نباه الله بعد ادريس وأول نذير لأهل الأرض من الشرك ، وهو من أولي العزم ، وهو أول نبي عذبت أمته بدعوته ، وهو أول من قرر المواقيت للصلاة ، قال وهب كان عمره الف سنة لأنه بعث إلى قومه وهو ابن خمسين سنة ولبت يدعوم إلى أن مات تسعمائة وخمسين سنة . وقال شداد ان عمره الف وأربعمائة وثمانون سنة ، وقد اختلف في مكان قبره فقيل بمسجد الكوفة وقيل بالجبل الاحمر وقيل بذييل جبل لبنان بمدينة الكرك ، وقد أجمع العلماء على أن الله تعالى جعل جميع خلقه بعد الطوفان من صلبه .

العدد	الامام المستقر	الفترة		الامام المقيم	أساس الدور	متسم الدور	تألق الدور	الامام المستودع	ملاحظات
		من سنة	الى سنة						
١	أرفخشذ بن سام	٢٢٤٤	٤٦٥	هود	سام		نوح	لاود	يمتدح تاحور الامام المتسم للدور الثاني وهو سابع أئمة هذا الدور ومن عقبه أئمة الدور الثالث .
٢	شالغ بن ارفخشذ	٢٧٦	٥٦٧					ارم	عاش ارفخشذ ٤٦٥ سنة
٣	عابر بن شالغ	٤٦٦	٩٣٠					يقطان	د شالغ ٤٦٠ سنة
٤	فالغ بن عابر	٥٤٠	٨٧٩					عيل	د عابر ٤٦٤ سنة
٥	ارغو بن فالغ	٦٧٠	١٠٠٩					عوص	د فالغ ٣٣٩ سنة
٦	شاروخ بن ارغو	٨٠٢	١١٣٢					بشجب	د شاروخ ٣٣٠ سنة
٧	تاحور بن شاروخ	٩٣٢	١١٤٠					اسحق	د تاحور ٢٠٨ سنوات

الدور الثالث :

يبتدىء هذا الدور من ولادة ابراهيم الخليل حق ظهور موسى ومدته ألف ومائة وخمسون عاماً وقيل سبعة أشهر وثمانية أيام . وهو دور ابراهيم وصنوه النمرود بن كنعان . واسم ابراهيم سرياني ومعناه بالعربية أب حيم وهو نبي الله وخليله وجعله الله من أولي العزم وهو أبو الأنبياء وتاج الأصفياء . وأنزل عليه عشرين صحيفة وهو أول من أضاف الضيف وأول من اختتن واستنجد بالماء واستنشق بالماء ، وأول من صافح وعانق ، وهو أول من شاب وكان مولده بالسوس من أرض الاهواز في زمن النمرود ، وقيل أنه كان يشب في كل يوم ما يشب غيره في شهر ، وقيل انه تكلم وهو ابن سنة . وهو أول من اتخذ السراويل لستر عورته ، وأول من هاجر من وطنه إلى طاعة الله وعاش مائتي سنة ودفن في مزرعة حمرون وكان اشتراها وفيها قبر زوجته سارة . ولده الأكبر اسماعيل ، والدته هاجر ، وقد عاش ١٣٧ سنة ودفن في بيت الله الحرام ، وولده الثاني اسحق ، والدته سارة وقد استوطن بين الشام والقدس ، وعاش ٢٨٠ عاماً ودفن في بيت المقدس .

نسخ ابراهيم ناطق الدور الثالث شريعة نوح ونصب قبلته إلى البيت وانتقل النور الى أساسه اسماعيل ، وتمام هذا الدور (آد) الامام السابع .

العدد	الامام المستقر	الفقرة		الامام انقيم	اساس الدور	متم الدور	الناطق	الامام المستودع	ملاحظات
١	قيدار بن اسماعيل	١٥٠	٢٢٠	قارح	اسماعيل ٨٦ - ٢٢٧		ابراهيم ١٠٨١ - ١٢٥٦	يعقوب بن اسحق يوسف بن يعقوب افرايم بن يوسف رازح بن عصي ايوب بن موسى يوفان بن ايوب شعيب بن صيفون	يمتد اسماعيل أول من تسمى بهذا الاسم من بني آدم أرسله الله الى اخوته من جرم واليه انتقل النور وهو النبيح على الصحيح، قيل عاش مائة وسبعة وثلاثون سنة وقبره ما بين الميزاب والطجر
٢	سلامان بن قيدار	١٨٠	٢٦٠						
٣	نبت بن سلامان	٢١٠	٣٠٥						
٤	الميسع بن نبت	٢٩٠	٣٧٠						
٥	يقدم بن الميسع	٣٤٠	٤٠٥						
٦	آد بن يقدم	٣٨٠	٤٧٠						
٧	آد بن آد	٤٢٥	٥١٠			آد بن آد			

الدور الرابع :

مدة هذا الدور ألف ومائة وست وثلاثون سنة وسبعة أشهر وثمانية وعشرون يوماً ، وأساس هذا الدور هو هارون ، وقد توفي بحياة أبيه فصار كفيلاً لأولاده يوشع بن النون الذي أصبح أساساً ثانياً مستودعاً ، وأولاده من بعده أئمة استيداع . وناطق هذا الدور هو موسى الذي نسخ شريعة إبراهيم ، وتوجه إلى المغرب اقتداءً بأبيه نوح . وانتقل الأمر إلى أساسه المستودع يوشع بن النون .

العدد	الامام المستقر	الامام اعظم	اساس الدور	متم الدور	الناطق	الامام المستودع	ملاحظات
١	عدنان بن آد	آد بن ادد	هرون ٤٤٢		موسى ٤٢٥-٥٤٥	ابلييا بن بسباس	هناك من يزعم ان متم هذا الدور هو الامام المستودع زكريا وهذا مخالف للنظام الاسعادي العام . اذ لا يمكن ان يكون المتم الا الامام المستقر . وهو خزيمية ابن مدركة . لم تتمكن من العثور على تاريخ الفترة بالضبط .
٢	معد بن عدنان	يوشع بن النون ٤٣٦-٢٨				اليسع بن أخطف	
٣	نزار بن معد					صوييل الرائي	
٤	مضر بن نزار					داود بن بسي	
٥	اللياس بن مضر					سليمان بن داوود	
٦	مدركة بن اللياس					عمران بن مساثان	
٧	خزيمة بن مدركة			خزيمة بن مدركة		زكريا بن برخيا	

الدور الخامس :

مدة هذا الدور خمسمائة وسبعون سنة وسبعة عشر يوماً وقيل ستائة سنة ، ومثل عيسى ناطق هذا الدور كمثل آدم انتقل النور منه إلى وصيه شمعون الصفاء ، وقد بلغ هذا الدور حد الكمال والتام فاقضى أن يكون من أربعة عشر إماماً مستقراً يقابلهم سبعة أئمة مستودعين ، أي أن كل امام مستودع كان معاصراً لامامين مستقرين ، وكان لثم الدور عمران (أبو طالب) قوة مرتبة الألف . وأن أساس الدور شمعون الصفا أو سيمان بن يوثان أو بطرس الراهب هو مربّي ناطق الدور عيسى ، وكان دعاء الامام المستودع السابع بجيرا الراهب في الجزيرة العربية هم : عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل ، وزيد بن عمران .

وقيل ان بجيرا الراهب قد سلم الامام المستقر وراثته الانبياء المستودعين للمقيم أبو طالب عندما جاء إليه من الجزيرة العربية إلى دير بصرى الشام مع النبي محمد (ص) .

العدد	الامام المستقر	الامام المقيم	أساس الدور	متم الدور	ناطق الدور	الامام المستودع	ملاحظات
١	كنانة بن خزيمعة	خزيمعة	شمعون الصفا		عيسى	مرفص او عبد المسيح	
٢	النضر بن كنانة					فيلبس	
٣	مالك بن النضر					اسطفانس	
٤	فهر بن مالك					هرقل	
٥	خسالب بن فهر					أرميا	
٦	لؤي بن خالب					مروة الراهب	
٧	كعب بن لؤي					جرجس - بكيرا	
٨	مرة بن كعب						
٩	كلاب بن مرة						
١٠	قصي بن كلاب						
١١	عبد مناف بن قصي						
١٢	هاشم بن عبد مناف						
١٣	عبد المطلب بن هاشم						
١٤	عمران (ابو طالب)				عمران (ابو طالب)		

على هذه الصورة رتب دعاة الاسماعيلية الفترات والقرانات التي تبدأ
 بهبوط آدم وتنتهي بظهور النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، والفترة حسب
 التعبير الاسماعيلي هي المدة بين الناطق والناطق وربما كانت ألف وخمسمائة
 عام . فالمفروض أن تقسم هذه الفترة على الأئمة السبعة والتمتين ، فإذا
 أعطينا كل واحد من هؤلاء الأئمة السبعة مائة عام كان المجموع سبعمائة
 عام ، أي أقل من المدة المطلوبة ، وإذا جعلنا عدد الأئمة أكثر من
 سبعة تجاوزنا النظام والأصول ، وهذا لا يجوز مطلقاً ، فعند ذلك تقع
 الفترة حتماً ، وهي مشتقة من الفثور ، أو الملل ، أو الاعياء . والفترة
 التي تقع بين الأدوار يلحق النفوس الجزئية الاعياء من العالم الجسماني
 فتعجز عن قبول التأييد . ومتى انقضت الفترة يزول الاعياء ، وتظهر
 النفوس زكية ، فتقبل التأييد ، وفي هذه الحالة يتسلم الأمر اللواحق
 وبعض الأجنتة . والامامة لا تنقطع لأنها الحجة على الخلق ، ولا تنتهي
 عند فساد أهل العصر ، ولكن يكون سكون الامام وانفراده مثل
 الانقطاع ، وفي عهد محمد (ص) زالت الفترات .

أخبار

الأئمة الإسماعيليين الأطهار

من عهد الامام علي بن ابي طالب حتى عصرنا الحاضر

الامام علي بن أبي طالب

أول ما تفتحت عيننا الامام علي على نور النبوة وخلق الرسالة فاغتنى من قبسها المنير ما سدد سبيله وهدى قلبه وأثار فكره الشاقب ، وتفتحت عيناه أيضاً على نور الامامة ينبعث من جانب والده (أبي طالب) مربي (محمد) فأثار جانب نفسه المتعطشة إلى المجد والحق والايمان والصدق والتفاني .

ولد الامام علي بن أبي طالب سنة ٦٠٤ ميلادية الموافق ليوم الجمعة الثالث عشر من رجب سنة ٣٠ من عام الفيل . وكانت ولادته في وسط الكعبة الشريفة ، والده هو الامام أبو طالب والدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . قال الشيخ المفيد : لم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله تعالى سواه . وقيل ان أمه سمته حيدر به اسم أبيها أسد (الحيدر هو الأسد) . ثم غيره أبوه فسماه علياً ، وبه عرف واشتهر وكان أصغر أبناء أبيه . توفي والده وله من العمر ست سنوات فعاش في بيت ابن عمه محمد (ص) . ولقد كان في العاشرة عندما هب لنصرة الرسول

يوم أحاط به الفرسان القريشيون يندرونه ويهددونه . فقال الامام علي :
 « والله لن يصلوا اليك حتى اوسد في التراب دفيناً » . كان الامام
 علي طفلاً مبكر النماء سابقاً لأنداده في الفهم والقدرة ونشأ رجلاً مكن
 البنيان في الشباب والكهولة حافظاً لتكوينه القوي حتى ناهز الستين .

تزوج السيدة فاطمة بنت النبي سنة ٦٢٣ (١) ميلادية فأنجب منها
 الحسن والحسين وعسناً وبتتين هما زينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى ، ولم
 يتزوج في حياتهما ، أما بعد موتها تزوج أكثر من اثني عشرة امرأة .
 وكان مجموع أبنائه أربعة عشر ذكراً وسبع عشرة أنثى نذكر منهم :
 محمد الأكبر المعروف بابن الحنفية أمه خولة بنت قيس بن جعفر الحنفي ،
 والعباس الأكبر ، وعبد الله ، وعثمان الأكبر ، وجعفر الأكبر أمهم أم البنين
 بنت المحل بن الديات بن حرام الكلابي . وقتل هؤلاء الأربعة مع الحسين
 بالطائف (٢) وعمر الأصغر أمه الصهباء أم حبيبة ، وعبد الرحمن وعبيد الله
 أمهما ليلى بنت مسعود بن خالد التميمي ، ويحيى ومحمد وعون أمهم أسماء
 بنت عميس الحثعمية (٣) ، فهؤلاء هم الذكور ، منهم من مات في صباه ومنهم
 من قتل ولا عقب له ؛ ولم يعقب سوى خمسة هم : الحسين والحسن ومحمد
 ابن الحنفية والعباس وعمر وسائرهم لم يعقب (٤) . كان الامام علي فارساً لا
 يشق له غبار ، يرفع الفارس فيجلبه به الأرض . ولم يبارز أحداً إلا
 وقتله ولم يصارع أحداً إلا وصرعه ، كان يصيح الصيحة فتتخلع لهولها

(١) جاء في كتاب اسماء الراغبين ص (٦١) ان الامام تزوج فاطمة وهو يناهز إحدى
 وعشرين سنة وخمسة اشهر وهي تناهز خمسة عشر سنة وخمسة اشهر .

(٢) ابن الأثير ج ٣ ص ٢١٠ - الطف : ارض بضاحية الكوفة في طريق البرية (معجم
 البلدان لياقوت) .

(٣) ابن الأثير ج ٤ ص ٤٧ .

(٤) اتمام الحنفا ص ٦ - ٧ ابن الأثير ج ٢ ص ٢٠١ .

قلوب الشجعان . قضى حياة مليئة بالمهات العظام ، وأدى رسالة تروّج بثقلها الجبال ، ولكنه تغلب على كل العقبات التي اعترضت طريقه بفضل صبره وثباته وما فطر عليه من مناعة ونفاذ فكري . فاستطاع ان يصل الى الأوج ويجلس على كرسي أمانيه محاطاً بهالة من الخلود لا يمكن ان تتغير مع الزمن .

لازم (الرسول) في غزواته . وكان نصيره الذي أبلى بلاءً حسناً في جميع حروبه وفتوحاته ، فاشتد ساعد الاسلام بقوة ساعد علي وهو الذي رقد في فراش الرسول ليلة الهجرة بالرغم من علمه الاكيد بأن أهالي مكة سيقتلون الراقد في الفراش .

قال العقاد (*) : أحاديث النبي في فضل علي ومحبته متواترة في كتب الحديث المشهورة ، منها ما انفرد به وهو حديث الخيمة الذي رواه (الصدّيق) حيث قال :

رأيت الرسول خيم خيمة وهو متكئ على قوس عربية ، وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين . فقال : معشر المسلمين ، أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة ، حرب لمن حاربهم ، ولي لمن ولاهم ، لا يحبهم إلا سعيد الجد طيب المولد ، ولا يبغضهم إلا شقي الجد رديء الولادة . وعلق العقاد على هذا الحديث قائلاً :

هذا النموذج من الأحاديث النبوية في فضل علي ومحبته ومنزلته عند الله ونبيه وهي تعد بالعشرات .

وأورد هذه القصة :

« بعث رسول الله علياً إلى اليمن ، فسأله جماعة من أتباعه أن

(*) كتاب عبقرية الامام صفحة ١٦٠ .

يركبهم إبل الصدقة ليربحوا إبلهم ، فأبى . فشكوه إلى رسول الله بعد رجعتهم ، وتولى شكايتهم سعد بن مالك بن الشهيد . فقال : يا رسول الله لقينا من علي الغلظة وسوء الصحبة والتضييق .. ومضى يعدد ما لقيه حتى إذا كان وسط كلامه ضرب رسول الله على فخذه وهتف به : يا سعد بن مالك بن الشهيد ، بعض قولك لأخيك علي ؟ فوالله لقد علمت أنه جيش في سبيل الله .

وشكا بعض مثل هذه الشكوى ، فقام رسول الله فيهم خطيباً يقول لهم : أيها الناس ، لا تشكرو علياً . فوالله إنه لجيش في ذات الله . ثم قال العقاد : يلوح لنا أن النبي عليه السلام كان يحب علياً ويحببه إلى الناس ويمهد له سبيل الخلافة في وقت من الاوقات ، (انتهى قول العقاد) .

بما لا شك فيه أن رسول الله أحب علياً حباً شديداً وأولاه اهتمامه لأن العوامل التي تدعوه إلى مثل هذا الحب كثيرة فهو صاحبه والمنافع عن دعوته وبديله في فراشه وصهره وابن عمه وزوج ابنته العزيزة فاطمة وابن إمامه (أبي طالب) وحاميه من أذى قريش الخ .. وبعد أن أدى النبي حجة الوداع ونزل (وهو في طريق العودة) عند غدير خيم في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة في السنة العاشرة للهجرة ، أنزل عليه قوله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) فبادر النبي وأمر بالصلاة حتى انتهى منها وأخذ بيد علي بن أبي طالب وعقد كفه بكفه وقال (١) : أستم تعلمون إلي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، قالوا : بلى . أستم تعلمون

(١) مسند بن حنبل ص ٨٤ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٢ ج ٤ ص ٢٨١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠

ج ٥ ص ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٦١ .

أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ! قالوا : بلى . أأنت تعلمون أنني أولى بكل مؤمن من نفسه ! قالوا : بلى . قال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار . هذا وصيي وخليفتي وقاضي ديني من بعدي ومنجز وعدي ، فعلي مني وأنا منه ، من خالفه يلعنه الله والملائكة والناس أجمعين ، إشهدوا فقد بلغت وأنذرت ما أمرني ربي ، فمن قبل قولي فاز ونجا من جملة المؤمنين ومن خالف قولي ضل وغوى وكان من النادمين ، فقد أنذرتكم وحذرتكم وفوضت أمري إلى الله ، إن الله سميع بصير فليبلغ حاضركم غائبكم . . إن الله أنزل قرآنا مبينا بالنص والبيعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، واعتبر هذا القول تبليغا لأمر الله تعالى ونصا صريحا بوجوب اتباع علي ومن بعده ذريته المنصوص عليهم . وجاءت هذه البيعة بعد المبايعات الثلاث (بيعة الدار - بيعة الخيـزـرانة - بيعة أم سلمى)

ولقد حصل أول تنازع أثناء مرض الرسول بعد عودته من حجة الوداع فيما رواه محمد بن اسماعيل النجار بإسناده عن عبدالله بن عباس ، قال (١) :

لما اشتد بالنبي مرضه الذي مات فيه قال : أتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي . فقال عمر : إن رسول الله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله ، وكثر اللفظ . فقال النبي : قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع ، فقال ابن عباس (الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله) واختلف المهاجرون والانصار . فقالت الانصار منا أمير ومنكم أمير واتفقوا على رئيسهم سعد ابن عبادَةَ الانصاري فاستدركه ابو بكر وعمر في الحال بأن حضرا

(١) الملل والنحل ص ٦ - ٧ لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشيرستاني المتوفى سنة ٤٠٨ هـ .

سقيفة بني ساعدة ، فاتفقوا على مبايعة أبي بكر ، وذهبوا الى المسجد حيث خطب عمر فقال : لقد كانت بيعة أبي بكر فلتة رقى الله شرها ، فمن عاد الى مثلها فاقتلوه فايما رجل بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فاقتلوه .

وتخلف الكثير عن المبايعة منهم الامام علي حيث كان مشغولاً بتجهيز النبي وملازمة قبره .

وحينما توفي أبو بكر نص على خلافة عمر فقال الناس (قد وليت علينا فظاً غليظاً) وبعد موت عمر انتقلت الخلافة الى يد عثمان فانشق المسلمون عليه لعدة أسباب :

١ - رده الحكم بن امية الى المدينة بعد أن طرده النبي وكان يسمى (طريد رسول الله) .

٢ - نفيه أبا ذر إلى الريدة .

٣ - تزويجه مروان بن الحكم ابنته وتسليمه خمس غنائم أفريقيا .

٤ - ايواء عبدالله بن سعد بن ابي سرج بعد ان أهدر النبي دمه وتوليته مصر .

٥ - أطلق العنان لابناء أسرته في الولاية والعمالة .

٦ - اتهم بأنه أمّ الصلاة وهو سكران .

٧ - توسع في بناء القصور وحرم بعض الصحابة وضرب بعضهم على مشهد من المأ ضرب اهانة وإيحاء .

هذا ما جعل المسلمين ان ينقموا عليه ويخذلوه ويرفضوا بيعته حتى قتل في داره .

وبذلك تم القضاء على المعتصمين واعيد الحق الى نصابه والسيف الى

قرايه فتسلم الامام علي السلطتين الزمنية والروحية وخفقت ألوية الحق عالية قوية ، وبعد ان تمت له البيعة الشرعية نقل مقره الى الكوفة وباشر بعزل ولاة عثمان الفاسدين ومنهم كبار بني امية ، فاتهمه الامويون بالتهاون في البحث عن قتلة عثمان واعتصم معاوية بدمشق وأبى ان يبايع الامام علي وسحاول اشعال الفتنة بين المسلمين . وقد أراد الامام اخمد الفتنة قبل اندلاعها فسير جيوشه إلى العراق والشام ولما وصل البصرة التقى بجماعة عائشة وطلحة والزبير (بوقعة الجمل) نحو العاشر من جمادى الاولى سنة ٣٦ هجرية الموافق ٤ كانون الاول سنة ٦٥٦ ميلادية وانتهت المعركة بانتصار جيوش الامام علي فتابع المسير نحو جيوش معاوية وبعد مضي شهر من المسير دخلت جيوش الامام علي المدائن وقطعت الفرات الى الرقة وهناك التقت بجيوش معاوية في سهول (صفين) الواقعة على ضفة الفرات اليمنى وجرت مناوشات بينها وتكاثر الرسائل بين الامام ومعاوية فكان معاوية يطالب بثار عثمان والامام يدعو معاوية للطاعة فلا يجيب وفي النهاية انقطعت المراسلة بينهما وتجددت المناوشات وقلما اشتبك فيها الجيشان في وقعة جامعة حتى كانت وقعة (الحرير) في ١٠ صفر سنة ٣٧ هجرية الموافق ٢٨ تموز سنة ٦٥٧ ميلادية وخاقت الهزيمة بجيوش معاوية وهم بالفرار ، بينما سارت جيوش الامام بخطى سريعة نحو النصر يقودها الاشتر النخعي .

وهنا عمد معاوية الى الحيلة وأمر جيوشه برفع المصاحف على أسنة الخراب ، فشمع الامام علي بالمكنيدة فقال لقومه : (قاتلوا الفئة الباغية حتى تقيء لأمر الله وهذا كتاب الله الصامت وأنا كتابه الناطق) طلب أهل العراق من الامام الموافقة والرضا بحكم القرآن ، وفي النهاية جرى التحكيم وظهرت نتيجته فأحدثت انشقاقاً بين الصفوف فنهت جيوش

معاوية من الاندحار المؤكد ، وانقسمت جيوش الامام على نفسها وخرجت جماعة لقبوا (بالخوارج) .

عاد الامام إلى الكوفة معتزلاً قتال الخوارج ، وقد بذل جهوداً لاعادتهم إلى صفوفه ولكنهم أصرّوا على الثورة ، فسارت اليهم الجيوش وقضت عليهم ثم عاد الامام إلى الكوفة ليتأهب لمحاربة معاوية .

وبينا علي يجهز قواته ويتأهب لمحاربة معاوية اجتمع بمكة نفر من الخوارج فتذاكروا القتلى من رفاقهم في النهروان والقوا وزر هذه الدماء كلها على ثلاثة وهم الامام علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان وعمر بن العاص فتعاقدوا على قتلهم ، فقال عبد الرحمن بن ملجم أنا أكفيكم الامام علي وقال البرق بن عبدالله التميمي أنا أكفيكم معاوية^(١) وقال الثالث وهو عمر بن بكر التميمي أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاقدوا وتوثقوا على الوفاء واقعدوا شهر رمضان ، ولكن المصادفة العجيبة هي التي شامت أن تشحذ عزيمة ابن ملجم بحافز من الغرام الظامى لا يرويه إلا دم ذلك الشهيد الكريم^(٢) .

واتفق الثلاثة على يوم بعينه ليقتل كل منهم صاحبه ، فأما عمرو بن العاص فقد اشتكى بطنه تلك الليلة فلم يخرج من بيته وأمر خارجه بن حذافه^(٣) صاحب شرطته أن يصلي بالناس فضربه عمرو بن بكر وهو

(١) المعروف ان الذي انتدب لقتل معاوية هو الحجاج بن عبد الله الصريمي من تميم .

(٢) مقاتل الطالبين ص ٢٩ عبقرية الامام للمقاد ص ١٠٢ الطبري ج ٦ ص ٨٣ ابن أبي حديد ج ٢ ص ٤٢ ابن الاثير ٣ ص ١٦٨ الامامة والسياسة ج ١ ص ١٣٤ البداية والنهاية ج ٧ ص ١٤٥ تاريخ الخلفاء ج ١ ص ١١٧ .

(٣) في مقاتل الطالبين ص ٣٠ خارجه بن أبي حبيبة احمد بنى عامر بن لؤي .

يحسبه عمرأ فقتله ، فقال له عمرو أردتني وأراد الله خارجه ، وأمر بقتله .

وأما معاوية فعرض له صاحبه فلم ينل منه حاجته اذ قيل ان معاوية كان دارعاً في رواية او لأنه لم يصب منه مقتلاً ، في رواية أخرى ، ولقي الضارب حتفه .

وأما الامام علي فضربه ابن ملجم في جبينه بسيف مسموم وهو خارج للصلاة فتوفي بعد أيام أي ليلة الجمعة لاحدى عشرة وقيل لثاني عشرة ليلة مضت من شهر رمضان سنة ٤٠ هجرية بالكوفة عن ثلاثة وستين عاماً ودفن في الظهر بجانب القرى (١) .

صفاته :

كان الامام علي رجلاً ذكياً قوياً لا يعرف في الحق لومة لائم ، شجاعاً لا يعرف له التاريخ موقف جبن عن الحق او تخاذل عن نصر المروءة فهو في حياته ومماته شهيد ذكائه وعظمته البالغة . كان إماماً حقاً وقد تفرد بهذه الامامة وبإمارة المؤمنين لفضله السابغ وعقله النير وقلبه الكبير . انتسبت اليه فرق عديدة من المسلمين وأخذت عنه ، وجعلته الاكثرية الساحقة منهم معلماً لها ومرشداً معصوماً وقائداً لا يضل سبيله . عنه ، أخذ الحكماء الذين شرعوا علم الكلام قبل أن يتطرق اليه علم يونان او فارس وكان من أفصح الخطباء وأبلغ العلماء قوي البيان ، وهو أول من

(١) انما الحنفا ص ٦ ابن الاثير ج ٣ ص ١٩٦ قال الاصفهاني في مقاتل الطالبين ص ٢٧ توفي الامام ليلة الاحد ٢١ رمضان وقال ابن كثير في (البداية والنهاية) ج ٧ ص ١٣٠ ضرب يوم الجمعة فكث يوم الجمعة وليلة السبت وتوفي ليلة الاحد .

وضع أصول النحو ، قيل أن أبا الأسود الدؤلي شكأ اليه شيوع اللحن على السنة العرب فقال له اكتب ما أُملي عليك ثم املاه اصولاً فيها ^(١) إن كلام العرب يتركب من اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا بفعل ، وأن الأشياء ثلاثة : ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر ، ثم قال لابي الاسود ، هذا النحو يا أبا الاسود ، فعرف العلم باسم (النحو) .

وللامام علي شعر قليل وبما نسب اليه قوله يصف همدان في وقعة صفين :

ولما رأيت الخيل ترجم بالقنا فوارسها حمر النحور دوامي
وأعرض نقع في السماء كأنه عجاجة دجن ملبس بقتام
فلو كنت رضواناً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام
كان الامام علي وهو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين يأكل الشعير وتطحنه زوجته بيديها وكان يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير فيقول (لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم) وروى النضر بن منصور عن عقبة بن علقمة قال :

دخلت على الامام علي فاذا بين يديه لبن حامض آذنتي حموضته ، وكسر يابس ، فقلت يا أمير المؤمنين ! أأأكل مثل هذا ؟ فقال لي يا أبا الجنوب ! كان رسول الله يأكل أيبس من هذا ويلبس أنخن من هذا (وأشار الى ثيابه) فلم لا آخذ بما أخذ به . خفت الا الحق به .
ومن كتبه التي هي فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق نهج البلاغة

الذي جمعه الشريف الرضي الشاعر العباسي من أحفاد الامام علي المنعذر من سلالة موسى الكاظم وهذا جامع لفلسفات العصور السالفة ، وهو كتاب أخلاقي حكيم استهدف صاحبه إلى توجيه الناس توجيهاً اجتماعياً ودينياً وأخلاقياً ، هذا ما يجعلنا نقول ان الامام علي كان استاذاً لطلاب العلم والمعرفة الاسلاميين ومن أعرف الناس بالله وبالقرآن وأحسنهم عقلاً وأكثرهم ذكاء ، او بالاحرى كان دائرة معارف اخلاقية ودينية وتشريعية واجتماعية فأثار القلوب بالايان الصادق والمثل الأعلى والحب العميق للانسانية الفاضلة :

قال العقاد متحدثاً عن ثقافة الامام :

كل نمط من انماط كلامه شاهد له بالملكية الموجودة في قدرة الوحي وقدرة التعبير ، فهو ولا شك من أبناء آدم الذين علموا الاسماء وادقوا الحكمة وفصل الخطاب .

ونقتطف من نهج البلاغة قوله في وصف الدنيا :

ما أصف من دار أولها عناء ، وآخرها فناء ، في حلالها حساب ، وفي حرامها عقاب ، من استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن ساعاها فائقته ، ومن قعد عنها واقته ، ومن أبصر بها بصيرته ، ومن أبصر اليها أعمته .

وقوله في وصف الانبياء والأئمة :

فاستودعهم في أفضل مستودع ، وأقرهم في خير مستقر ، قناسختهم كرائم الاصلاح إلى مطهرات الارحام ، مضى منهم سلف ، قام منهم بدين الله خلف حتى أفضت كرامة الله إلى محمد ، فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً ، وأعز الارومات مفرساً من الشجرة التي صدع منها انبياءه ، وانتخب منها امناءه ، عثرته خير العثر ، واسرته خير الاسر ، وشجرته

خير الشجر ، نبتت في حرم وبسقت في كرم ، لها فروع طوال ، وثمره لا
تنال ، فهو إمام من اتقى وبصيرة من اهتدى ، سراج لمع ضوؤه ، وشهاب
سطع لوره ، وزند برق لمعه ، سيرته القصد ، وسنة الرشد ، وكلامه الفصل ،
وحكمه العدل الخ ...

اعملوا رحمكم الله ، على أعلام بينة ، فالطريق نهج يدعو إلى دار السلام
وأنتم في دار مستعتب على مهل وفراغ ، والصحف منشورة والاقلام
جارية والابدان صحيحة والالسن مطلقة ، والتوبة مسموعة والاعمال
مقبولة .

وختاماً قد قلنا بأن الامام علي انتقل إلى جوار ربه بعد أن نص
على إمامة الحسين ودفن في النجف الشريف ، وقيل في الظهر يجنب
الغرى^(١) والتوبة .

(١) مقاتل الطالبين ص ٤٢ ، قيل للحسين بن علي : أين دفنتم امير المؤمنين ؟ قال :
خرجنا به ليلاً من منزله فمررنا به على مسجد الأشعث حتى خرجنا به الى الضائفة
يجنب الغرى .

الامام الحسين بن علي بن ابي طالب

هو الامام الحسين بن علي سبط رسول الله وريحانته ، ويكنى بأبي عبدالله ، ولد بالمدينة المنورة في الخامس من شهر شعبان سنة ٤ هجرية^(١) وقيل في الثالث من شعبان سنة ٤ هجرية في المدينة المنورة ، قال جعفر بن محمد : لم يكن بين الحمل بالحسين بعد ولادة الحسن إلا طهر واحد ، وقال الواقدي : علقت فاطمة بالحسين بعد مولد الحسن بخمسين ليلة وكانت مدة حملها ستة اشهر ، ولم يولد لستة اشهر وعاش ، الا عيسى بن مريم والحسين بن علي^(٢) ولما ولد الحسين سماه ابيه (حرباً) فجاء جده رسول الله (ص) وقال لعلي وفاطمة اروني ابني ما سميتوه ؟ قال علي : (حرباً) . فقال الرسول : (بل هو حسين) ، وهو اسم لم يكن لاحد قبله^(٣) وقال شرف علي^(٤) ذكر الشيخ العمي في الأمالي عن

(١) تهذيب ابن عساكر ج ٤ ص ٣١١ ابن الاثير ج ٤ ص ١ : ابو الفداء ج ١ ص ١٣٤ اصول الكافي للكليني ص ٢٣٨ في (٣) هجرية .

(٢) يقول ثقة الاسلام الكليني في كتابه (اصول الكافي ص ٢٣٨ - ٢٣٩) كان بين الحسن والحسين طهر واحد وكان بينها في الميلاد ستة اشهر . وقال لم يولد لستة اشهر الا عيسى ابن مريم والحسين بن علي ويؤيد هذا القول كتاب نيل الجنان في مشهر الجنان ص ٢٥٤ (٣) مسند ابن حنبل في مسند علي ابن ابي طالب وقال ابن الاثير ج ٢ : لما سئل النبي لماذا سميت الحسن والحسين ومحسن قال عليه السلام سميتهم باسماء ولد هارون (شبر وشبير ، ومشبرا) . (٤) رياض الجنان ص (٢٥٢) .

داؤود الرقي انه لما حملت فاطمة الزهراء بالحسين قال لها النبي :
يا فاطمة انك ستلين غلاماً هنأني به جبرائيل فلا ترضعيه حتى اجيء
اليك ولو اقيمت شهراً ، قالت افعل ذلك : وخرج الرسول (ص) في
بعض وجوهه ، فولدت فاطمة الحسين فما ارضعته حتى جاء الرسول (ص)
فقال ماذا صنعت ؟ قالت ما ارضعته فأخذه فجعل لسانه في فيه فجعل
الحسين يمص لسانه حتى قال النبي (ايها ... ايها) يا حسين ؟

وقيل بأن والدته الحسين مرضت أثناء الوضع وجف لبنها فطلب
الرسول للحسين مرضعة فلم يجد فكان يأتيه الرسول فيلقمه ايهامه فيمصه
ويجعل الله في ايهام الرسول رزقاً يغذيه ، وقيل فعل ذلك اربعين يوماً
وليلة فانبت لحمه من لحم رسول الله ودمه (١) .

وقال الطباطبائي فيه من قصيدة :

فادوا عن الماء ظمأنا مراضعه	من جده المصطفى الساقى اصابعه
يعطيه ايهامه آنا وآونة	لسانه فاستوت منه طبائعه
الله مرتضع لم يرتضع ابداً	من ثدي انثى ومن طه مراضعه
غرس سقاء رسول الله من يده	وطاب من بعد طيب الاصل فارعه

وقال جعفر بن محمد لما ولد الحسين حنكه الرسول بريقه واذن في اذنه
وتفل في فيه وسماه حسينا ولقب الامام بالقباب اشهرها (٢) الزكي ،
والطيب والرشيد ، والوفي ، والسيد ، والمبارك واعلاها ما لقبه به
رسول الله في قوله عنه عن أخيه الحسن ، انها سيدا شباب أهل الجنة

(١) قال ثقة الاسلام الكليني في الكافي ص (٢٣٩) لم يرضع الحسين من فاطمة ولا من انثى
كان يؤتى به الى النبي فيضع ايهامه في فيه فيمص منها ما يكفيه ليومين أو ثلاثة فنبت لحم الحسين
من لحم الرسول ودمه .

(٢) الفصول المهمة للنفيد ص ١٧٦ نور الأبصار للشلبنجي ص (١٥٢) الارشاد ص ٢٠٣

وقال الرسول : حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً ، حسين سبط الاسباط من سره ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى حسين . أقام الحسين مع جده في طفولته ست سنين وسبعة اشهر وسبعة أيام (لان الرسول قد انتقل في يوم الاثنين ١٢ ربيع الاول سنة ١١ هجرية ^(١)) وذهب الى الحسين كل مافي فؤاد النبي من محبة وعطف ، فكان لا يطيق ان يستمع الى بكائه ، وقيل ان الرسول خرج يوماً من بيته فمر ببنت فاطمة فسمع حسيناً يبكي فقال لفاطمة ألم تعلمي ان بكاءه يؤذيني ؟ وروى ابو عمر بن عبد البر القرطبي ^(٢) عن ابي هريرة انه قال ابصرت عيناى هاتان وسمعت اذناى رسول الله وهو آخذ بكفي الحسين وقدماه على قدم رسول الله وهو يقول (ترق عين بقه ^(٣)) فقال فرقي الغلام حتى وضع قدميه على صدر الرسول ثم قال له الرسول افتح فاك ثم قبله وقال اللهم احبه فاني احبه . وبعد وفاة الرسول اقام الحسين مع والده فشهد معه جميع وقائعه من الجمل الى صفين .

صفاته

تعلم الامام الحسين في صباه فنون العلم والادب والفروسية وقد اوتي ملكة الخطابة من طلاقة لسان وحسن بيان ، واشتهر بالوفاء والشجاعة ، وكتب العقاد عن شجاعته قال ^(٤) :

« شجاعة الحسين صفة لا تستغرب ، لانها الشيء من معدنه ، وهي فضيلة ورثها الاباء واورثها الابناء . وقال محمد الصيان : كان الحسين

(١) منهاج السنة النبوية ج ٣ ص ١١ (٢) ترق عين بقه ، أي أصعد يا خفيف الجنة .

(٢) الاستيعاب ج ١ ص ١٤٨ (٤) ابي الشهداء للعقاد ص ٥ .

شجاعاً مقداماً منذ كان طفلاً (١) .

وكان الحسين كثير الشبه بحده رسول الله ، ليس بالطويل وليس بالقصير ، واسع الجبين ، كث اللحية ، واسع الصدر عظيم المنكبين ، ضخيم العظام ، متماسك البدن ، رحب الكفين ، عبل العضدين والذراعين ابيض اللون مشرب بحمرة (٢) وقيل كان الحسين في غاية الجمال . وقال سعيد السكر بسنده : ما رأيت أحداً قط احسن ولا املاً للعين من الحسين (٣) .

نساؤه

- ١ - الرباب ابنة امريء القيس الكلبيه ، ولدت عبدالله وسكينة .
 - ٢ - ليلى بنت ابي مره بن عروة بن مسعود الثقفي ولدت علي الاكبر الذي قتل مع ابيه بالطف .
 - ٣ - أم اسحاق بنت طلحة بن عبدالله ولدت فاطمة .
 - ٤ - عائشة بنت خليفة .
 - ٥ - أم جعفر بن الحسين القضاعية .
 - ٦ - شهر بانو بنت كسرى يزديجرد واسمها (جهان شاه) ولدت علي زين العابدين .
 - ٧ - حفصة بنت عبد الرحمن .
- وكان له من جميع نساؤه ستة اولاد وثلاث بنات هم :
- ١ - علي الاكبر قاتل بين يدي ابيه حتى استشهد .

(١) اسعاف الراغبين ص ١٣٤

(٢) فتح الباري للعسقلاني ج ٧ ص ٧٥

(٣) البغدادي ج ٢ كتاب الشفا للقافي عياض ص (١١٢)

٢ - علي الاوسط زين العابدين كان مع ابيه بكر بلاه فأسر ثم رجع الى مكة ومنه العقب .

٣ - علي الاصغر جاءه سهم في القتال وهو طفل فاستشهد .

٤ - محمد استشهد بكر بلاه .

٥ - عبدالله استشهد بكر بلاه .

٦ - جعفر مات في حياة ابيه .

وله من البنات زينب وسكينة وفاطمة .

نشأ الحسين وترعرع وعرف فضله حتى أصبح اكثر الشيعة والصحابية والمسلمين اجمع يرغبون له السلطة الزمنية أي (الخلافة) بالإضافة الى السلطة الروحية التي كان يتمتع بها كامام .

ولما تولى الخلافة يزيد بعد أبيه معاوية أقر عبد الله بن زياد على البصرة ، والنعمان بن بشير على الكوفة ، والوليد بن ابي سفيان على المدينة ، وعمر ابن سعيد بن العاص على مكة وطلب منهم ان يدعوا الناس الى بيعته . ولقد رفض مبايعته خلق كثير كما امتنع الامام الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ، فكتب يزيد الى عامله على المدينة الوليد بن عقبة يقول :

أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام .

ذهبت جميع الجهود التي بذلها الوليد لاقتناع الامام الحسين الذي رفض ان يبايع المقتصب يزيد لعله بانه احق منه بالخلافة ، ولانه كان حائزاً على ثقة اهل الحجاز والعراق لما عرف عنه من الصلاح والاستقامة . عول الامام الحسين على ترك المدينة الى مكة بعد ان شدد وأصر عليه الوليد بالبيعة عنوة وقهراً ليزيد ، وخرج من المدينة ليلة الاحد

في الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ٦٠ هجرية ومعه اهسل بيته
واخواته وبني اخيه قاصداً مكة ، ودخلها ليلة الجمعة في الثالث من شهر
شعبان حيث نزل على (شعب علي) فأقبل أهل مكة ومن كان بها من
المعتمرين يختلفون اليه ويحتممون عنده .

ولما بلغ أهل الكوفة وفاة معاوية وامتناع الحسين من مبايعة يزيد
ونزوله مكة اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي بالكوفة
وخطب فيهم سليمان بن صرد فقال :

إن حسينا قد خرج الى مكة وانتم شيعته وشيعة ابيه فان كنتم
تعلمون فاصروه ، ومجاهدو عدوه فاكتبوا اليه وان خفتم الفشل والوهن فلا
تغروه ؟ قالوا لا بل نقاتل عدوه ونقتل انفسنا دونه : فكتبوا اليه
يستقدمونه ليبايعوه .

بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي عليهما السلام .
من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد البجلي
وحبيب بن مظاهر وشيعته المؤمنين المسلمين من أهل الكوفة .
سلام عليك .

فاننا نحمد اليك الله الذي لا إله الا هو .

اما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي اعتدى على
هذه الامة فابتزها امرها وانتزعها حقوقها وغصبها فيثما وتأمر عليها بغير
رضا منها ، ثم قتل خيارها واستبقى اشرارها ، وجعل مال الله بين
جبايرتها واغنيائها فبعداً له كما بعدت ثمود ، وانه ليس علينا امام ، فأقبل
لعل الله يجمعنا بك على الحق ، والذممان بن بشير في قصر الامارة لسنا
نجتمع معه في جمعة ولا عيد ، وقد حبسنا أنفسنا عليك ولو أقبلت الينا
أخرجناه حتى نلحقه بالشام .

وأرسلوا الكتاب مع عبدالله بن مسمع الهمداني وعبدالله بن وال
فخرجوا مسرعين حتى قدما على الحسين بمكة في العاشر من شهر رمضان
ثم كتبوا إليه ثانية بعد ليلتين نحواً من ١٥٠ صحيفة، ثم ثالثاً .

وروى الطبري : أن أهل الكوفة كتبوا إلى الحسين يقولون انت
معك مائة ألف ينصرونك . وتلاقت الرسل كلها عند الحسين ، فقرأ
الكتب وسأل الرسل عن الناس وقال لهم : سأبعث معكم ابن عمي
ليأخذ لي بيعتي فإذا وفق إلى ذلك ذهبت إليكم .

ودعا مسلم بن عقيل بن أبي طالب وقال له اذهب إلى الكوفة فلاني
رأيت منهم إجماعاً على ما كتبوا فاكتب لي برأيك ، ثم كتب رسالة
وسلمها إلى هانيء بن هانيء وسعيد بن عبدالله وكانا آخر الرسل ،
قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن علي بن أبي طالب إلى الملائكة
من المؤمنين المسلمين .
أما بعد :

فقد أتتني كتبكم وفهمت ما ذكرتم ، من حجتكم لقدمي عليكم وقد
بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل ، وأمرته
أن يكتب لي بحالكم وأمركم ورأيكم فإن كتب إلي أنه قد أجمع رأي ملئكم
وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت علي به رسلكم وقرأت
في كتبكم ، أقدم عليكم إن شاء الله ، فلعمري ما الامام إلا العامل بالكتاب
والآخذ بالقسط والدائن بالحق والهابس نفسه على ذات الله والسلام .

خرج مسلم بن عقيل في الثامن من ذي الحجة حيث نزل الكوفة
 واجتمع على بيعته اثني عشر ألفاً وقيل ثمانية عشر ألفاً وثلاثين ألفاً في
تقدير ابن قتيبة .

فحار والي الكوفة الأموي النعمان بن بشير فيما يصنع بمسلم وأتباعه وهم يزدادون يوماً بعد يوم ، وكانت قد وصلت الأخبار إلى يزيد تفيد بأن النعمان رجل ضعيف يجب عزله ، وطلب إليه إرسال آخر قوي إن كان له بالكوفة حاجة .

فأمر يزيد بعزل والي الكوفة وتعيين والي البصرة عبدالله بن زياد مكانه ، ويحدثنا عمر بن سعد عن أبي مخنف ، قال حدثني المصعب بن زهير عن أبي عثمان قال ^(١) أقبل بن زياد من البصرة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي والمنذر بن الجارود وشريك بن الأعور وحشمه وأهله ^(٢) حتى دخلوا الكوفة ، وعلى ابن زياد عمامة سوداء وهو ملثم ، والناس ينتظرون قدوم الحسين عليهم ، فأخذ لا يمر جماعة من الناس إلا سلموا عليه وقالوا مرحباً بك يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم ورأى من الناس من تباشرهم بالحسين ما ساء ، فأقبل حتى دخل القصر .

وقال عمرو عن أبي مخنف عن المعلى بن كليب عن أبي الود انه قال : لما نزل بن زياد القصر نودي في الناس الصلاة جامعة . فاجتمع الناس فخطب فيهم ناصحاً ومرشداً ووعدهم بالمنح والعطايا .

وعندما سمع مسلم بن عقيل بمجيء عبيد الله بن زياد أتى دار هانيء بن عروة المرادي فصارت تختلف اليه الشيعة وهو في الدار المذكورة وتواصروا بالكتمان وقد بايعه ثمانية عشر ألفاً فكتب كتاباً إلى الحسين أرسله مع عباس بن أبي شبيب الشاكري يخبره بالبيعة له واجتماع الناس عليه وانتظارهم إياه .

(١) مقاتل الطالبين ص ٩٦ .

(٢) يؤكد هذا القول ما جاء في مقتل الحسين ص ٢٤ وابن الأثير ج ٤ ص ١٠ الطبري

ج ٦ ص (١٩٤)

شعر عبيد الله بانقطاع هانيء عن زيارته فجأة فلم بأنه يخفي مسلم ابن عقيل في منزله فسأل عنه وكلف من يأتي به ، فلما دخل هانيء على عبيد الله بن زياد بن كاشفة بشأن إيوانه مسلم بن عقيل وأمره أن يأتي به . فرفض هانيء وانكر أن تكون له أي صلة بمسلم بن عقيل فهدده عبيد الله بالقتل وأخذ قضيباً فضرب به أنف هانيء وجبينه وخده حتى كسر أنفه وسالت الدماء على ثيابه ونثر لحم خديه وجبينه على حذائه ولم يزل يضربه حتى كسر القضيب فأمر أن يلقى في بيت ويفلق عليه .

بلغ عشيرة مذحج أن هانيء قد قتل ، فاقبلت واحاطت بقصر الإمارة من كل حدب فطلب ابن زياد من القاضي شريح أن يبلغهم أن هانيء لا يزال على قيد الحياة وإنما حبسه ليسأله عن أخبار مسلم بن عقيل ، فقال عمر بن الحجاج الذي كان على رأس مذحج إذا لم يقتل فالحمد لله وانصرفوا .

علم مسلم بن عقيل بما قد جرى لهانيء فنادى بشعاره المتفق عليه وهو (يا منصور أمت) فاجتمع اليه ثمانية عشر ألفاً من أهل الكوفة فسار بهم نحو قصر الإمارة ، ولما شعر عبدالله بأن الجيوش قد احاطت بالقصر أغلق الابواب وحاصر حتى المساء وليس معه في القصر إلا ثلاثون رجلاً من شرطته وعشرون رجلاً من أشرف الكوفة وأهل بيته ومواليه فدعا ابن زياد الأشراف وأمرهم أن يخرجوا ليرفعوا راية الأمان ويخذلوا الناس عن ابن عقيل يخوفونهم من نتيجة الحرب وعقوبة السلطان ، ووزع عليهم الأموال الكثيرة فخرج كثير بن الحارس ومحمد بن الأشعث وقعقاع بن شور الدهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبحر المعجلي وشمر بن ذي الجوشن الضبائي ، ورفعوا راية الأمان وخطبوا في

الناس حتى أقنعوهم فتفرقوا عن ابن عقيل ولم يبق معه الا ثلاثون فارساً توجهوا معه نحو ابواب كنده فما بلغ الابواب الا ومعه منهم عشرة فقط ، وخرج في المساء وليس معه أحد فمضى لا يدري أين يذهب حتى طرق باب امرأة يقال لها (طوعة ام ولد) فالتجأ عندها . أما عبيد الله بن زياد فانه أمر رئيس شرطته الحصن بن تميم ان يمسك ابواب السكة ويفتش الدور حتى يعثر على مسلم بن عقيل فيأتي به .

وما زالوا يبحثون عن ابن عقيل حتى وجدوه في تلك الدار التي التجأ اليها فحاصروا الدار فقاتلهم مسلم قتال الابطال حتى أمته محمد بن الاشعث بعد ان عجز عن القتال لكثرة ما اصابه من جراح .

وما كاد ابن عقيل يصل الى قصر الاماره حتى أمر ابن زياد ان يصعدوا به فوق القصر ويضربوا عنقه ، فقال مسلم مخاطباً ابن الاشعث (والله لولا امانك ما استسلمت قم بسيفك دوني قد اخفرت ذمتك) ، ثم اصعدوا مسلم بن عقيل الى اعلى القصر حتى اشرفوا على (موضع الخدائين) فضرب عنقه بكبير بن حمدان الأحمري ثم صلبت جثته وعرض على الناس في شوارع الكوفة ^(١) وكان ذلك يوم الأربعاء التاسع من ذي الحجة سنة ٦٠ هجرية ^(٢) .

ذكرنا سابقاً ان مسلم بن عقيل كان قد كتب الى الامام الحسين يخبره بأخذ البيعة له واجتماع الناس عليه ، وانتظارهم اياه ، وكان ذلك قبل

(١) وفي ذلك يقول الفرزدق :

وان كنت لا تدرين بالموت فانظري الى هانيء في السوق وابن عقيل
الى بطل من هشم السيف وجهه وآخر يسوي من طهار قتييل

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢١٣ مقاتل الطالبين ص ١٠٧ .

استشهاده ولما وصل الكتاب المذكور الى الحسين قرر الذهاب الى الكوفة .
 فخرج يوم الثلاثاء الثامن من ذي الحجة مع نخبة ممتازة من شيعته في
 الحجاز ونهر من أهل البصرة كانوا قد انضموا الى أهل بيته ومواليه .
 ولما علم ابن زياد ان الحسين قد سار وصحبه من مكة أرسل رئيس
 شرطته (الحصين بن نمير التميمي) وأمره ان ينزل القادسية ويقطع على
 الحسين جميع المسالك والمنافذ فلا يدع أحداً يخرج أو يدخل .
 توجه الامام الحسين نحو العراق حتى وصل « ذات عرق »
 فكتب الى أهل الكوفة رسالة يعلمهم بقدمه ، بعثها مع قيس بن سهر
 الصيداوي ولكن الرسول قبض عليه في القادسية وأرسل الى ابن زياد
 فقتله بعد ان رفض الاجابة الى رغبات ابن زياد عندما طلب منه ان
 يصعد القصر ويقول للناس ان الحسين ليس على حق ويؤيد يزيد ، غير
 أن نفس قيس الطاهرة الالهية أثبت إلا ان تلقن ابن زياد درساً في
 الاقدام والتضحية والاخلاص ، فصعد ابن قيس القصر وخطب في الناس
 يدعوهم إلى مناصرة الحسين ولعن ابن زياد وأباه ، فقتل به من أعلى القصر
 ودق عنقه ، ومثل فيه أفضح تمثيل . وهكذا انتهت حياة هذا البطل
 المخلص الشهيد فمات قرير العين موفور الكرامة .

وما زال الحسين يحث السير حتى أشرف على ماء من مياه العرب ، فوجد
 عليه عبدالله بن مطيع وكان قادماً من العراق ، فلما شاهد الحسين قام
 اليه وسلم عليه ، فأخبره الحسين أنه سائر إلى الكوفة وأطلعه على مكتب
 أهلها ، فقال له : أنشدك الله أن ترجع من حيث أتيت لأن (قلوب
 الناس معك وسيوفهم عليك) ، فأبى الحسين إلا أن يمضي في طريقه
 فسار حتى وصل إلى « زرود » حيث بلغه خبر قتل مسلم بن عقيل وهانيء

ابن عروة ، فقال المخلصون للحسين من شيعته إننا نخاف عليك ، إذ ليس لك بالكوفة أي ناصر ، ننشدك بالله ألا رجعت . فوثب بنو عقيل وقالوا : والله لا نرجع حتى ندرك ثأرنا أو نذق ما ذاق مسلم ، فقال الحسين لا خير في العيش بعد هؤلاء .

ثم ارتحلوا حتى وصلوا (زباله) فبلغه ما كان من أمر رسوله قيس ، فأعلم بذلك صحبه وقال : قد خذلنا شيعتنا بالكوفة ، فمن أراد منكم أن ينصرف فلينصرف ، ليس عليه منا ذمام . فتفرقوا يمينا وشمالا إلا أهل بيته وقليل ممن تبعوه من مواليه الذين جاؤوا معه من المدينة ، ثم تابع المسير حتى وصل إلى (بطن العقبة) فأخبروه بأن خيل ابن زياد معسكرة في القادسية تسد عليه الطريق ، وما زال سائرا حتى بلغ (شراف) فباتوا بها وساروا .

وجاء قائد جيش ابن زياد الحر بن يزيد يبلغ الحسين رسالة ابن زياد :
— إني أمرت ان أنطلق بك إلى ابن زياد ، أو أجمع بك فلا أتركك تزول من مكانك .

وتحرك الحسين يريد المسير في طريق العزيب ، فبلغها وعبدالله وجماعته يلزمونهم ، ويصررون على اقتياده إلى أميرهم ، ويصدونه عن وجهته ، فأقبل الحسين يعظهم ويناجيهم ، فأنصت الحر إليه ثم توجه إلى الحسين يحذره العاقبة قائلا : « لئن قاتلت لتقتلن ! »

فصاح به الحسين :

— أبا الموت تخوفني ؟ .. وأنشد :

سأمضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما
فان عشت لم أندم وإن مت لم ألم كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

ثم سار الركبان وكالما مال الحسين نحو البادية أسرع الحر يمسكه نحو الكوفة .

وبعد لات وليت ، نزل الحسين بمكان سأل عن اسمه فسمي له « كربلاء »^(١) وكان ذلك يوم الاربعاء أول محرم من سنة ٦١ هـ^(٢) وقيل الخميس الثاني من محرم عام ٦١ هـ^(٣) وفي اليوم الثاني من نزولهم قدم جيش يزيد بقيادة عمر بن سعد وعدته أربعة آلاف فارس^(٤) وانضم الحر بن يزيد فيمن معه إلى عمر بن سعد الذي أرسل حين وصوله (عبد الله الشامي) وكان فاجراً زنديقاً ليسأل الحسين عن سبب مجيئه ، إلا أن شيعة الحسين لم يمكنوه من مقابلته والدخول عليه لاعتصامه بمقابلة الامام الحسين وهو متنكب سلاحه ، فأرسل عمر بن سعد (مرة بن سفيان الحنظلي) ليسأل الامام سبب مجيئه ، لما كان من الحسين إلا أن أجابه بلسان فصيح ومنطق سديد : كتب إلي أهل الكوفة أن أقدم عليهم فاذا كرهولي فاني أعود عنهم إلى مكة .

واقتنع ابن سعد بصواب ما قاله الحسين وكتب إلى ابن زياد يخبره ذلك ويطلب منه الكف عن الحسين ليرجع من حيث أتى ، لكن ابن زياد الذي ترعرع في بيت الفجور والاجرام والدناءة رفض هذا الطلب وكتب إلى عمر يأمره أن يطلب بيعة يزيد من الحسين وبجالة رفضه البيعة يمنعه من الماء وقومه . ولما عرض الكتاب على الامام الحسين أبى ان يبايع الزنديق المفتصب ، لما كان من عمر بن سعد إلا أن أرسل عمر بن الحجاج في ٥٠٠

(١) كانت تعرف قديماً باسم (كور بابل) ثم حُرِفت وصحفت إلى كربلاء فكان هذا التصحيف عرضة إلى ان تجمع كلمتي « كرب » و « بلاء » كما وصفها بعض الشعراء .

(٢) الدينوري ص ٢٥١ .

(٣) ابن الأثير ج ٤ ص ٢٣ والطبري ج ٦ ص ٢٣٢ .

(٤) وفي رواية عشرة آلاف .

١٠٢ تاريخ الدعوة الاسماعيلية

فارس ليحولوا بين الحسين والماء (وكان ذلك قبل استشهاده الامام الحسين بثلاثة ايام) .

وفي اليوم الثاني اشتد العطش بالحسين وصحبه فنادى عبدالله بن أبي الحصين الأزدي قائلاً : يا حسين أما تنتظر إلى الماء ، والله لا تذوقون منه قطرة واحدة حتى تموتوا عطشاً ، فأرسل الامام الحسين أخاه العباس في عشرين رجلاً وثلاثين فارساً يحملون القرب ، فقاتلوا على الماء حتى ملأوا القرب وعادوا .

وفي اليوم الثالث وصلت رسالة ابن زياد مع شمر بن ذي الجوشن وكان قد أرسلها إلى عبيدالله بن سعد يقول فيها :

أما بعد ، فإن نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إليّ وان رفضوا فازحف إليهم حتى تقتلهم عن بكرة أبيهم ، ومثل فيهم فانهم لذلك مستحقون ، فإن قتل الحسين فاوطيء الخيل صدره وظهره . فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك ، وإن أنت أبيت اعتزل جندنا واخل بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر ، والسلام .

قرأ عمر الكتاب فقال لشمر : والله لا يستسلم الحسين ابداً (إن نفساً أبية بين جنبيه) ، وعرض الكتاب على الامام الحسين فطلب أن يملأه حتى صباح الغد .

وما كاد يبرز فجر يوم الجمعة (أي يوم عاشوراء - العاشر من محرم سنة ٦١ هجرية) حتى عبأ الحسين أصحابه وهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون رجلاً ، كما عبأ عمر بن سعد أصحابه الكثيرين وخرج نحو الحسين ، فلما دنوا من بيوته أشعلوا النار فيها ونشب القتال بينهما ، فاستبسل رجال الامام الأشداء وتنافسوا في الاستشهاد بين يديه وبذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل إمامهم المعصوم وغايته المثلى .

انضم إلى الحسين من جيوش ابن زياد (الحر بن يزيد التميمي) فقال له الحسين : (بورك فيك يا حر ، فانت حر في الدنيا والآخرة) وقاتل معه قتال الشجعان حتى استشهد بين يدي الامام .

وهكذا قاتل أبناء الامام وشيعته وأهله حتى استشهدوا جميعاً وهم يدافعون عنه وعن دعوته الحق ، تدفعهم العقيدة ، ويملا قلوبهم الايمان ، لأن الحق يحائبهم .

اشتد عطش الامام الحسين فدنا من الفرات ينبغي شربة ماء فرماه (حسين بن ثمر) بسهم وقع في فمه الشريف ، فانتزعه الامام ونلقى الدم بيديه الكريمتين فامتلأت راحته من الدم ، فرفعهما إلى السماء وقال : (إن تكن حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير منه وانتقم لنا من القوم الظالمين) .

ثم رجع إلى مكانه فاشتد به العطش وأحاط به شمر بن ذي الجوشن برجاله ، والامام يحمل عليهم فيفرقهم عنه ، وبالنهاية أحاطوا به من كل صوب ، وأسرع إليه رجل من كنده يقال له (مالك بن النسر) فضربه على رأسه بالسيف ، وبقي الامام الحسين يجاهد فيهم بينا رجاله وأهله يستشهدون بين يديه الواحد تلو الآخر حتى بقي معه ثلاثة فقط ، فهجم على الصفوف المتراصة يدفعهم عنه والثلاثة المذكورون يحمونه حتى استشهدوا ، فأقبل عليه شمر بن ذي الجوشن في مائة من رجاله فوجدوا الحسين وحيداً وقد أثنى بالجراح في رأسه وبدنه ، فهجموا عليه يريدون الفتك به ، ولكنه حمل عليهم حملة الأسد فولوا الادبار وقاتل قتالاً شديداً فابتعدوا عنه ورشقوه بالسهم ، ونادى شمر في الفرسان : ويحكم ماذا تلتظرون اقتلوه ، فحملوا عليه من كل جانب وضربه (زرعة بن شريك التميمي) على كفه اليسرى فقطعها ، وضربه آخر على عاتقه فكبا منها على وجهه ، وما زال

يقوم ويكبو وهم يطعنونه بالرماح ويضربونه بالسيوف حتى سكن حراكه ، فنزل اليه شمر بن ذي الجوشن واحتز رأسه الكريم وسلب ما كان عليه من اللباس ، ونهبوا ابله واثقاله ومتاعه بما اسروا نساءه ، ثم ندبوا عشرين فارساً ليطؤوا جثته بنحوهم ، فوطؤوها مقبلين ومدبرين حتى رضوا صدره وظهره ، ثم تركوا جميع الجثث على الارض ، من بعد ان احتزوا رؤوسها ومثلوا بها أبشع تمثيل ، ووضعوا الرؤوس على اسنة الخراب وارسلوها الى ابن زياد ، وكانوا ٧٢ رأساً ، وحملوا النساء ومن كانت معهم من الصبيان حفاة عراة يولولن باكيات ، ولم يسلم من تلك الموقعة إلا علي زين العابدين الذي نص عليه بالامامة وهو مريض قبل استشهاده والده ، فحمل مع من حمل من النساء .

وقد وجد في جسم الامام الحسين الطاهر - ٣٣ طعنة و - ٣٤ ضربة سهم ، وفي ثيابه - ١٢٠ أصابة نبال وبقية الجثث يومين في العراء حتى خرج اليها جماعة من بني أسد في الليل وتحت ضوء القمر فحفروا القبور ودفنوا الجثث (١) .

ولقد تعددت الاقوال حول الموضع الذي دفن فيه الرأس الشريف فقيل انه أعيد الى كربلاء وقيل دفن في البقيع عند قبر امه فاطمة الزهراء ، وقيل وجد في خزانة يزيد بعد موته فدفن في دمشق ، وقيل دفن في عسقلان حتى استولى الفاطميون على مصر فنقلوه الى القاهرة حيث دفن في المشهد الحسيني قريباً من خان الخليلي .

والحقيقة التي لا غبار عليها ان الرأس قد جيء به الى دمشق ومن ثم نقل الى عسقلان حتى استولى الأئمة الاسماعيلية على مصر فنقلوه الى القاهرة

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٦١ ابن الاثير ج ٤ ص ٣٥ مروج الذهب ج ٢

ص ٦٦ ومقاتل الطالبين ص ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠

حيث دفن في (المشهد المشهور) هذا هو مجمل قصة استشهاد الامام الحسين مع الخلفاء من شيعته وأهل بيته ، ونحن نرى ان نضرب صفحاً عن التعليق على هذه الجريمة النكراء التي لم يشهد التاريخ اقسى وابشم منها .

ولا بد لنا من القول بأنه قد ثبت تاريخياً ان يزيد وابن زياد مجرمان اثبان بطبعهما ، نزعنا من قلوبهما الشفقة والرحمة ، ومجرمان هذه صفتها لا يتورعان اذا حكما عن ارتكاب الموبقات والردائل ، ولا أخال هذه القصة تعود لتمثل على مسرح هذا الوجود الا اذا عاد الى الوجود يزيد وابن زياد ومن شايعهما من البغي والضلال .

وقبل أن انهي كلمتي عن الحسين اثبت خطبة داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي في ذكرى يوم الحسين .
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحيط بكل شيء علمه ، العظيم عن العاصين تجاوزه وعلمه ، الذي احيانا بمحمد (ص) من موت الضلالة والكفر ، واستثنانا بالايان به من الخسار بعد ان قال (والعصر ان الانسان لفي خسر) وكلفنا له اجراً عن ارشاده بالفوز بالخط في المعقب نصاً عليه قوله : (قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى) فليل يا رسول الله : من فيه القربى التي باخلاص مودتنا فقصدتنا ، فقال علي وفاطمة وولدهما ، ثم اضاع اجره عليه السلام في مودته المعنيون فضاهاوا فعل الكافرين الذين لا يسمعون لربهم ولا يطيعون ، فهل يزوي حق اجير مستاجر بأجرة معلومة زاور إلا وهو ظالم لنفسه في مهوى الهلاك هاور ، فما ظنكم بمن يزوي حق رسول رب العالمين عن ارشاده ويمنعه اجره الذي اوجبه الله سبحانه على عباده ، فياليتهم صرف الله قلوبهم لما انصرفوا

عن موقع الامر وخالفوا ربههم اذ تخلفوا عن الوفاء بالاجر ولم يكشفوا من امروا بمواليتهم قناع الغي ، ونشهد ان محمداً عبده ورسوله المشفع في معاده ، فبشفاعته يزكو معادنا المفجع باولاده ، وقال : اولادنا اكبادنا صلى الله عليه وعلى آله المستضعفين من ذوي الامن المستهدفين سهام الحن .

ايها الناس اتاكم الذكرى فابكوا الامام المقتول المنبؤ في العراق ، وابكوا ابن علي المرتضى وفاطمة الزهراء ، وابكوا من صدع بقتله صدر الاسلام صدعاً ، افيضوا رحمكم الله لمصرعه دماً لا دمماً . الا تبكون من قتلت به الأمة الهالكة وبكت عليه من السماء الملائكة ؟ ألا تبكون من حمله رسول الله (ص) على عاتقه من جانب وأخوه الحسن من جانب . ثم قال : نعم المطي مطيها ونعم الراكبان هما ، وأبوها خير منها ، وقد أخلفوا للسيوف جذراً ، وأمطروا عليهم السهام مطراً . منعوم الفرات وهو طاف مباح وحرّموا عليه وروده وهو لكل حيوان مباح ، حملوا بنات رسول الله على أقباب المطايا ، وساقوها سوق السبايا ، ثم يقولون نحن أمة محمد ، أعوذ بالله من تشخص فيه الأبصار ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الأخيار .

لقد كان الامام الحسين بطلاً من أبطال التاريخ كتب بدمه المسفوك أسماً معاني التضحية والتفاني في سبيل الحرية والحق والعدالة ، وسيبقى اسمه مخلداً في سجلات التاريخ ، وفي قلوب المؤمنين المخلصين من أتباعه الذين لا يزالون على استعداد لبذل كل غال ورخيص في سبيل الرسالة الخالدة التي ضحى في سبيلها سيد شباب أهل الجنة .

ويعتبر الامام الحسين الامام الثالث بالنسبة للاثني عشرية ، والثاني بالنسبة للاسماعيلية .

الامام

علي زين العابدين بن الحسين بن علي (ع)

هو ابو الحسن بن الحسين المعروف بزين العابدين ، ولد يوم الجمعة ١٦ جمادى الآخرة سنة ٣٨ هجرية بالمدينة المنورة (١) أمه شهربانو بنت كسرى يزدهرد واسمها (جهان شاه) نص عليه بالامامة إبان معارك كربلاء . حاول بعض الآثمين الموثورين القضاء عليه بعد استشهاد أبيه الامام الحسين في معركة كربلاء ، وهو يقاسي مرضاً شديداً ، ولكن أين لهم ذلك بعد أن أصبح صاحب السر الخفي (أريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون .)

وبعد انتهاء معركة كربلاء اقتيد أسيراً مغلولاً بالحديد مع النساء والصبيان إلى الكوفة حيث عرضوا جميعاً على ابن زياد . والنصوص التاريخية تتفق على إيراد هذه القصة . وفيها الدلالة على ما يتمتع هذا الامام من شجاعة وإقدام . سأله ابن زياد : ما اسمك ؟

(١) وليات الأعيان ج ١ ص ٢٧٥ - ٢٧٧ ابن الاثير ج ٤ ص ٣٨ الطبري ج ٢ ص ٢٦٧ ، ويقول صاحب الفلك الدار ص ١١٨ ان ولادته كانت عام ٥٨ هجرية وهذا القول لم يأت على تأييده أي مؤرخ بالضبط انما قيل ان علي زين العابدين كان لا يتجاوز التاسعة حينما استشهد الحسين عام ٦١ هجرية ، فاذا أخذنا بهذا القول تكون ولادة زين العابدين عام ٥٢ هجرية . وهذا غير مؤكد ايضاً ، اذن فالأرجح أنه ولد عام ٣٨ هجرية وكان عمره ٢٣ عاماً عندما استشهد ابو الحسين .

قال : أنا علي بن الحسين .

قال ابن زياد : أو لم يقتل الله علي بن الحسين ؟

قال علي : كان لي أخ يسمى علياً قتله الناس .

فأعاد ابن زياد قوله : الله قتله .

فقال علي : الله يتوفى الأنفس حين موتها ، وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله . فأدهشت جرأته وشجاعته ابن زياد فأخذته عزة الإثم ، فصاح الخبيث اللعين بجنده (وكأنه لم يكتف بما فعل : أخرجوا به فاضربوا عنقه) .

فقال علي : من يتوكل بهؤلاء النسوة إذا قتلتني ؟

وتعلقت به عمته زينب وهي تقول : اقتلنا معه إذا كنت تريد قتله . ولأمر يريد الله ارتد الخبيث مشدوهاً من تلك البطولة النادرة والتضحية الفذة ، وقال (دعوه لما به) لعل العلة ستقضي عليه ، وأمر فغل بغل الى عنقه وأرسل مع النسوة إلى يزيد ، قيل أنه لم يكلم أحداً طوال الطريق حتى وصلوا دمشق .

ولما علم يزيد بوصولهم دعا اشراف الشام فأجلسهم حوله ثم أدخل علياً ابن الحسين مغلولاً ففك الاغلال عن عنقه وقال له : (١)

يا علي ! ابوك الذي قطع رحمي وجعل حقي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما رأيت . فقال علي : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور) (٢) . فقال يزيد لابنه خالد ، وكان هذا أكبر من علي سناً : أردد

(١) الارشاد ص ٢٢٨ الطبري ج ٦ ص ٢٦٣ ابن الاثير ج ٤ ص ٣٨ .

(٢) سورة الحديد الآية ٢٢ و ٢٣

عليه يا بني . فما عرف خالد ماذا يقول ، فسكت يزيد وابنه . وليس هذا بغريب على الامام زين العابدين وقد كان يحفظ القرآن ويحتج به مع صغر سنه ، وكان طلق اللسان حاضر البديهة مما أدهش الحضور .

طلب أحد الحضور أن يهبه يزيد سيدة من آل البيت (وهي فاطمة بنت الحسين) فقالت له زينب : (كذبت ولؤمت ما ذاك لك وله) .

وألح ثانية فقال له يزيد (أغرب وهب الله لك حتفاً قاضياً) وطلب يزيد من علي أن يصعد المنبر فيخطب معتذراً إلى الناس عما كان من أبيه ، فصعد المنبر رابط الجأش ، رافع الرأس ، موفور الكرامة ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فانا أعرفه بنفسي .

أنا علي بن الحسين ، أنا ابن البشير النذير ، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه ، أنا ابن السراج المنير ^(١) الخ ..

ويظهر أن يزيد قد ندم على ما جنته يده وأحب أن يكفر عما فاته فطلب من النعمان بن بشير (واليه على الكوفة سابقاً) أن يصحب أهل الحسين إلى المدينة وأن يحسن حالهم .

وعندما ودع يزيد الامام علي زين العابدين قال : (لعن الله ابن مرجانة أما والله لو أتي صاحب أبيك ما سألتني خصلة أبداً إلا أعطيتها إياها ، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو يهلك بعض ولدي ، ولكن الله قضى ما رأيت يا بني ، كاتبني من المدينة واطلب كل حاجة تكون لك ^(٢)) ولكن ماذا ينفع الندم بعد تلك الجريمة النكراء التي

(١) روي خطبة طريفة على قول أبي الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبين ص ١٢١

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٦٧ أبو الشهداء ١٥٦

اقتربها ذلك الوغد اللئيم والشرير الفاجر . وقيل بأن يزيد كساهم وأوصى بهم النعمان فخرج بهم ومعه ثلاثون فارساً ، وساروا حتى دخلوا المدينة فاستقبلوا استقبالا تفتتت لهوله الأكباد بالبكاء والعويل ، وخرجت النساء من أهل المدينة يولولن واحداهن نائحة شعرها وهي تقول :

ماذا تقولون ان قال النبي لكم ماذا فعلتم وانتم آخر الأمم
بعتني وبأهلي بعد مفتقدي منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ان تخلفوني بسوء من ذوي رحمي

هذا وقد عول الامام زين العابدين على الإقامة في مكة لينشر دعوته سرّاً فيها ، فأوفد دعائه المخلصين إلى الأقطار والأمصار ، وكانت أكثر شيعته تقطن العراق وفارس .

وحاول الأمويون عبثاً أن يجبروا الناس على نسيان قصة استشهاد الحسين وتقديم الولاء ليزيد المختصب ، فأخذوا إلى دمشق وفدأ من أهل المدينة لم يلبث حتى عاد وهم أشد ما يكونون نقمة على يزيد ، متفقين على خلعهم ، وقالوا : إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين ، يشرب الخمر ويضرب بالطنابير ، ويمزف عنده الفتيان ، ويلعب بالكلاب ، ويسمر عنده الخراب . فاهتاج القوم وأخرجوا والي يزيد وأعلنوها على الأمويين ثورة لا هوادة فيها ، كما أنهم بايعوا الامام علي زين العابدين وخولوه أن يحكم في دماهم وأموالهم ما شاء ، غير ان يزيد تمكن بما عرف عنه من مكر ودهاء من اقتحام المدينة والقضاء على الثورة .

لبث الامام زين العابدين طوال اقامته في مكة مراقباً من الولاة الأمويين حتى أعلن موت يزيد في العاشر من صفر سنة ٦٤ هـ ودفن في

حوارين . ولقد مر أحد الشعراء على حوارين بعد موت يزيد فشاهد قبره فيها فقال :

أيها القبر بحوارينا ضمت شر الناس أجمعينا

ويكفي لذكر مكانة الامام علي زين العابدين أن نذكر القصة التاريخية الآتية :

لما حج هشام بن عبد الملك في حياة أبيه وطاف بالبيت الحرام وحاول أن يلمس الحجر الأسود ، لم يستطع لكثرة الازدحام ، فبينما هو كذلك إذ أقبل الامام علي زين العابدين فطاف بالبيت حتى إذا ما وصل الى الحجر الاسود انشقت له الصفوف ومكنته من لمس الحجر الاسود ، فقال رجل من أهل الشام لهشام : من هذا الذي خافه الناس ؟ فخاف هشام أن يذكر اسمه فقال لا أعرفه . وكان الشاعر الاسماعيلي الكبير الفرزدق حاضراً فقال : أنا أعرفه ، وألشد قصيدته المشهورة :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله	يحمده انبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا ؟ بضائره	العرب تعرف من أنكرت والمعجم
كلتا يديه غياث عم نعمهما	يستوكفان ولا يعرفهما عدم
سهل الخليفة لا تخشى بواده	يزينه اثنان حسن الخلق والشم
حمال أثقال أقوام إذا قدحوا	حلو الشائل تخلو عنده نعم
ما قال لا قط إلا في تشده	لولا التشهد كانت لاؤه نعم
عم البرية بالاحسان فانقشمت	عنها الغياهب والاملاق والقدم

إذا رآته قريش قال قائلها
 يغضي حياء ويغضي من مهابته
 الله شرفه قدماً وعظمه
 مشتقه من رسول الله نصيبته
 من معشر حبيبهم دين وبغضهم
 مقدم بمد ذكر الله ذكركم
 إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم
 إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
 ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
 جرى بذاك له في لوحة القلم
 طابت مغارسه والخيم والشم
 كفر وقريهم منجبا ومعتصم
 في كل بدء ومختوم به الكلم
 أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

لما سمع هشام هذه القصيدة العصماء غضب غضباً شديداً وصغر في
 عيون الجمع أن يحبس الشاعر بين مكة والمدينة .

قال ابن سعد في الطبقات : كان الامام علي زين العابدين ثقة كثير
 الحديث عالماً ربيعاً ورعاً . وقال يحيى بن سعيد : ان الامام زين العابدين
 أفضل هاشمي رأيت في المدينة . وقال الخضرى (١) : كان الامام علي
 زين العابدين أفقه الفقهاء ، صالحاً عابداً ، وقد وصف بخير الساجدين
 وسيد العابدين .

نساؤه وبنوه :

تزوج فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي ، فولد حسناً وحسيناً لا عقب
 لهما وأباً جعفر محمد الباقر ، وعبدالله ، ومن أم ولد (٢) زيد وعمر وعلياً
 وخديجة ومحمد الأوسط ، وعبد الرحمن وسليمان والقاسم وحسيناً الأصغر ،
 وعددهم ثلاثة عشر ، أعقب منهم ستة والباقي لا عقب لهم .

(١) كتاب الخضرى ص ١٥٤

(٢) جارية اشتراها المختار بن أبي عبيدة بثلاثين ألفاً فأهداها للامام علي (مقاتل الطالبين

ص ١٢٧)

انتقل الامام زين العابدين مسموماً بايعاز من الخليفة الاموي عبدالملك ابن مروان بعد نص على امامة ولده محمد الباقر ودفن في روضة البقيع في قبر عمه الحسن بن علي سنة ٩٢ هجرية^(١) وقيل سنة ٩٥ هجرية^(٢) والأرجح سنة ٩٤ هجرية وكان عمره ستة وخمسون عاماً .
اشتهر بالزهد والعبادة والورع والتقوى ، ولم يكن يوجد من يماثله في هذه الصفات ، ولذلك لقب بزين العابدين . وهو الامام الرابع بالنسبة للاثني عشرية والثالث من وجهة النظر الاسماعيلية .

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٧٥ - ٢٧٧ .
(٢) الارشاد ص ٢٢٨ .

الامام محمد الباقر (ع)

ولد ابو جعفر محمد بن علي زين العابدين المعروف بالباقر يوم الثلاثاء الثالث من صفر سنة ٥٧ هجرية (١) في المدينة المنورة وامه ام عبد الله فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي بن ابي طالب .
كان عالماً كبيراً وفقيحاً مرموقاً وحجة يأتيه الناس افواجا ووحدانا لينهلوا من نبعه الغزير الفياض بمختلف العلوم والمعارف .
يحكى ان رجلا سأل يوماً سؤالاً فيه شيء من الطرافة :
هل ورث النبي علم جميع الأنبياء ؟
قال الامام الباقر : نعم .
فقال : هل ورثتها أنت ؟
قال : نعم .
قال وهل تستطيع ان تحيي الميت وتبرئ الأعمى ؟

(١) الى صاحب الفلك الدرار ط ذكر الامام محمد الباقر من « ١٢٠ » فقال : ولد الامام محمد الباقر سنة ٥٧ هـ ورزق ولداً وهو « جعفر الصادق » سنة ٨٣ هـ ولا ادري كيف ارتكب الشيخ عبد الله هذا الخطأ الظاهر دون أن يعلم بأنه من المستحيل ان يتزوج الباقر ويأتيه طفل وهو لا يزال في السادسة من عمره وهذا مستحيل فالارجح والاصح ان الباقر ولد سنة ٥٧ هـ . واقام ولد سنة ٨٣ هجرية ولعل هذا ناتج عن تصحيف من الناقل .

قال : نعم بإذن الله تعالى ومسح بيده على عين رجل فعمي ثم أعاد له بصره .

وكان الامام محمد الباقر يبحث شتى العلوم ويعرف الغيب وتنسب له احدى وثلاثون معجزة ، منها :

يحكى ان رجلاً جاءه يوماً وهو شديد الحاجة ، وان اياه دفن مالا واخفاء عنه ومات دون ان يعلم به أحد .

فكتب له الامام كتاباً سلمه اياه وقال له اذهب بهذا الكتاب الليلة الى البقيع حتى تتوسطه ثم ناد (يادرجان) فيأتيك رجل فاسأله عما بدا لك وقل له انا رسول الامام محمد الباقر ، فعل الرجل ما أمر به وطلب اياه فجيء به وقد غيره اللهب ودخان الجحيم فاعترف الوالد بذنبه واخبره بكان المال وأمر ان يدفع للامام محمد الباقر خمس ذلك المال ، وقدره خمسين ألف دينار .

وروي ان الامام الباقر جاء وادي فيروز فأمر ان تنصب له خيمة وعمد الى نخلة يابسة هناك فدعا الله ثم تتم بكلمات لم يسمها أحد وقال ايتها النخلة أطعمينا مما جعل الله فيك فاثمرت النخلة من ساعتها وسقط عليه الرطب فأكل واكل معه ابو أمية الانصاري ، فقال له الامام ياأبا أمية هذه معجزة مريم فقد هزت جذع النخلة فتساقطت عليها رطباً جنياً (وهزي اليك يجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) .

وكان الامام الباقر محباً للسلام وقد اتى ابن سعد على كثير من اقواله التي تدل على ذلك ، ومن اقواله المشهورة (لا تنازعوا فيما بينكم فانه ينزع الايمان بالقرآن) .

لقب بالباقر لتبحره بالعلم وتعمقه فيه ^(١) ينسب إليه الفقه الجعفري وهو المرجع الوحيد لأحكام الشيعة .

ان أكثر العلماء مختلفين في تاريخ وفاته ، فاليقوي يقول أنه توفي سنة ١١٧ هجرية ، والمسعودي يقول انه عاش حتى سنة ١٢٥ هـ . إلى ٢٦ هجرية ^(٢) . وبالرغم من هذا الاختلاف فالاكثرية يحددون تاريخ وفاته في سنة ١٤ هـ . في الحية ، وقد نقل جثثه إلى المدينة المنورة ودفن في روضة البقيع ، وقيل أنه أوصى أن يدفن بملابسه التي كان يصلي بها .

نساؤه وبنيه :

تزوج أم فروة بنت القاسم بن محمد فكان منها جعفر الصادق (أعقب) وعبدالله وابراهيم وعبيدالله (لا عقب لهم) .
وقد عهد بالامامة من بعده لولده الأكبر الامام جعفر الصادق ، وكان ذلك قبل وفاته بمدة وجيزة حسب الأصول والشروط المتبعة في المذهب الاسماعيلي .

ذكر أنه ترك عدة مؤلفات منها : ^(٣)

- ١ - كتاب صفة الجنة والنار .
- ٢ - كتاب رسالة الى جابر الجعفي .
- ٣ - كتاب الكشف الكبير .

(١) رفيات الأعيان (ج ٢ ص ٢٢١) .
(٢) جاء في هامش كتاب اتعاظ الحنفا ص (١٤) ان الاقوال مختلفة في سنة وفاة الامام الباقر فهي سنة ١١٣ أو ١١٤ أو ١١٧ أو ١١٨ .
(٣) المرشد الى الأدب الاسماعيلي : ايفانوف ص ٢٩ .

وباعتقادي ان هذه الكتب فقدت كغيرها من التراث الاسلامي الثمين نتيجة لموجات الفتوحات التي تعرضت لها البلاد الاسلامية في مختلف العصور . يعتبر الامام الخامس بالنسبة للشجرة الامامية الاثني عشرية ، والرابع بالنسبة للاسماعيلية .

الامام

جعفر الصادق (ع)

ولد ابو عبد الله جعفر بن محمد الباقر المعروف (بالصادق^(١)) في السابع عشر من ربيع الاول سنة ٨٣ هجرية^(٢) في المدينة المنورة امه فروة بنت القاسم بن محمد^(٣) كان كثير الاحترام لأمه ، عاش بعيداً عن غمار السياسة ومتاعبها ما جعله بعيداً عن اضطهادات الامويين والعباسيين ، ويذكر المسعودي ان أبا سلمه احد دعاة العباسيين في خراسان قد خاف انتفاض الامر اثر قتل مروان الثاني لابراهيم فقرر الرجوع الى آل ابي طالب وبعث بكتاب الى الامام جعفر الصادق يطلب منه الشخص الى ليصرف الدعوة له ، فلما وصل الرسول ليلاً سلم الكتاب للامام جعفر الصادق فطلب ان يأتيه بسراج ثم اخذ كتاب ابي سلمه فوضعه على السراج حتى احترق وقال للرسول . (خبر صاحبك بما رأيت) ثم قال : ايا موقداً ناراً لغيرك ضوءها ويا حاطباً في غير حبلك تحطب

(١) لقب بالصادق لصدقه ابن خلكان ج ١ ص ١٨٥ .

(٢) اصول الكافي للكليني ص (١٩٣) .

(٣) مروج الذهب للمسعودي ج ٤ ص ١٨٢ .

وكان الامام جعفر الصادق عالماً في الدين والفلسفة والفقه والكياء ؛
ومن تلامذته المشهورين (جابر بن حيان) .

ويحدثنا الشهرستاني ان الامام جعفر الصادق كان ذا علم غزير في
اصول الدين^(١) وأدب كامل في الحكمة وزهد بالغ في الدنيا . وورع تام
عن الشهوات وقد اقام بالمدينة مدة يفيد شيعته المنتمين اليه ، ويفيض على
الموالين له اسرار العلوم ، ثم دخل العراق واقام بها مدة ، فلما تعرض
للخلافة قط ولا نازع احداً عليها وعلق على قوله (من غرق في بحر
المعرفة لا يطمع في شط ، ومن تعلّى الى ذروة الحقيقة لا يخف من حط) .
وجعل الامام جعفر الصادق مركزه العلمي في المدينة ومكة ووضع
جفراً اسماه جفر جعفر أو (الجفر الاحمر) ثم امر أبا موسى جسابر
ابن حيان الصوفي ان يدون ذلك الجفر ويعلمه لمن يشاء من شيعته
الاسماعيلية .

وبالرغم من ان الامام جعفر الصادق ابتعد عن السياسة فانه لم يعيش
بسلام مستمر ، يحكى ان الخليفة المنصور^(٢) قد وجه الى والي المدينة
امراً ليحرق على الامام داره ، فأخذت النار في الباب والدهليز فخرج
الامام يتخطى النار ويمشي فيها ويقول انا بن اعراق الثرى أنا بن ابراهيم
خليل الله^(٣) .

وكثير من احاديث الامامة تروى عن الامام جعفر الصادق واهلها ما
رواه عن الامام علي بن ابي طالب في كيفية خلق العالم وكيف تم انتقال
النور من آدم إلى محمد .

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ١٢٥ .

(٢) اصول الكافي للكليني ص ١٩٤ .

(٣) يذكر القرآن الكريم سورة الانبياء الآية (٦٩) كيف نجا ابراهيم الخليل من النار .

قال : ثم انتقل النور الى غرائزنا ، ولمع في أمتنا فنحن انوار السماء
وانوار الأرض فينا النجاة ومنا مكنون العلم والينا مصير الامور . الخ .
والخلاصة كان الامام جعفر الصادق من اعظم الشخصيات الاسلامية في
عصره وبعد عصره ، وبالرغم من ان شخصيته العلمية لا تزال غامضة اشد الغموض
تحتاج الى من يكشف عنها ، لا اهميتها في تاريخ الفكر الاسلامي فحسب ،
بل لان تاريخ العلوم والمعارف يتطلب منا ان نكشف القناع عن حقيقة
اعظم شخصية علمية اوجدت مدرسة خاصة في الاسلام كان لها تأثير
متباين في التيارات الفكرية والاسلامية المختلفة ، وقد تخرج من تلك المدرسة
فرق عديدة (المعتزلة والصوفية والحركات الباطنية) هذا عدا عن مناهج
العلوم الكونية المستمدة في توجيهها من الروح الاسلامية والفلسفة اليونانية .
وما دام يكتنف مثل هذه الشخصية العظيمة الظلام فستظل كثير من
الحقائق في طي الخفاء لأن التعصب الذمى طمس تلك الحقائق الناصعة
 ووضع امامنا سداً دون تفهم حقيقة تلك الاساسات العميقة في بناء
الحضارة الاسلامية .

واذا ما افتخرت المدنية الغربية بالثقافة الانسانية للأوائل ، فليس
علينا نحن الا ان نفتخر ايضاً بالزعة الانسانية التي اوجدها (التيار
الاسلامي) الذي تغذى من الاسماعيلية ووضع أسسه الامام جعفر الصادق
وصاحب اول نداء انبعث من الاعماق لاجله بل الصرخة الداوية لايقاظ
رسالة الانسان الكاملة في معانيها الرقيقة ومطالبها السامية ، ولقد جعل
الانسان محور القيم ومفسر معالم الكون من الوجهة الانسانية .

وعن الامام جعفر الصادق قوله :

انا من نور الله ، نطقت على لسان عيسى بن مريم في المهد فأدم
وشيث ونوح وسام وابراهيم واسماعيل وموسى ويوشع وعيسى وشمعون

ومحمد كلنا واحد من رآنا فقد رأهم ، نحن ابواب الله وحججه وامناؤه
على خلقه وخلفاؤه وأئمة دينه ، ووجه الله وجبينه ، وامر وصراطه ،
بنا يعذب وبنا يثيب .. انا أحيي وأميت وأخلق وأرزق وأبري الأكمه
والابرص وانبتكم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم باذن ربي ، وكذلك
الأئمة المحقون من ولدي لانا كلنا شيء واحد يظهر في كل مكان ، ولقد
اعطانا الله ما هو أعلى وأجل ، اعطانا الاسم الاعظم الذي لو شئنا لوجهنا
السماء واطاعتنا الشمس والقمر والنجوم والدواب ومع هذا فانا نأكل
ونشرب ونمشي في الاسواق ونعمل ما نشاء بأمر الله ربنا عباد مكرمون
لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ^(١) .

نساؤه وبنيه :

تزوج الامام جعفر الصادق فاطمة ابنة الحسن بن الحسن بن علي بن
ابي طالب فكان منها اسماعيل (أعقب) وعبدالله (لا عقب له) وكان
من زوجته الثانية ام ولد ^(٢) محمد واسحق وموسى وعلي والعباس .
عهد لابنه اسماعيل بالامامة على مسمع من خواص شيعته حسب
شروط الوصاية واحكامها فساق الاسماعيليون الامامة في اسماعيل والامام
جعفر حياً .

واتفق المؤرخون بان الامام الصادق انتقل الى جوار ربه في العاشر
من شوال سنة ١٤٨ هجرية وقيل ان الخليفة المنصور قد قدم له عنياً
مسموماً ، ودفن جسده الطاهر في البقيع بالمدينة الى جانب ابيه وجده

(١) كتاب بيت الدعوة الاسماعيلية ص ٧٠ نسخة خطية بمكتبي الخاصة .

(٢) انما الحنفاء للقريري ص ١٥ .

وعلى قبورهم منذ قرون رخامة كتب عليها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مبيد الامم ومحيي الامم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله
(ص) سيدة نساء العالمين وقبر الحسن بن علي بن ابي طالب وعلي بن
الحسين بن علي بن ابي طالب ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضي الله
عنهم .

وذكر ايفانوف^(١) ان للامام الصادق عدة مؤلفات منها :

١ - الجفر الأحمر .

٢ - مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة .

٣ - بحار الأنوار



الامام

اسماعيل بن جعفر الصادق (ع)

ولد الامام اسماعيل بن الامام جعفر الصادق سنة ١١٠ هجرية في المدينة المنورة ، والدته هي فاطمة ابنة الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . هو الابن الأكبر للامام جعفر الصادق وأحبهم إليه وصاحب النص الامامي والقائم فيه في حياة أبيه عندما كان له من العمر خمس وثلاثون سنة (١) .

بعد وفاة الامام جعفر الصادق في عام ١٤٨ هجرية حدث انشقاق كبير في شيعته فانقسمت إلى فريقين : فريق نادى بأفضلية اسماعيل لمركز الامامة وفريق اعتبر موسى الكاظم الابن الأصغر للامام جعفر الصادق اماماً وأبناءه من بعده حتى الامام محمد بن الحسن العسكري الذي يطلقون عليه لقب (المهدي المنتظر) وهم ينتظرون عودته بعد ان اختفى بسر داب في مدينة (سامراء) سنة ٢٦٠ هجرية وتعرف هذه الفرقة بالاثني عشرية . والشيعه في ايران والعراق وسورية ولبنان يدينون بامامة الائمة الاثني عشر الذين دخل آخرهم كهف الاستتار سنة ٢٦٠ هجرية وقيل

(١) واليه ينتسب الاسماعيليون، وتغلب عليهم اسمه .

٢٦٦ هجرية .

أما الفرقة الثانية فقد ساقوا الامامة في اسماعيل الذي نص على امامته في حياة أبيه فأصبحت الامامة في عقبه ، وتعرف هذه الفرقة بالاسماعيلية أو (الباطنية) أو (التعليمية) أو الفرقة (الهادية) :
وتدور حول هذا الانشقاق قصص وأحاديث كثيرة لا بد لنا من الاتيان على ذكر بعضها يقول المقرئ : ان اسماعيل هو الابن الاكبر للامام جعفر الصادق وهو الذي نص عليه بالامامة في حياة أبيه ، غير أن اسماعيل توفي سنة ١٣٨ هجرية والامام جعفر الصادق والده لا يزال على قيد الحياة . وخلف من الاولاد محمداً وعلياً وفاطمة وانتقلت الامامة في عقبه لأن النص لا يرجع القهقري .
وقال ابن خلدون :

توفي اسماعيل في حياة أبيه بالعريض في المدينة المنورة ودفن بالبقيع في سنة ١٤٥ هجرية ، وقد سبب موته قبل وفاة أبيه اضطراباً كبيراً عند الشيعة أجمعين مما أدى إلى تضارب الآراء فيما يتعلق بطبيعة الامامة ، وبسبب هذا الخلاف حدث انقسام كبير بين الشيعة ، فنشأت فرق وطوائف متعددة .

وقال الشهرستاني (١) :

ان الامام اسماعيل هو الابن الاكبر للامام جعفر الصادق وهو الذي نص عليه في بدء الامر ، ولقد حدث الاختلاف على موته ، منهم من قال انه مات في حياة أبيه ، وفائدة النص عليه ان انتقلت الامامة في عقبه لأن النص لا يرجع القهقري ، والقول بالبدء محال اذ لا ينص الامام

على واحد من ولده إلا بعد السماح من آباءه ، والتعین لا يجوز على
الایهام والجماعة .

ومنهم من قال ان اسماعيل لم يميت لكن اظهر موته تقية عليه حتى
لا يقصد بالقتل من قبل العباسيين ولهذا القول دلالات منها :

ان محمد بن جعفر الصادق أخو اسماعيل وكان صغيراً ، مضى الى السرير
الذي كان اسماعيل مسجى عليه ورفع الملاءة فابصره وقد فتح عينيه ،
فعاد محمد مسرعاً فزعا الى ابيه وقال : أخي اسماعيل عاش ، عاش أخي .
فقال والده جعفر الصادق : ان اولاد الرسول كذا يكون حالهم في
الآخرة يا بني !

وقال البعض :

إذن ما السبب في الاشهاد على موته وكتب المحضر عليه ، ولم يمهّد
قط أن سجل محضر على موت ميت .

وقيل ان الامام اسماعيل شوهد بالبصرة وقد مرّ على مُقعدٍ فدعا له
فبرئ باذن الله ولما بلغ الأمر (المنصور) الخليفة العباسي أرسل الى
الامام جعفر الصادق يخبره ان اسماعيل لا يزال على قيد الحياة وانه
شوهد بالبصرة .

فانفذ الامام الصادق (سجل الوفاة) الى المنصور وعليه شهادة حامله
التي تؤكد وفاة الامام اسماعيل .

ويقول عبد الله المرتضى في الفلك الدوار (١) :

إن الامام اسماعيل ما لبث بعد النص عليه بالامامة سوى زمن وجيز

حتى توفي فترك زوجة حاملاً بـ (محمد الحبيب) ولقد بقي على هذا الامام وهو لا يزال (في بطن أمه) سر الامامة ، وبعد وفاة اسماعيل اتى اخوه موسى الى ابيه الامام جعفر قائلاً : قلدني الامامة بعد أخي فأجابه : (اكظم يا موسى) .. الخ .
أما الداعي ادريس فيقول ^(١) :

إن موسى الكاظم لم يجعله الصادق إماماً الا سترأ على ولي الامر (محمد بن اسماعيل) ليحكم امره على الأضداد ، ولئلا يطلع ما خص به اهل العداوة والعماد ، حتى يستطيع الامام المستقر الحقيقي وهو الامام محمد بن اسماعيل النهوض باعباء الدعوة الاسماعيلية سرأ .
وقيل ان الامام اسماعيل قد اوصى قبل موته أباه بتميين وصياً على (محمد بن اسماعيل) ليكون سترأ عليه ^(٢) الذي هو (ميمون) الستر عليه وكفيله وكان هذا مصداقاً لقوله تعالى :
(وجعلها كلمة باقية في عقبه)

وقبل أن نعطي رأينا في الموضوع لا بد لنا من الاتيان على بعض ما كتبه المستشرق البريطاني برنارد لويس حول هذا الموضوع ^(٣) .
يؤكد برنارد لويس بأن الحركات الثورية في الربع الثاني من القرن الثاني الهجري هي التي أوجدت الاسماعيلية وأن أول من نظمها هو أبو الخطاب بلاشتراك مع اسماعيل بن الامام جعفر الصادق .
ولما توفي اسماعيل وأبو الخطاب تحول اتباعهم الى محمد بن اسماعيل

(١) زهر المعالي ص ٤٧ - ٤٩

(٢) اسرار النطقاء ص ١٥ نسخة خطية في مكتبتي الخاصة .

(٣) اصول الاسماعيلية ص (١٠٦ - ١٠٤ - ٩٩ - ١٢٨) .

وبعد ان ناقش الخلاف حول وفاة الامام اسماعيل وانشقاق الشيعة قال :
على الأرجح ان جعفر الصادق كان قد خلع ابنه اسماعيل كونه كأنه
كان على صلة مع ابي الخطاب وثار على سلطة ابيه الامام الصادق وينتهي
حديثه قائلاً ان المذهب الاسماعيلي اوجدته ذرية ابي الخطاب .

ونحن إذ نستغرب ان يأتي مستشرق مشهور مثل برنارد لويس ليطلع
علينا بأراء خاطئة تدل على قصر بآعه في الابحاث الاسماعيلية ، نقول بأن
جميع المخطوطات التي بين أيدينا تنفي أن تكون للاسماعيلية أي علاقة
بالخطابية لأن جميع المصادر الاسماعيلية وأغلب المصادر السنية والشيعة
تعترف بعدم وجود تلك العلاقة ، كما وان الاسماعيليين أنفسهم يعدون
الفرقة الخطابية من الفرق المارقة المغالية .

هذا ولا يخفى على حضرة المستشرق الكبير بأن الامام جعفر الصادق
كان قد شهر بابي الخطاب وتبرأ منه أمام الناس قائلاً : (ان أبا الخطاب
زنديق مارق يرأس عصابة من الزنادقة المارقين) . ولا أدري بعد هذا
القول كيف يقدم مثل الامام اسماعيل وهو ولي عهد الامام جعفر الصادق
على مخالفة أوامر والده الامام فيشارك مع أبي الخطاب الذي قال عنه
والده أنه (زنديق مارق) . وهذا أمر مستحيل لا يمكن أن يأتيه ولي
عهد الامام ، وهو ينحدر من بيت عرف لدى الجميع بالصدق والشرف
والكرامة والاباء والطاعة العمياء للوالدين ، عدا ان المنحدرين من هذا
البيت يتمتعون بالعصمة .

هذا مع العلم بأن نزع الامامة من المنصوص عليه أمراً مستحيلاً لا
يكون قطعاً مهما كانت الأسباب ، ويؤيد هذا القول ما قاله الامام جعفر
نفسه (لو جاءكم أحد بدماغ ابني هذا (أي اسماعيل) لا تشكوا انه

الامام بعدي) . وقال أيضاً : (هذا هو الامام بعدي لما أخذتموه عنه فهو عفي) .

ولا أدري ايضاً من أين علم برنارد لويس بأن فكرة التبني الروحي موجودة لدى الاسماعيلية في سورية وان مقالة (كويارد Guard) ص ٢١٠ تؤيد هذا القول بدعوى أن كويارد نفسه قد حضر عرضاً طويلاً للتبني الروحي جرى أمامه في مصياف .

ونحن يؤسفنا ان نقول للمستشرق برنارد لويس بأن قوله وقول زميله كويارد لا أساس لهما من الصحة مؤكدين بأن كويارد لم يحضر قط أي عرض للتبني الروحي في مصياف لأن الاسماعيلية لم يعتادوا أن يقيموا أي نوع من هذا العرض حتى ولا سمعوا به قطعاً ، بل كل ما هنالك أن نخيلة كويارد وزميله قد أملت عليهما ذلك القول .

وكان الأجدر بأن لا يقف برنارد لويس هذا الموقف غير المشرف من اسماعيل طالما انه يعترف بأن معلوماته عنه ضعيفة وليست ذات قيمة . ورأينا الأخير في هذا الموضوع بعد ان اطلعنا على جميع ما كتب حول امامة اسماعيل نقول بأن الامام جعفر الصادق قد شمر بالأخطار التي تهدد حياة ابنه الامام اسماعيل بعد ان نص عليه وأصبح ولياً للعهد فأمره ان يستتر وكان ذلك عام ١٤٥ هـ^(١) . خشية نقمة الخلفاء العباسيين وتدبر الأمر بأن كتب محضراً بوفاته وشهد عليه عامل المنصور الذي كان بدوره من الاسماعيليين .

وفوراً توجه اسماعيل إلى سلمية ومنها إلى دمشق . وعلم المنصور

(١) يؤكد دستور المنجمين انه استتر سنة ٢٤٥ هجرية .

بذلك فكتب إلى عامله أن يلقي القبض على الإمام اسماعيل ، ولكن عامله المذكور كان قد اعتنق المذهب الاسماعيلي فعرض الكتاب على الإمام اسماعيل الذي ترك البلاد نحو العراق حيث شوهه بالبصرة عام ١٥١ هـ^(١) وقد مر على مقعد فشلاه بأذن الله . ولبت الإمام اسماعيل عدة سنوات يتنقل سراً بين أتباعه حتى توفي بالبصرة عام ١٥٨ هـ وقد رزق من الاولاد محمد وعلي وفاطمة .

ونص على امامة ولده الأكبر محمد بحضور نخبة من الدعاة المخلصين .
وخلاصة القول سواء توفي اسماعيل بعد أبيه أو قبل أبيه فإن
الامامة باقية في عقبه بعد أن نص على امامته .
ويؤكد كتاب دستور المنجمين^(٢) أن اسماعيل هو أول امام مستور ،
وكان بدء ستره سنة ١٤٥ هجرية ولم يمت إلا بعد سبع سنين .

(١) اسرار النطقاء ص ١٧ نسخة خطية في مكتبي الخاصة

(٢) بلوشيه ٥٧ - ٥٨ دي خويه ٢٠٣ .

الامام

محمد بن اسماعيل (ع)

ولد الامام محمد بن اسماعيل الملقب (بالحبيب) سنة ١٣٢ هـ في المدينة المنورة وأصبح اماماً بعد النص عليه .
وكان ذلك عقب وفاة ابيه عام ١٥٨ هـ ، وكان له من العمر ستة وعشرون عاماً عندما تسلم شؤون الامامة فاستقر عن الانظار خشية بطش الخليفة العباسي الذي كان يتبع خطاه ويقتفي أثره للقبض عليه ، فكان الامام يتنقل سراً في البلاد التي يقطنها اتباعه الاسماعيلية (١) .
انتشرت بعده الدعوة الاسماعيلية انتشاراً عظيماً على ايدي دعاة افذاذ اشتهروا بمقدرتهم العلمية وحججهم المنطقية القوية ، وبراعتهم التامة في الفقه والعلم والاحكام فقويت شوكة الاسماعيلية بمهدهم وهابتهم الملوك والامراء . مما جعل الخليفة العباسي ينقم عليهم فيكتب لجميع عماله في الاقطار التي يحكمها طالباً اليهم التفتيش عن الامام الاسماعيلي محمد بن اسماعيل المستور والقاء القبض عليه وعلى كل من يناصره ويؤيد دعوته .

(١) وقد لقب بالامام المكتوم لانه لم يعلن دعوته واخذ في بثها خفية .

علم الامام محمد الحبيب بالأمر (قيل علم ذلك عن طريق زوجة الخليفة الرشيد التي كانت تعتنق المذهب الاسماعيلي سراً^(١)) فارتحل مع دعائه الى بلاد الري حيث كان الحاكم اسحاق بن عباس الفارسي الذي رحب بمقدمه باعتباره من الاسماعيليين العريقين .

وبالحقيقة فقد ساعد هذا الحاكم الامام على نشر دعوته في تلك البلاد ، فعلم الرشيد بذلك وامر باحضار الحاكم المذكور فجلد بين يديه حتى مات . بعد هذا الحادث قرر الامام ان يذهب الى (نهاوند) حيث استقر به المقام هناك فتزوج من ابنة امير تلك المقاطعة (ابو منصور بن جوش) ورزق منها أربعة أطفال .

ووردت الاخبار الى الخليفة العباسي بأن الامام محمد بن اسماعيل قد استقر في (نهاوند) واخذت دعوته تنتشر بسرعة في تلك المقاطعة ، فارسل الى نهاوند حملة عسكرية كبيرة لالقاء القبض عليه والقضاء على دعوته قبل انتشارها ، ولكن الاسماعيليين علموا بتلك الحملة فاحاطوا بها وردوها على اعقابها مدحورة .

بعد تلك المعركة قرر الامام ان يترك نهاوند الى (دماوند) حيث عمل دعائه على نشر الدعوة فيها وبنى مدينة (محمود آباد) التي ما تزال باقية حتى الآن وتعرف بهذا الاسم وتؤكد المخطوطات الاسماعيلية التي بين ايدينا^(٢) بأن محمد الحبيب قد غادر (دوماوند) متخفياً نحو

(١) من المؤكد ان زبيدة كانت لها ميول اسماعيلية ليس كما يزعم بعض المؤرخين بأنها هي التي دبرت مؤامرة قتل البرامكة الاسماعيليين .

(٢) كتاب الهدى والبيان في معرفة امام الزمان ص « ٢٥ » نسخة خطية بمكتبة احمد الدعاة في سوريا

مدينة قدير في سوريا وكان ذلك سنة ١٩١ هجرية فاتخذوها مقراً له وكان يؤمها الاسماعيليون من العراق وبلاد فارس وسوريا (١) ومن قدير أوفد الامام الى المغرب الداعيين المشهورين الحلواني وابو سفيان وقال لهما انكما ستدخلان ارضاً بوراً لم تحرث قط فاحرثاها وكرماها وذللاها حتى يأتي صاحب البذر فيضع حبة ، فنزل ابو سفيان بمدينة كتامة وقيل مدينة (مرماجنه (٢)) ونزل الحلواني بموقع يسمى (سوق حماد) فمالت إليها قلوب اهل تلك البلاد وحملوا إليها التحف والأموال .

نص الامام محمد الحبيب على امامة ولده الأكبر احمد الوفي ، وتوفي سنة ١٩٣ هجرية ودفن على رأس رابية تقع في الشمال الشرقي من مدينة قدير ولا يزال ضريحه فيها حتى الآن ويعرف بضريح (مولاي محمد بن علي) .

تعليقات :

تدور حول امامة محمد بن اسماعيل قصص وحكايات وأقاويل تناقض بعضها البعض ، لذلك رأينا أن نستعرض كل ما قيل حول محمد بن اسماعيل ، ومن ثم نناقش الأقوال والآراء ونعطي رأينا بهذا الموضوع الشائك .

مما لا جدال فيه أن جميع المصادر متفقة على أن محمد بن اسماعيل استطاع أن يخرج سراً من المدينة ويتوغل في شرق المملكة الاسلامية ولكن البعض يقول انه قصد فرغانة واستقر بها (٣) . بينما يرى البعض

(١) يذكر صاحب الفلك الدرار ص (١٣١) ان الامام قد غادر العراق سنة ١٩٣ هجرية

(٢) ابن الاثير ج ٨ ص ١١٠ .

(٣) اسرار النطقاء لجمال بن منصور : ص ٦٠ .

الآخر انه استقرّ في نيسابور^(١) حيث تزوج هناك والنحّب ابنه عبد الله الرضي الذي عهد اليه بالامامة من بعده . ويقول غيرهم : ان محمد بن اسماعيل توجه من المدينة الى العراق ، ومنها الى دوماوند ، حيث استقر بقربة تدعى (سملا) أطلق عليها فيما بعد (محمد أباد) نسبة اليه . وان خروجه لم يكن خوفاً من العباسيين بل كان لنشر الدعوة وانفاذ أبنائه ودعائه الى كافة أنحاء العالم الاسلامي .

ونحن وان كنا نتفق مع هؤلاء في بعض ما قالوه الا اننا نخالفهم في هذه الرواية لأن المصادر الاسماعيلية السورية التي بين أيدينا تذكر ان الامام محمد بن اسماعيل عندما كان يقيم في المدينة وينشر الدعوة منها الى جميع البلدان الاسلامية ، شعر الرشيد بما يقوم به ، فكتب كتاباً مستعجلاً وزعه على عماله في جميع البلدان يطلب منهم فيه القيام القبض فوراً على محمد بن اسماعيل الذي تزوج الدعوة باسمه وعلى حججه وحدوده ودعائه أينما وجدوا ، وبطريق الصدفة رأت زوجة الخليفة السيدة زبيدة الكتاب المذكور ، وباعتبار انها كانت تميل الى الاسماعيلية فقد شق عليها أن يلقي القبض على الامام محمد بن اسماعيل فأرسلت اليه صورة عن الكتاب المذكور مع أحد الاشخاص ، فلما اطلع الامام محمد بن اسماعيل على الكتاب وعرف نوايا الخليفة تجاهه ، غادر المدينة سراً مع حجته ميمون القساح وبعض الدعاة الى الري حيث رحب بهم حاكمها اسحق بن عباس الفارسي باعتباره من الاسماعيلية ، وقدم للامام كل المساعدات التي مكنته من الوصول الى نهاوند حيث استقر به المقام هناك ، وتزوج من ابنة امير تلك المقاطعة (أبي منصور بن جوش) ورزق منها أربعة أولاد ، هم : عبد الله ، محمد ، أحمد ، الحسين .

ولما بلغ الرشيد ما فعله اسحق بن عباس الفارسي أمر باحضاره ، فجلد بين يديه حتى مات .

(١) زهر المعالي للداعي ادريس عماد الدين ص ٥٤ .

ومن جهة ثانية سير العساكر الى نهاوند لالقاء القبض على الامام محمد بن اسماعيل الذي أخذ ينشر دعوته بسرعة ، ولكن اتباع الامام محمد احاطوا بعساكر الرشيد وردوها على أعقابها . وخشية أن يرسل حملات اخرى قرر الامام محمد أن يغادر نهاوند فتوجه الى (دوماوند) حيث جعل مقره في قرية سملا التي عرفت فيما بعد ب (محمد آباد) نسبة اليه . وتقول المصادر الاسماعيلية السورية أيضاً أن الامام غادر محمد آباد سراً الى مدينة تدمر في سورية وكان ذلك سنة ١٩١ هجرية فاتخذها مقراً له وكان الاسماعيليون يأتونها من العراق وفارس .

ويعتبر الامام محمد بن اسماعيل أول الأئمة المستورين ، والناطق السابع و متم الدور ، لأن امامته كانت بداية دور جديد في تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، فقام بنسخ الشريعة التي سبقتها ، وبذلك جمع بين النطق والامامة ، ورفع التكاليف الظاهرة للشريعة ، ونادى بالتأويل ، واهتم بالباطن ولذلك قال فيه الداعي ادريس ^(١) : « وانما خص محمد بن اسماعيل بذلك لانتظامه في سلك مقامات دور الستر ، لأنك اذا عدت آدم ووصيه وأئمة دوره ، كان خاتمهم الناطق ، وهو نوح عليه السلام .. وإذا عدت عيسى ووصيه وأئمة دوره ، كان محمد (ص) متسلماً لمراتبهم ، وهو الناطق خاتم للنطق ، وكان وصيه عليه السلام بالفضل منفرداً به ، وإذا عدت الائمة في دوره كان محمد بن اسماعيل سابعهم ، وللسابع قوة على من تقدمه ، فلذلك صار ناطقاً وخاتماً للأسبوع ، وقائماً وهو ناسخ شريعة صاحب الدور السادس ، ببيان معانيها وإظهار باطنها المبطن فيها » . ولقد رأينا من الأفضل ونحن نبحث قضية محمد بن اسماعيل أن نورد

(١) زهر المعاني للداعي ادريس عماد الدين ص ٥٦ .

ما ذكره الداعي ادريس عماد الدين في كتابه زهر المعاني حول امامة محمد بن اسماعيل بالنص الحرفي ليكون القارىء على بينة من الأمر ، قال ادريس (١) :

وقام محمد بن اسماعيل ، صلوات الله عليه ، وهو سابع الائمة وقائمهم ، مقابل لجده علي أمير المؤمنين تمام الدور الروحاني والخلق الآخر الذي هو نفس الشيء وروحه ومعناه ، وهو تمام الدور الأول ، ومنه ابتداء الدور الثاني . وكان بالمدينة ، فقام بدين الله سبحانه ، وبث الدعوة ، ونشر العلوم ، وأمر دعائه بطلب دار هجرة يلجأ إليها . وكان في عصر الرشيد ، فلما بلغه علم محمد بسبب انتشار دعوته ، أمر بالقبض عليه ، وأرساله إليه .

وكان الامام قد أعد بداره سرداباً ينكتم فيه من الضد . فلما وصل الرسول من الرشيد إلى المدينة ، دخل ذلك السرداب واختفى فيه ، وطلبوه فلم يجدوه ولا قدروا عليه ، فعادوا إلى الرشيد ، وأنهاؤا إليه خبر ما فعلوه . ولما هدا الطلب ، سار الامام في طلب دار هجرته . وخلف بالمدينة ولدين خالين من الامامة ، وهما اسماعيل وجعفر . وشخص الى نيسابور بنفسه منكتماً عن ضده ، وهو يدور ما بينها وبين الديلم . وتزوج بنيسابور امرأة ، فولدت له ولداً فسماه عبدالله ، وكفي بالرضي ، وعرف عبدالله الامام بالعطار كتماً لمقامه واخفاء له ، ولصب له حجباً ، وأمر كل واحد من الحجب والحجج أن يتسمى باسم الامام ، فمن أخذ العهد على مستجيب ، سمى له أحد أولئك الحجب ، حتى يمضي الوم اليه سراً على صاحب الأمر . وجرت بذلك السنة والقضية

(١) زهر المعاني للداعي ادريس عماد الدين القرشي ص (٥٣ - ٥٦)

في الائمة المستورين الثلاثة . فمن ذلك أن الدعاة في أوضاعهم يسمون هؤلاء الائمة باسماء مختلفة ، ما اتفق منها في ذلك اثنان .

فقام محمد باللسان وصمت عنه السيف إلى بلوغ الكتاب أجله ، فأظهر العلوم ، وبين الحقائق ، وكشف لخصائمه منها السر المكتوم ، فظهرت منه حقائق ومعجزات ، ودلائل وآيات ، لم تظهر في الائمة من قبله ، ولا قام أحد من الائمة كمثله ، لأنه السابع صاحب القوة والظهور ، والضياء والنور ، ومبين العلم المستور .

وكان محمد بن اسماعيل متم الدور المنتهية إليه غاية الشرائع المحتومة به ، المشتغل على مراتب حدودها ، المحيط بعلومهم . وهو القائم بالقوة ، صاحب الكشفة الأولى ، لأن القائم بالفعل هو القائم الكلي ، الذي هو صاحب الكشفة الأخرى والبطشة العظمى ، قائم القيامة الكبرى ، لأن القيامات كثيرة ، أولها المأذون المكفوف ، ثم المأذون المطلق ، ثم الداعي المحرم ، ثم الداعي المطلق ، ثم داعي البلاغ ، ثم الحجة ، وغايتها الباب . وانما كانت هذه الحدود قيامات ، كقيام كل واحد منهم بما يتصل من الصور المجردة المفارقة للأجسام الصائرة إلى أفقه المعروفة به .

ويتلو هذه القيامات قائم قيامة كبرى ، وهو المقام الذي هو الامام عليه أفضل السلام ، فهو قائم القيامة ونهاية النهايات ، وكل واحد ممن ذكرنا قائم بنسبة إلى من دونه . ويتلوها جميعاً قائم القيامة الكبرى ، صاحب البطشة العظمى ، المجتمعمة عنده جميع المقامات ، وهو لهم غاية الغايات الشريفة ، الجامع لها . . . وانما وقع عليه إسم الناطق السابع لنطقه بالامر الإلهي ، وجمعه للفضل الذي هو إليه متناهي ، وليس يتم ولا رسول ، بل هو منفرد برتبة الوحدة ، وقد تم التمام ، واتسق النظام . وانما خص محمد بن اسماعيل بذلك ، لانتظامه في سلك مقامات دور السر ،

لأنك إذا عددت آدم ووصيه وأئمة دوره ، كان خاتمهم الناطق ، وهو نوح عليه السلام . . وهو الناطق الخاتم للنطقاء ، وكان وصيه عليه السلام بالفضل منفرداً ، وإذا عددت الأئمة في دوره ، كان محمد بن اسماعيل سابعهم ، وللسابع قوة على من تقدمه . فلذلك صار ناطقاً وخاتماً للأسبوع وقائماً ؛ وهو ناسخ شريعة صاحب الدور السادس ببيان معانيها ، واظهار باطنها المبطن فيها .

... ومحمد بن اسماعيل لم يبطل شيئاً من ظاهر شريعة محمد صلى الله عليه وآله ، بل أكدها ، وأمر بالعمل بها .

وعلى ذلك سنة الأئمة الطاهرين من أبنائه التابعين لهم ، قياماً بالتكليفات ومحافظة على المفترضات ، من غير ترخيص ولا إهمال ، ولا ترك ولا إبطال ، وإنما عنى الامام المعز بقوله : « وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد ، لما كان لمعانيها مبيناً ، ولاسرارها كاشفاً ومجلياً ، فأزال عن أتباعه وأشياعه اعتقاد الظاهر ، على ما فيه من تعطيل وتشبيه للمبدع الحق بمخلوقاته ، وتمثيل وتجسيم للملائكة الروحانيين ، واعتقاد لذلك ، على ما هو موجود في هذه الدار . فمطل ذلك الاعتقاد ، وبين فيه المراد ، كشفاً للحقائق ، واظهار البيان الصادق ، وقياماً بالتأويل الذي عرف فيه التوحيد بحقيقته ، ونزه الباري سبحانه عن صفة خليقته ، وعرفت الملائكة بجوهرها اللطيف ، وبين الثواب والعقاب على ما يعتقدونه أهل التجسيم والتكثيف » .

ويقدم الينا الحسن بن نوح الاسماعيلي الهندي المتوفى سنة ٩٣٩ في كتابه (الازهار شرحاً) هذا خلاصته :

« إن الامام الخامس ، هو جعفر الصادق ، وقد توفي سنة ١٤٨ هجرية في الثامنة والستين من عمره ، ودفن بالبقيع بالمدينة الى جانب

أبيه وجده . وان الامام السادس ، هو ولده اسماعيل بن جعفر الملقب بالوفي ، وقد مات في حياة أبيه ، ولكن بعد اختياره إماماً . وقد أوصى بالإمامة لولده محمد بن اسماعيل بموافقة والده جعفر ، وأفضى الامام جعفر بهذه الحقيقة ، الى زعماء الطائفة الشيعية دون غيرهم ، خوفاً على حياة خلفه ، وتمسكاً بسياسة الاستتار . فالإمام السابع هو أبو عبد الله محمد بن اسماعيل الملقب بالشاكر . وقد أوصى بالإمامة من بعده لولده عبد الله بن محمد ، وقبره بمدينة فرغانة .

ويقول المؤرخ الاسماعيلي أدريس عماد الدين المتوفى سنة ٨٧٢ هجرية في كتابه (عيون الاخبار) :

« وقام اسماعيل بن جعفر في كنف أبيه ، وعهد بمحمد بن اسماعيل ، وهو ابن ثلاث سنين الى ميمون القداح ، قدس الله روحه ، وهو كفيل له ، ومستودع أمره ، وميمون من أولاد سلمان ، وسلمان من أولاد إسحق بن يعقوب . ثم يقول في مكان آخر : « وإن الصادق عليه السلام أقام موسى بن جعفر حجاباً على محمد بن اسماعيل ، وعلى من جعله له باباً الذي هو ميمون ، الستر عليه والكفيل له .. وكنم الصادق منزلة ابن ابنه ، وأقام له ميمون القداح وابنه عبد الله بن الميمون كفلاء ، وكنم أمر ذلك عن الخاص والعام ، إلا على المخلصين العارفين . »

ومن هذه الأقوال وغيرها نستطيع أن نؤكد استناداً على المصادر الاسماعيلية ان محمد بن اسماعيل لم يكن طفلاً كما يدعون عندما تسلم الامامة بعد وفاة أبيه لأننا ذكرنا عندما أوردنا ترجمة حياة اسماعيل في غير هذا المكان ان اعلان موت اسماعيل في حياة أبيه لم يكن إلا تغطية أو بالأحرى ذراً للرماد في عيون العباسيين الذين كانوا يلاحقونه في كل مكان ، ومن الواضح أن وفاة اسماعيل كانت سنة ١٥٨ هجرية وفي ذلك

الوقت كان عمر ولده محمد ستة وعشرين عاماً ، وباعتقادي ان من كان عمره هكذا ليس بحاجة إلى وصاية أو رعاية ، وكل ما هنالك أن الشيعة التي كانت موالية للامام جعفر الصادق انقسمت بعد وفاته ، فادعى كل قسم بأنه صاحب الحق في مبايعة أحد أولاده لأنه هو المنصوص عليه ليكون خلفاً لأبيه ، وبالطبع أخذ كل فريق منهم يورد النصوص والأقوال والآراء التي تؤيد نظريته .

ومن الطبيعي جداً أن محمد بن اسماعيل بعد أن أصبح ولياً لمهد أبيه - أي الامام من بعده بموجب النص الشرعي - أن ينظم دعوته ويركز دعائماً قبل وفاة جده ، فأخذ يدعو لنفسه وهو في الحجاز وساعده على ذلك حدوده ودعائه وأتباعه . أما علاقة ميمون القداح في الأمر فإليك قصة ميمون كما تصورها المصادر .

ميمون القداح :

احتلت اسرة القداح مكاناً مرموقاً في تاريخ الدعوة الاسماعيلية في دورها الأول ، وكان الأئمة يعتمدون على أفراد هذه الأسرة التي قدمت للاسماعيلية أجل الخدمات . ويعتبر مؤسس هذه الأسرة الداعي الكبير ميمون القداح أول من اتخذ الأئمة المستورين حجة ونائباً لهم . وتشير بعض المصادر التاريخية ان الامام جعفر الصادق جعله حجاباً وستراً على حفيده محمد بن اسماعيل أول الأئمة المستورين . وقيل أن ميمون القداح كان راوية للامام محمد الباقر وابنه الامام جعفر الصادق ، وقيل انه ينتسب إلى عقيل بن أبي طالب . وتذكر المصادر الاسماعيلية أنه يرجع في نسبه إلى سلمان الفارسي ، ويعرف لديهم بميمون بن غيلان بن بيدر

ابن مهران بن سلمان الفارسي .

وبالحقيقة يكتنف تاريخ ولادته ونشأته الاولى الغموض والابهام ، ولكن بعض المصادر توضح أنه ولد في مكة وانتقل الى الأهواز ، وقيل أنه جاء من محل في الأهواز يدعى (قورج العباسي) ونزل عسكر مكرم ، ثم ذهب إلى ساباط ابي نوح . ولقد أثارت حياة ميمون القداح وأمرته ، وعلاقتها بالاسماعيلية عاصفة من النقاش التاريخي استمر حتى عصرنا الحاضر ..

ولقد اعتبر البعض أن ميمون القداح هو المؤسس الفعلي للحركة الاسماعيلية ، وان ائمة هذه الحركة هم من أولاده وأحفاده . وقال البعض الآخر ان ميموناً كان يهودياً ديصانياً عمل على تهديم الدين الاسلامي ونشر الاتحاد والزندقة . وذهب آخرون الى الادعاء بأن الفاطميين ينتسبون إلى هذا الديصاني اليهودي . ونحن في هذا الصدد لا يسعنا إلا أن نورد ما قاله أكبر مؤرخي الحركة الاسماعيلية في القرن العشرين حول هذه القضية وهو المستشرق الكبير البرفسور (ايثانوف) ومن ثم نعطي رأينا في الموضوع على ضوء الواقع والحقيقة والمصادر التي نملكها .

حاول البروفسور (ايثانوف) في أماكن عديدة ، من كتبه التي وضعها عن الحركة الاسماعيلية ان يدحض قصة ميمون القداح كما توردها الروايات التاريخية السنية ، وتوصل إلى النتيجة الآتيتين :

- ١ - ان ميمون القداح وولده عبدالله لم يكونا أصل الفاطميين ، ولم تجمعهم بها أية صلة رحم أو قرى لا من بعيد ولا من قريب .
- ٢ - انها لم يكونا ديصانيين ، أو زنديقين ، بل كانا بالعكس فقيهين ورعين ، وان الدعوة السرية الإلحادية التي تنسب اليها لم

تكن إلا من نسج الخيال ^(١) .

ويرى إيثانوف أن القول بأن عبدالله بن ميعون هو جسد الخلفاء الفاطميين وباعث ثورة القرامطة ، إنما هو قول عقيم مغلوط ، وأن المعروف بأن عبدالله هذا قد تبناه محمد بن إسماعيل ، وأن القول المأثور بأن عبدالله هذا قد تبناه محمد بن إسماعيل ، ثم خلفه بتفويض منه ، أو أنه اغتصب الإمامة بالخدعة والغش كما فعل حفيده المهدي ، كل ذلك مضلل ومناف للبحث السليم . وقد كان عبدالله رفيقاً للإمام جعفر الصادق ، ولا يعرف شيء عن حياته الأولى . وقد توفي الإمام جعفر في سنة ١٤٨ هـ ومن المرجح أن عبدالله قد توفي بين سنتي ١٦٠ و ١٨٠ هـ ، لا كما يقول الجويري في « كشف الأسرار » من أنه توفي في سنة ٢١٠ هـ . هذا ، وقد ورد أول نفي لقصة القداح ، في رد المعز لدين الله على داعي الشيعة في السند ، حيث أوضح له أن كلمة « الميعون » ، إنما هي لقب للإمام عبدالله بن إسماعيل ، وتكريم له ، وكذا فيما يتعلق بكلمة « القداح » وهو الذي ينثر من حوله ضوء الحكمة الإلهية ، ووردت أول إشارة عن عبدالله بن ميعون ، في رسالة الكرمانى « الكافية » التي رد فيها على الفقيه الزيدى ، وفيها ينفي نسبة الحاكم بأمر الله إلى القداح ، ويؤكد نسبه إلى علي وبنيه . ويتحدث أيضاً إيثانوف في كتاب آخر عن مؤسس الحركة الإسماعيلية فيقول ^(٢) :

« إن الفاطميين قد أخفوا انسابهم ، وفروع ذوي قرباهم ، خوفاً من

(١) Rise of the Fatimids : Bay. W. IVANOW ، ص ١٢٨ و ١٣٠

١٤١ و ١٤٢ .

(٢) the Alleged Founder of Ismailism Ivanow

أعدائهم ، في البلاد الخارجة عن سلطانهم ، على أولئك الأقربين ، وإن قصة ميمون القداح وولده هذه ، ما هي إلا أسطورة وخرافة ، ويورد إيثانوف في كتابه المذكور تراجم الأحاديث التي وردت في كتاب «الكافي» برواية عبدالله بن ميمون ، ووالده ميمون القداح ، والتي رواها عبدالله عن والده ميمون ، وهي أكثر من مائة وخمسون حديثاً ، منها مائة وثلاثون ، نقلت من كتاب «الكافي» ، ونقلت الأحاديث الباقية من كتاب «تهذيب الأحكام» ويستدل من هذه الأحاديث ومما جاء في الكثير منها ، أن ميمون القداح كان على صلة بالإمام محمد الباقر ، وأنه كان من تلامذة الإمام ، فنرى الإمام الباقر يأمر تلميذه ميمون بتبديل مكان جلوس الضيوف ، ونراه يرافق الإمام في رحلته ، وحيث يسير مستنداً إلى ابن القداح ، وفي الحديث الرابع يوصف ميمون بوضوح بأنه «مولى الإمام محمد الباقر» ، «وغلام» الإمام جعفر الصادق^(١) . ولقد أبدت بعض المصادر السنية أن ميمون القداح كان مولى الإمام جعفر الصادق^(٢) .

كما وان إيثانوف ينفي تهمة الإلحاد عن عبدالله بن ميمون القداح ، مستدلاً على ذلك بأن اسمه قد ورد في كتب الحديث السنية ، مثل ابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣ هجرية ، والذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هجرية وابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هـ . وعبد الله الحزرجي الأنصاري المتوفى سنة ٩٢٣ هـ . ولم تنسب إليه في كتب السنة ، أية دعوى بالإلحاد أو الزندقة ، ويصفه أكابر رواة الحديث السنيين بصفات مختلفة ، مثل :

(١) The Alleged founder of Ismailism Ivanow ص ٦٣ الأحاديث (١٠١)

و ١١٥ و ١١٦ و ٤) .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٦٦ .

ضعيف ، وسقيم ، وراوية لاحاديث مدخولة ، أو أمور منكرة ، ولكن لم يرمه أحد منهم بشبهة الإلحاد (١) .

ويستنتج ايضاً انوف من كل هذا ، أن ميمون القداح كان من الموالي ، وكان مقيماً بمكة وله أهمية محلية ، وكان خادماً مخلصاً للامام محمد الباقر ، ثم لولده جعفر ، ومن الممكن أنه كان تاجراً ، وربما كان أيضاً مشرفاً على أملاك الأئمة بمكة . وقد كان فيما بعد رجلاً ذا شخصية . وكان له عدة أولاد منهم عبد الله ، وأبان ، وربما ابراهيم . وكان أبان عالماً يحفظ القرآن ، وليس من المستحيل أن كان أخوه عبد الله معلماً للكتابة ، وأنه دون خلال خدمته للامام ما سمعه منه ، وأن مجهوده فيما يبدو ، كان منحصراً في تدوين الأحاديث التي سمعها من الامام جعفر ، وليس هناك ما يدل على انه كان مشتركاً في أية حركة إلحادية (٢) .

ثم ان ايضاً انوف ينفي بشدة - ما قاله ابن شداد الحيري المتوفى سنة ٥٠٩ هـ ، فيما أورده عن ابن الاثير في حوادث سنة ٢٩٦ هـ . عند الكلام على ابتداء الدولة العلوية بأفريقيا (٣) حيث ذكر أن ميمون وولده من أبالسة الإلحاد والكفر - فيقول : « لا محل لنقد مثل هذه الرواية ولا داعي لأن يهتم بما هو خيال واضح ، وخصوصاً لما يتضمنه ذلك من تناقض في التواريخ . ومن مبالغات بينة . أما ما زعم أن ميموناً قد ألف كتاباً عنوانه « الميزان في نصره الزندقة » فالمصادر الشيعية المبكرة لم تذكر شيئاً من ذلك . وكل هذه في رأيه أكاذيب لا تستحق الجدل (٤) .

(١) the Alleged Founder of ismailism : w-ivanow P. 75, 76

(٢) P. 78 - 79 - المصدر نفسه .

(٣) 80 - 81 - المصدر نفسه .

والجدير بالملاحظة ان خصوم الاسماعيلية ، ينسبون ميمون القداح وولده عبد الله الى طائفة (الديصانية) وهي التي قام بتأسيسها الحبر بارديسان في مدينة الرها في القرن الثاني من الميلاد ، وهو الذي يرى البعض أن نظرياته كانت أصل « المانوية » . ويقولون إن ميمون وابنه عبد الله كانا من الديصانيين أتباع هذه الطائفة .

وتذكر بعض مصادر الأحاديث السنية ، ان شخصاً كافراً ، يدعى أبو شاكر الديصاني ، كان يتصل بالامام جعفر الصادق ، ويسأله أسئلة عن الله وعن قدرته . وقد أشار ابن النديم الى انه من بين العلماء الذين يتظاهرون بالاسلام في قلوبهم ^(١) ويناقش ايثانوف هذه الفرية فيقول : فلو فرض حقاً أن ميمون وولده كانا في الأصل ديصانيين ، فإنه لا يعقل أن يكونا كافرين ومسلمين في آن واحد . والواقع ان هنالك من الأحاديث المشار اليها في كتاب ايثانوف المذكور ما يدل على أن ميمون القداح كان مولى للإمام محمد الباقر ، وأنه يروي « أحاديث » عن هذا الإمام ، وان ابنه « أبان » كان يتلو القرآن عليه ، كما وان ولده الآخر عبدالله كان يروي الأحاديث عن الائمة . فلا بد إذاً أن يكون ميمون وولده قد اعتنقا الإسلام عندئذ ، وذلك في القرن الاول من الهجرة . ومن جهة أخرى ، فان هنالك من الأحاديث ما يدل على أن ذلك قد حدث أيام الإمام جعفر الصادق ، وقد توفي هذا الامام وفقاً لرواية هشام ابن الحكم سنة ١٩٩ هـ . وهذه مغالطة تاريخية ظاهرة ؛ وإذن فليس هنالك بلا شك علاقة بين الديصانيين وبين ميمون القداح وولده . وما هذا الجمع في الاسماء إلا محاولة عقيمة زائفة ، ترمي إلى جعل ميمون

(١) الفهرست لابن النديم ص ٤٧٣ .

وولده هما ابو شاكر الديصاني وولده . وبالنتيجة يتضح من أحاديث الشيعة ، التي لا تذكر شيئاً عن أصل ميمون الديصاني ، تدل على أنه حتى لو كان ميمون قد تحول من هذه الطائفة إلى الاسلام كان مخلصاً ورعاً (١) .

وقد أورد الداعي أدريس عماد الدين القرشي في كتابه « عيون الاخبار » خطاب الامام المعز لدين الله الى داعي السند ، الذي ينكر فيه نسبته إلى ميمون القداح ، ويقول أن جده الحقيقي هو عبدالله بن محمد بن اسماعيل وأنه كان يسمى أحياناً « عبدالله الميمون النقية » ، وكانت هذه العبارة تطلق أيضاً على محمد بن اسماعيل ، إشارة إلى المركز الرفيع الذي يحتله في حظيرة الحركة الاسماعيلية . وكذا كانت تطلق كلمة « المبارك » على سادس الائمة إسماعيل بن جعفر الصادق .

ويقول ايثانوف : باعتقادي أن ذلك يحمل لغير اسطورة « ميمون بن القداح » ذلك أن محمد بن اسماعيل ، إذا كان يعرف اسمه السري « الميمون » فالظاهر أنه كان يسمى في محافل الطائفة بعبد الله بن الميمون . وقد حرف الحونة أو المزيّفون هذا الاسم ، وحرفوه إلى عبد الله بن ميمون القداح ، ونسبوا بذلك الى هذا الرجل القديس جرائم وذنابل لا تصدق (٢) . ويرى ايثانوف بعد كل ذلك أن هذه القصة التي تجعل عبد الله بن ميمون جد الخلفاء الفاطميين ، إنما هي اسطورة سخيّة ، ويعتب على المؤرخين الذين صدقوها وآمنوا بها (٣) .

والى جانب هذه الآراء الصريحة التي يوردها عالم كبير اختصاصي

(١) The Alleged Founder of Ismailism By. w. Ivanow. ص ٩٩-١٠٣

(٢) المصدر نفسه ص (١١٠ - ١١٢) .

(٣) المصدر نفسه ص (١٥٢ - ١٥٧) .

بالدراسات الاسماعيلية ينفي أن ميمون القداح وولده ، قد جعل أحدهما مستودعاً للامام الاسماعيلي ، ليتولى عمله أثناء غيبته ، لاعتقاده بأن مثل هذا النظام لم يكن موجوداً أو معروفاً لدى الاسماعيلية ، ويؤكد أن نظرية الاستيداع لم تعرف إلا في القرن الرابع الهجري . وينهي بحثه بقوله : « وإن هذه الملحمة الإلحادية التي نسجت حول اسم عبد الله بن ميمون القداح ، ليست إلا معتركا من الأكاذيب والأقوال الباطلة ، وليست إلا من صنع الخيال » .

وفي الفترة الأخيرة طلع علينا الاستاذ عارف تامر بأراء جديدة مبتكرة حول اسطورة ميمون القداح ، رأينا انه لا بد لنا ونحن نستعرض هذه الاسطورة من ايرادها .

قال عارف تامر (١) :

« الميمونية فرقة جعفرية قالت بامامة جعفر بن محمد الصادق ، وكان يتولى قيادتها ميمون القداح ، وهو فارسي ومن تلامذة جعفر بن محمد الصادق ، وتعتبر هذه الفرقة الركيزة التي قامت عليها الاسماعيلية فيما بعد » . ثم يستدرك ويقول في مكان آخر (٢) : « والحقيقة ان الامام محمد بن اسماعيل هو نفسه كان يحمل لقب ميمون والقداح » .

التناقض في هذين القولين ظاهر واضح لا يحتاج الى مناقشة وتعليق ، ففي الوقت الذي يقول عارف تامر ان ميمون القداح من أصل فارسي ومن تلامذة جعفر الصادق يعود ثانية وفي نفس الكتاب ليقول بأن محمد بن اسماعيل هو نفسه كان يحمل لقب ميمون والقداح ، بعد أن يكلف

(١) كتاب الامامة في الاسلام : لعارف تامر منشورات (دار الكتاب العربي ومكتبة النهضة في بغداد) ص ٨٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٨١ .

نفسه عناء الاتيان بالمصادر التي تؤيد هذه الأقوال المتناقضة .

أما عن الآراء التي ناقشها المستشرق البروفسور (ايثانوف) وان كنا نؤيده في بعض ما ذهب اليه ولكننا نخالفه بالرأي القائل بأن محمد بن اسماعيل كان نفسه يحمل لقب ميمون القداح ، لأن هذا القول لا يستند الى الواقع والحقيقة فالأحاديث التي رواها عبد الله بن ميمون القداح عن والده ، تؤكد بوضوح أن ميمون القداح وولده من بعده . كانوا أشخاص يتولون ارفع المناصب بالنسبة لمراتب الدعوة الاسماعيلية ، وليست لهم أية صلة قرابة بالأئمة ، كما وأنهم ليسوا أشخاص خياليين أو القاب كان الأئمة يلقبون بها . فميمون القداح كان حداً من حدود الدعوة الاسماعيلية برتبة حجة أو باب الأبواب ومن الطبيعي وحسب الانظمة الاسماعيلية يقتضي أن يبقى من يحمل هذه الرتبة مرافقاً للامام في حله وترحاله .

أما ما ذكره البروفسور ايثانوف بأن مرتبة الاستيداع لدى الاسماعيلية لم تكن معروفة في القرن الأول للهجرة فمردود ، لأن جميع المؤلفات الاسماعيلية وخاصة التي تبحث بالفترات والقراءات تشير إلى ان هناك أئمة كثيرين في الأدوار التي سبقت ظهور الاسلام كانوا يحملون رتبة الاستيداع ، والمثال على ذلك ما قيل عن أولاد يعقوب ، وشمعون الصفا وغيرهم .

والخلاصة كان ميمون القداح فيلسوفاً وعالمًا من أنبغ علماء عصره ومن أعظم منظمي الدعوة الاسماعيلية ، ومما اختلف المؤرخون في تحليل شخصية هذا الداعي الكبير فلم يكن سوى خادم أمين لامامه ولدعوته . ومن الأرجح أنه استقر في سلمية ومات فيها في نهاية القرن الثاني ودفن فيها .

الامام

عبد الله بن اسماعيل « الوفي احمد »

ولد الامام عبد الله بن الامام محمد بن اسماعيل الملقب (بالوفي) سنة ١٢٩ هجرية في مدينة (محمود آباد) وامه الاميرة فاطمة ابنة الامير أبي منصور ابن جوش . ومن ألقابه (أحمد الوفي ، والناصر ، والعطار ، وعبد الله الأكبر) .

تولى الامامة سنة ١٩٣ هجرية بعد وفاة ابيه ، فغادر تدمر الى السلية عام ١٩٤ هجرية يصحبه عدد كبير من رجالات الدعوة الاسماعيلية الافداه ، حيث اتخذها مقراً لامامته ومركزاً رئيسياً لدعوته ، يرسل منها الدعاة الى الاقاليم المختلفة لنشر الدعوة فيها ، وكان الدعاة من الجرأة بمكان ، جلدون على الشدائد ، حتى اذا ما وقع بيد الخليفة كان يجلد ويعذب اشد العذاب دون ان يتمكنوا من اخذ الاعترافات منه او ان يعلم بمكان استقرار الامام وكثيراً ما ادى عذابهم الى الموت . وقد رقت الدعوة ترتيباً محكماً ونظمت تنظيمًا دقيقاً . وفي

عهد الامام احمد الوفي كانت الاموال والذخائر تنقل الى السلمية من كل بلد اسماعيلي بواسطة الدعوة ، وكان قد حفر سرداباً في الصحراء حتى داخل بيت الامام في السلمية طوله خمسة عشر ميلاً وكانت الاموال والذخائر تحمل على الجمال فيفتح لها باب السرداب في الليل وتنزل فيه باحمالها عليها حتى تحط في داخل الدار وتخرج في الليل ثم يمال على باب السرداب ^(١) بالتراب فلا يدري به أحد ، أو قيل ان الاموال التي كانت تصل الى السلمية كانت عظيمة جداً ، وهكذا فقد اصبحت السلمية في عهد الامام احمد الوفي مركزاً رئيسياً للدعوة الاسماعيلية مما قد ساعد على انتشارها بسرعة في الشرق الادنى والمغرب نظراً لقرب السلمية من العراق وبلاد العرب وبلاد البحرين واليمن وكذلك تعرضت الدعوة بعدهم لنقمة الكثيرين من الخلفاء والامراء ، فكانوا يطاردونهم ويقتلونهم اينما وجدوا ولكن تلك النقبات لم تؤثر في نشاطهم المستمر ، فاجتمعت طائفة من العلماء الاسماعيلية والفوا اثنتين وخمسين رسالة فلسفية عرضوها على الامام احمد الوفي فسماها (رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء) ولخصها برسالة واحدة سماها (رسالة الجامعة) وألف رسالة اخرى جمعت علوم جميع الرسائل وسماها (جامعة الجامعة) .

ولما اطلع المأمون الخليفة العباسي على تلك الرسائل امر بالتنقيب عن مؤلفيها المجهولين فذهبت جميع جهوده التي بذلها في سبيل ذلك ادراج الرياح . ولا تزال اسماء اولئك المؤلفين مجهولة بالرغم من ان اكثر المؤرخين والفلاسفة قد فلتشوا ونقبوا عنها بدون جدوى وأخيراً بعد محاولات كثيرة تمكنا من العثور على اسماء بعض مؤلفي (رسائل اخوان

(١) ميرة جعفر الحاجب ص « ١٧ » نسخة خطية بمكتبي الخاصة .

الصفاء) من بعض المخطوطات الاسماعيلية السرية وهم :

- ١ - ابو سلمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمقدسي .
- ٢ - ابو الحسن علي بن هارون الزنجاني .
- ٣ - ابو احمد المهرجاني .
- ٤ - ابو الحسن العوفي .
- ٥ - ابو حيان التوحيدي .
- ٦ - زيد بن رفاعه .
- ٧ - محمد ابو الفرغ .
- ٨ - ابو سليمان محمد بن طاهر السجستاني .
- ٩ - ابو زكريا العمري .
- ١٠ - عبد السلام بن الحسين البصري .
- ١١ - ابو سفيان .
- ١٢ - الحلواني .

ونعتقد بأن هذه هي الأسماء الحقيقية لاختوان الصفاء وخلان الوفاء .

قال الامام سلطان محمد شاه علي الشهير (بآغا خان) في

حديثه عن اختوان الصفاء (١) :

توجه عامة المسلمين الموحدين الى الامام (احمد الوفي) وكان باب العلم ليعرفهم الفرق بين الدين والفلسفة فاستجاب لهم وأمر بتأليف اثنتين وخمسين رسالة سماها (رسائل اختوان الصفاء وخلان الوفاء) واخفى اسماؤها مؤلفيها لاسباب سياسية ، وأمر بأن تنشر باسم (همايون) وحروفها بالجلل تساوي (وفي الحق) ولما اطلع المأمون على تلك الرسائل ذهل

(١) في كتابه « نور مبين حبل الله المبين » في اللغة الاردية يتألف من « ٦٦٠ » صفحة .

وايقن أن مؤلفها ليس من العلماء المغمورين بل لا بد أن يكون أحد الأئمة المستورين ، ورأى أنه في حاجة إليه لاصلاح امور الدولة وشؤونها فجدد في البحث عنه حتى قبض على أحد دعاة ويدعى (ابو ترمزي) وقابل الخليفة المأمون فأظهر له اثناء محادثاته أنه من المعتقدين المخلصين في الامام ، وطلب منه أن يدلّه على مكان الامام فأبى ، فقتله المأمون . ولما بلغ الامام الخبر وهو في السلمية خشي على نفسه فقام بسياسة كبيرة زار فيها الكوفة ثم بلاد الديلم ثم عاد إلى السلمية مساراً بمعسكر مكرم وبعد ان اقام مدة بالسلمية قصد بلدة محمود آباد وتوفي هناك في سنة ٢١٢ هجرية وتولى الامامة بعده ولده الامام (تقي محمد) انتهى قول الامام . والخلاصة توصلت الاسماعيلية في عهد الامام الوفي احمد الى درجة عظيمة من العلم والثقافة بما عظم مركزهم وقوى من شوكتهم وانتشرت علومهم ومؤلفاتهم الفلسفية التي احدثت ضجة قوية في جميع الاوساط العلمية ، غادر الامام احمد الوفي السلمية اثر الحملات التفتيشية التي كان يجريها الخليفة العباسي بحثاً عنه ، قاصداً بلدة (محمود آباد) وأقام فيها حتى توفي سنة ٢١٢ هجرية ^(١) وتولى الامامة من بعده ولده « محمد التقي » ، وقيل انه بعد أن نص على ولده « أحمد » الملقب بمحمد التقي انتقل الى مصياف ومات فيها ودفن بأعلى قمة جبلها بمكان يدعى المشهد .

(١) جاء في ص ١٣٦ من كتاب الفلك الدرار ان الامام وفي احمد قد توفي في مصياف سنة ٢٣٥ هجرية ودفن فيها ويعرف قبره « باخوان الصفاء » وهذا القول لا يعتمد عليه تاريخياً والاصح ان وفاته كانت عام ٢١٢ هجرية ودفن في بلدة « محمود آباد » .

الامام

احمد بن عبد الله (محمد التقي)

ولد الامام احمد بن عبد الله الملقب بـ (محمد التقي) سنة ١٩٨ هجرية في مدينة السلمية ، تولى الامامة الاسماعيلية عام ٢١٢ هجرية بعد وفاة أبيه في مدينة « محمود آباد » وغادرها الى السلمية سرّاً حيث اصبحت السلمية مركزاً لنشر دعوته في الاقطار المجاورة ، فازدهرت الدعوة الاسماعيلية ازدهاراً عظيماً وخاصة في سوريا واليمن على أيدي دعاة نشيطين عرفوا بمقدرتهم العلمية امثال أبي القاسم رستم بن الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي رئيس مدرسة الدعاة في اليمن وموضع ثقة الامام ولقب بالمنصور لكونه حقق انتصاراً كبيراً للدعوة في اليمن والمغرب وجميع الاقطار التي كانت تحت امرته ، ولقد شبهه بأنه كان يمثل الفجر وبه كشف الله عز وجل عن الأولياء واثار الظلمة ^(١) وترك هذا الداعي الكبير مؤلفات علمية وفلسفية كثيرة من أهمها .

١ - كتاب « تأويل الذكاة » .

(١) ميرة جعفر الحاجب ص « ٦٠ - ٦١ » نسخة خطية في مكتبة الخاصة ابن الاثير ج ٨ ص « ١١ - ١٢ » ابن خلدون ج ٤ ص « ٣٠ - ٣١ » انعاظ الخلفاء ص « ٦٧ - ٦٨ »

٢ - كتاب الشواهد والبيان لمباحثة الاخوان (١) .

٣ - كتاب أسرار النطق (١) .

٤ - كتاب الكشف .

٥ - كتاب الانوار الفضية في معرفة الانفس الذكية (٢) .

٦ - كتاب الايضاح (٢)

هذا عدا عن الترتيبات والتنظيمات الكثيرة التي اجراها بين الدعوة .
ولقد تعرض الامام اثناء وجوده في السلمية لمضايقات الخلفاء العباسيين المستمرة لذلك وجد بأن السلمية لم تعد مكاناً صالحاً له فغادرها سرّاً الى الري حيث استقر فيها مدة طويلة عمل خلالها لنشر دعوته على نطاق واسع فاعتنقها اكثر الملوك والامراء وقدموا جميع امكانياتهم لمساعدة الدعوة في سبيل نشرها وتعميمها في جميع الاقطار الشرقية ، والجدير بالذكر ان اكثر الحكام والولاة في العهد العباسي كانوا يتظاهرون بنقمتهم على الاسماعيلية بينما كانوا يدينون بمقائدها في الباطن وينصرون الدعوة ويعملون سرّاً على تقوية الدعوة وانجاحها .

عاد الامام الى السلمية ومنها الى مصياف حيث توفي هناك عام ٢٦٥ هجرية ودفن على قبة جبل مصياف المعروف بجبل (مشهد) الذي يبعد عن المدينة مسافة سبعة كيلومترات الى الجنوب الغربي بعد ان نص على

(١) هذه الكتب موجودة في مكتبي الخاصة « قيد التحقيق » وقد اهداني ايها الشيخ سليمان ابن الشيخ ابراهيم .

(٢) هذه الكتب موجودة في مكتبي الخاصة (قيد التحقيق) .

امامة ولده الامام عبدالله الرضي .

والخلاصة ان الدعوة الاسماعيلية وصلت بعهد الامام محمد التقي الى درجة عظيمة من الرقي والنجاح والازدهار وهذا ما ساعد على تأسيس الخلافة الاسماعيلية في المغرب التي كانت مقدمة للخلافة الفاطمية الكبرى في القاهرة والتي بدأ بتأسيسها الامام محمد المهدي حفيد الامام محمد التقي والتي استمر على اريكتها ثلاثة من الأئمة الفاطميين ثم انتقل الرابع منهم وهو الامام المعز الى القاهرة كما سيأتي الحديث عن ذلك في حينه .

الامام

الحسين بن احمد «عبد الله الرضي»

ولد الامام الحسين بن الامام أحمد الملقب (بالرضي) سنة ٢١٢ هجرية وقيل ٢٢٨ هجرية . في الري ، وبعد انتقال ابيه أصبح اماماً للاسماعيلية وانتقل الى همدان ثم الى اذربيجان والى استنبول وفي هذه الاماكن كان يوزع الدعاة على مختلف المناطق الاسلامية ، لم يستقر به المقام طويلاً في استنبول فغادرها الى السلمية ومن السلمية الى عسكر مكرم ^(١) . واتخذ الحسين بن عبد الله بن ميمون القداح حجة له وحجاً به عليه .

في عهد الامام عبد الله (الرضي) تقدمت الدعوة الاسماعيلية تقدماً عظيماً فازدهرت العلوم وانتظمت الدعوة انتظاماً دقيقاً فكانت رئاسة الدعوة في السلمية او (عسكر مكرم) تتصل مع الدعاة بواسطة الحمام الزاجل الذي بدع في استخدامه الدعاة الاسماعيلية ويعتبرون انهم أول من استخدمه للغايات السياسية والامور الحربية .

ونبع دعاة عظماء كانت لهم جولات موفقة في عالم الادب والتأليف

(١) عسكر مكرم بلد في نواحي خورستان انظر « معجم البلدان لياقوت » .

والفلسفة فانتشرت دعوتهم وتفاذروا في الدفاع بالقلم واللسان .

لما علم الامام عبدالله (الرضي) بأن الدعوة في المغرب تتقدم باستمرار أوعز الى الداعية الكبير أبي عبدالله الحسين أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي الذي كان يعلم الناس المذهب الاسماعيلي في البصرة كي يذهب الى مدرسة الدعوة في اليمن ليدرس هناك على ابن حوشب ، وامره ان يطيعه وان يقتدي به ثم يذهب بعد فراغه من الدراسة الى المغرب قاصداً بلدة (كتامة) .

توجه أبو عبدالله الى اليمن حيث شهد مجالس ابن حوشب واصبح من كبار اصحابه وهناك علم وفاة الحلواني وأبو سفيان (دعاة المغرب) فقال لأبي عبدالله الشيعي إن ارض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وابو سفيان وقد ماتا وليس لها غيرك فبادر فانها موطأة لك .

خرج أبو عبدالله الشيعي الى مكة مع حج اليمن فلفي بها رجالات من كتامة اختلط بهم فوجدوا بذوراً من العقائد الاسماعيلية ، فارتحل معهم الى كتامة ووصلها في منتصف ربيع الاول عام ٢٨٨ هجرية وجاهر بالدعوة الاسماعيلية قائلاً للكتاميين (أنا صاحب العذر الذي ذكره لكم ابو سفيان والحلواني) فازدادت محبتهم له واستقام له أمر البربر وعامة كتامة ، فلما تم ذلك ذهب الى مدينة (جبله) فانتشرت جيوشه بالبلاد بعد ان قتل (الأحول) ودحر جيشه المؤلف من ٢٤ ألف مقاتل وخفقت الوية الاسماعيلية في كل مكان وصار أبو عبدالله يدعو الناس لطاعة الامام اسماعيل رضي الدين عبدالله .

أما رئيس دعاة اليمن ابن حوشب فانه زحف من مقره (حصن جبل لاعة) ففتح مدائن اليمن وملك صنعاء واخرج بني (يعفر) منها

وفرق الدعاة في أنحاء البلاد والبحرين واليمامة ، والسند والهند ومصر .
هذا ما جعل الخليفة يرسل جنوده في طلب الامام الذي غادر البلاد
الى السليمة مع كبار رجال دعوته ، فبقي فيها حتى انتقل الى جوار
ربه سنة ٢٨٩ هجرية وعهد بالامامة من بعده لابنه محمد المهدي وقال له
(انك ستهاجر بعدي هجرة وتلقى محناً شديدة) ودفن في السليمة
وضريحه لا يزال حتى الآن ويعرف لدى العامة بضريح (الامام اسماعيل) .

الامام

عبيد الله المهدي

ولد الامام محمد المهدي ابن الامام رضي الدين عبدالله سنة ٢٥٩ هـ .
في مدينة سلمية بعد وفاة أبيه عام ٢٨٩ هجرية ، استلم شؤون الامامة
حسب النص الامامي المعترف به لدى الاسماعيليين .

في عهده انضمت اكثر قبائل المغرب للداعي الاسماعيلي الكبير (أبي
عبدالله الشيعي) مؤسس الدولة الفاطمية في القارة الافريقية ، وحرزت
الجيش الاسماعيلية الانتصارات في جميع المعارك فانتشرت الاسماعيليين
في تلك البلاد وخفقت ألويتهم عالية وتفرقت دعائهم يدعون الناس للانضمام
تحت علم الامام الفاطمي والاستقاء من معينه العذب الذي لا ينضب ،
معين العلم والفلسفة والجهاد والحق في سبيل الغاية المثلى لحياة أفضل .

بعد ان استقر الداعي ابو عبدالله في تلك الديار رأى من الانسب
كما هي عادة الدعاة (الرجوع للامام في كل مناسبة) أن يعلم امامه
عما وصلت اليه قضيته من نجاح في المهمة التي القيت على عاتقه ، فسير
اخاه أبا العباس محمد بن احمد على رأس وفد من اسماعيين المغرب^(١)

(١) اتعاظ الخلفاء ص (٨١) ابن الاثير ج ٨ ص ١٤ ، المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١١ .

لينقل للامام المهدي الاخبار والتفاصيل ، بما فتح الله على يده وانه ينتظر اوامره اذا ما اراد أن ينقل مقر الامامة الى المغرب لان السمية لم تعد مكاناً صالحاً لاقامة الأئمة الاسماعيليين المستورين بعد ان ازداد النشاط الاسماعيلي في المغرب واليمن بالإضافة الى ان الخليفة العباسي قد شدد في طلب القبض على الامام الذي تروج الدعوة باسمه بعد أن بلغه ما توصلت اليه الدعوة في المغرب واليمن من تقدم وازدهار . فأوعز لوالي السمية أن يفكش عن الامام محمد المهدي ويقضي على دعوته قبل ان يستفحل خطرهما .

وصل الوفد الذي ارسله الداعي ابو عبدالله من المغرب وسلم رسالة ابي عبدالله للامام المهدي وبعد ان علم مضمونها وعرف بأن البقاء في الاقليم السوري لم يعد يتفق والغاية الامامية المثلى قرر المهاجرة الى المغرب بعد أن أمر رجالات الدعوة في السمية بأن يكونوا على أهبة الاستعداد للسفر معه ^(١) وهنا يقول جعفر ^(٢) الحاجب (أمرنا الامام محمد المهدي بالانحد في أهبة السفر والخروج معه واظهر لنا انه يريد اليمن) .

وبعد أن تهيأت جميع الوسائل والاسباب لهجرة الامام محمد المهدي الى المغرب خرج ومعه خاصته ومواليه ، وكان خروجه من السمية وقت العصر ، وكانت وجهته مدينة حمص ومنها قصد طرابلس الشام ^(٣) وقيل انه قصد الرملة بعد ان مكث في طرابلس يوماً واحداً ، اما مدة إقامته في

(١) ابن خلدون ج ٤ ص ٣٣ .

(٢) سيرة جعفر الحاجب ص ٦٦ .

(٣) أما ايفانوف فيقول بكتابه *Ries of the fatimids* بأنه خرج من سمية وذهب الى حماء حيث اقام فيها ليلتين بيت الداعي الاسماعيلي « ابي محمد » الذي هباً له الخيول العربية من قرية « شيزر » الاسماعيلية .

الرملة في رجب ٢٨٩ هجرية منتصف ٢٩١ هجرية ، ثم غادرها باتجاه مصر فدخلها مستتراً بذى التجار^(١) فأثت الكتب الى عيسى النوشري أمير مصر من الخليفة العباسي ليقبض على الامام محمد المهدي ، فلما قرئت الكتب كان في المجلس أحد الاسماعيلية فنقل الخبر إلى الامام فغادر مصر مع أصحابه ومعه أموال كثيرة .

فرق النوشري الأعوان في طلب الامام ، وخرج بنفسه فلحقه . وقيل قبض عليه ولكنه أطلقه بعد ان امن بدعوته ودخل في مذهبه ، وأراد أن يرسل معه من يوصله إلى رفقته . وقيل أنه أعطاه مالا حق أطلقه^(٢) .

وفي الطريق داهمه بعض اللصوص ، بموضع يقال له (الطاحونة) فنهبوا متاعه ، كان منها كتب وملاحم كانت لأبائه فعمظم أمرها عليه . وهنا يقول جعفر الحاجب : جرى على الامام في طريقه مع القافلة عند خروجه من مصر ، وعند وصوله إلى الطاحونة تصدى له نفر من البربر وأخذوا بعض رحله وكتب المهدي فيها علوماً كثيرة ، فكانت أسفه عليها أشد من أسفه على غيرها مما ضاع له ، إلى أن جمعها الله عز وجل وقت خروج القائم إلى مصر في السفرة الأولى . سار الإمام حتى قسطنطينية ومنها إلى سجلماسة ، حيث قبض عليه واليها العباسي اليسع بن مدرار ووضعه في السجن .

علم أبو عبدالله الشيعي بأن الامام قد وصل سجلماسة وألقى عليه القبض واليها العباسي^(٣) فبادر لجمع جيوش الاسماعيلية التي بلغ عددها

(١) اتعاظ الخلفاء ص ٨١ - ٨٢ .

(٢) ابن الاثير ج ٨ ص ٤٤ .

(٣) علم ذلك عن طريق أخيه العباس الذي رافق الامام في رحلته .

مائتي ألف فارس وراجل ، خرج في أول شهر رمضان سنة ٢٩٦ هـ . من بلدة (رقادة) فاهتز المغرب لخروجه وخافته قبيلة زناتة ، وزالت القبائل عن طريقه ، وجاءته رسلها ودخلوا في طاعته ^(١) .

كتب أبو عبد الله كتاباً إلى الإمام يبشره بقدره وقد أرسله مع بعض ثقائه فدخل إلى السجن بزي قصاب وسلم الكتاب للإمام . طوقت جيوش أبي عبد الله سجناساً عدة أيام فقاتل اليسع بن مدرار حتى دحرت جيوشه وولى الأدبار ، فالقي عليه القبض وقيل جلد حتى قتل ، وقيل اعتنق المذهب الاسماعيلي فأطلق سراحه .

وهكذا قد زال ملك بني الاغلب من افريقيا وملك بني مدرار بعد ان استمر ١٠٣ سنوات بسجناسية . واخرج الامام محمد المهدي من السجن في السابع من ذي الحجة سنة ٢٩٦ هـ . فبيع من عامة مسلمي سجناسية ، وسرت الجماهير سروراً عظيماً كاد يذهب بعقولهم ثم اركب الامام علي جواد ومشى بركابه أبو عبد الله ورؤساء القبائل ، وكان الداعي العظيم يبكي ويقول مخاطباً الناس (هذا مولاكم) هذا هو الامام المبين ، هذا الذي دعوتكم لإمامته فأسرعوا إلى لثم ركابه وادخلوا في طاعته تكتب لكم السعادة في الدارين ، فتقدم اليه خلق كثير .

ارتحل الامام من سجناسية بعد أن لبث فيها اربعين يوماً نحو افريقيا فوصل مقر ملكه (رقاده) بعد ان زال ملك بني رستم من (تاهرت ^(٢)) وأمر أن يخطب له يوم الجمعة ، وسير الدعاة إلى مختلف المناطق يدعو الناس للدخول في المذهب الاسماعيلي .

(١) انما الخطب ص ٨٤ - ٨٩ - ٩٠ « ابن الاثير ج ٨ ص ١٩ - ٣٢ - ٣٤ »

(٢) استمر حكم بني رستم لتاهرت « ١٦٠ » سنة .

وهكذا انتهى دور الستر والتخفي الذي بدأ بالامام اسماعيل وبدأت حياة جديدة حيث استقر الامام وتولى السلطتين الزمنية والروحية ، وأخذ يد سلطانة شرقاً وغرباً ليقم ملكه على أساس متين .

حاول الامام محمد المهدي أن يفتح مصر بعد ان انتشرت فيها الدعوة الاسماعيلية على أيدي بعض الدعاة فأرسل سنة ٣٠١ هـ جيشاً بقيادة ولي عهده القائم فاحتل برقة واستولى على الاسكندرية والفيوم وصار في يده أكثر البلاد .

وأرسل جيشاً آخر عن طريق البحر أسند قيادته الى (حباسه) فاستولى على بعض المناطق المصرية وبعد ذلك خرج الامام متفقداً أحوال البلاد ولكي يختار مكاناً صالحاً لتشييد عاصمة ملكه فزار توش وقرطاجنة ووصل البحر ، وقد شاهد جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند فقرر ان تبني مدينة المهدي فيها ، وأن يجعل لها سوراً محكماً وأبواباً عظيمة زنة كل مصراع مائة قنطار . وبوشر البناء يوم السبت في الخامس من ذي القعدة سنة ٣٠٣ هجرية وشيدت فيها دار لصناعة السفن الحربية الكبيرة ، وأقيمت المعاهد العلمية في جميع المناطق ، وعم الفقه الاسماعيلي المستمد من تعاليم الامام جعفر الصادق وأمر أن يقضى بموجبه ، وشكل جيشاً قوياً من الاسماعيليين ففضى على النفوذ العباسي في تلك البلاد ، وفي الخامس عشر من ربيع الأول سنة ٣٢٢ هـ توفي الإمام المهدي ودفن بالمهدية بعد أن نص على امامة ولده القائم بأمر الله حسب النص الشرعي الإمامي .

وهنا لا بد لنا من التعرض لمزاعم بعض المؤرخين الذين باعوا ضمائرهم تلبية لرغبات الخلفاء العباسيين فدونوا ما املته عليهم عقليتهم الرعناء

وافكارهم الخبيثة وصنفوا كتباً عديدة للطعن في نسب الأئمة الفاطميين واحاطة دعوتهم بهالة من الاحاد والفجور .

فقال البعض منهم ان الخلفاء من بني فاطمة ينحدرون من ميمون القداح الديصاني وجاءوا ببراہين لا يقرها المنطق ودلائل لا يعترف بها المنصف ولا يقبلها العقل البشري .

ولقد دافع عن هذا الادعاء المقرزي فقال :

قد وقفت على مجلدة تشتمل على بضع وعشرين كراسة في الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين تأليف الشريف المعروف (بأخي محسن) يقول فيها بأن هؤلاء القوم من ولد ديصان الثنوي الذي تنسب اليه الثنوية (١) وديصان هذا ولد ابناً يقال له ميمون القداح وكان له مذهب في الغلو ، فولد لهذا ابن يقال له عبد الله وكان عارفاً عالماً بجميع الشرائع والسنن والمذاهب .

ولد لعبد الله هذا ابن يقال له أحمد بعد ان مات فقام ابنه أحمد هذا في ترتيب الدعوة وادعى بأنه من نسل الامام محمد بن اسماعيل .. الخ .. ويؤكد بأن عبيد الله المهدي أو محمد المهدي هو سعيد بن الحسين ابن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان الثنوي الاهوازي وأصلهم من الجوس (٢) الخ ...

(١) والغريب في الأمر ان ديصان هذا عاش ومات قبل ظهور الاسلام بنحو اربعة قرون انظر الفرق بين الفرق ص « ٣٣٣ »

(٢) وهناك رواية اخرى لمن ينكر نسب الأئمة الفاطميين تقول : ان المهدي ينحدر من أصل يهودي كون الحسين بن احمد المذكور تزوج امرأة يهودية من نساء السلية ، كان لها ابن يهودي حداد مات وتركها فرباه الحسين وأدبه وعلمه ثم مات عن غير ولد ، فعهد الى ابن امرأته هذا فكان هو عبيد الله المهدي .

وخلاصة قول المقرئ ان الأئمة من نسل الامام علي بن أبي طالب كان عددهم وافراً وكانت مكانتهم لدى الشيعة على جانب عظيم من التقدير والاحترام لما هي الأسباب التي جعلت شيعتهم يعرضون عنهم ويدعون لابن مجوسي أو لابن يهودي ؟

فهذا لا يمكن أن يقدم عليه انسان مهما كانت درجته من السخف والجهل ، ولكن هذه الاشاعات ظهرت عندما تداعت الدولة العباسية وضعف مركزها واصاب خلفاءها الانقراض والتفكك بعد أن حكموا نحواً من ٢٧٠ سنة .

وعندما عجزوا عن مقاومة الفاطميين والوقوف في وجههم أثمساء احتلالهم بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين واليمن ، وخطب لهم في بغداد . عمدوا إلى الطعن في نسب الأئمة الفاطميين ليسودوا صحائفهم وليجبروا الناس على كراهيتهم ، وان القضاة الذين سجلوا شهادة الطعن على السماع في بغداد كانوا من ألد أعداء الفاطميين ومن أخلص شيعة بني العباس ولم يعرف عنهم التجرد والنزاهة والصدق ^(١) بل اشتهروا بكراهيتهم وبغضهم ونقمتهم على آل علي بن أبي طالب منذ ابتداء الدولة العباسية ، فتآمروا عليهم وطاردوهم وبطشوا بهم أينما وجدوا ، لذلك قرر الأئمة الفاطميون ان يستتروا عن أنظارهم وهكذا كان .

ويقول ابن الاثير معلقاً على انساب الأئمة إلى ابن يهودي : يا ليت شعري ما الذي حمل أبي عبد الله الشيعي وغيره ممن قام في إظهار هذه الدعوة ليخرجوا الأمر من أنفسهم ويسلموه إلى ولد يهودي ؟

(١) اعتقد بأن هؤلاء القضاة كانوا أمثال ارئك الذين اعلنوا قبل خلع فاروق بعدة أشهر بأنه ينتسب إلى آل البيت بالرغم من علمهم الاكيد بأنه بعيد عن هذا النسب بعد السجاء عن الارض ا

وهل يسامح نفسه بهذا الأمر من يعتقده ديناً يثاب عليه ؟
وان كتاب المعتضد الى عماله حجة كافية على صحة نسب الخلفاء
الفاطميين .

قال ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون ^(١) :

ومن الاخبار الواهية ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين في (العبيديين)
خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيتهم عن أهل البيت صلوات الله
عليهم ، والطمع في نسبهم الى اسماعيل الامام ابن جعفر الصادق يعتمدون
في ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس تضاف اليهم
بالقدح فيمن ناصبهم ، وتفنتا في الشبهة بعدوهم حسب ما تذكر بعض هذه
الأحاديث في أخبارهم ، ويففلون عن التفتن لشواهد الواقعات وأدلة
الأحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم ،
فتوصل شيعة آل العباس عند ظهورهم الى الطمع في نسبهم ، وازدلفوا
بهذا الرأي القائل الى المستضعفين من خلفائهم واعجب به اوليائهم
وأمرأ دولتهم المتولون لحروبهم مع الأعداء يدفعون به عن أنفسهم
وسلطانهم معرة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر
والحجاز من البربر الكتامين شيعة (العبيديين) وأهل دعوتهم ،
لقد سجل القضاة ببغداد نفيتهم من هذا النسب وشهد بذلك من أعلام
الناس جماعة منهم الشريف الرضي وأخوه المرتضى وابن البطحاوي ، ومن
العلماء ابو حامد الاسفرائيني والقُدوري والصيمري وابن كناني ،
والأبيوردي وابو عبد الله بن النعمان وغيرهم من أعلام الأمة في بغداد

(١) مقدمة بن خلدون ص « ١٥ - ٢٠ » اتعاط الخلفاء ص « ٦٠ - ٦٥ » نقل النص من
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر .

في يوم مشهود سنة ٤٠٢ هـ في أيام الخليفة العباسي القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وغالبها شيعة بني العباس الطاعنون في هذا النسب فنقله الاخباريون كما سمعوه ، ورووه حسبما وعوه والحق من ورائه ، وفي كتاب المعتضد في شأن عبيد الله إلى ابن الأغلب بالقيروان وابن موارر بسجلاسة لأصدق شاهد ووضح دليل على صحة نسبهم فالمعتضد أعرف بنسب آل البيت من كل أحد ، والدولة والسلطان سوق للعالم تجلب اليه بضائع العلوم والصنائع وتحدى اليه ركائب الروايات والأخبار ، وما نفق فيها نفق عند الكافة فإن تنزهت الدولة عن التعسف والميل والفسفة وسلكت النهج الأمم ، ولم تجر عن قصد السبيل نفق في سوقها الأبريز الخالص واللجين المصفى وان ذهبت مع الأغراض والحقود وماجت بسماصرة البيغي والباطل نفق البهرج والزائف ، والناقد البصير قسطاس نظره وميزان بحته وملتمسه . وهكذا يتضح لنا بان مشكلة الطعن في النسب الفاطمي كانت عبارة عن مؤامرة دبرت من قبل الخلفاء العباسيين عندما شعروا باضمحلال دولتهم وتقلص نفوذهم بينما اتسعت رقعة الدولة الاسماعيلية وازداد نفوذ أئمتها .

ومما لا شك فيه ان الخلفاء العباسيين كانوا يعلمون تمام العلم بأن الأئمة الاسماعيليين يتحدرون من سلالة الامام علي بن أبي طالب وان عبد الله ابن ميمون القداح (قداح الحكمة) لم يكن سوى حجة وكبير دعاة الامام محمد ابن اسماعيل ، ولكنهم اخفوا ذلك ليكرهوا الناس بالأئمة الفاطميين وهذا ما تؤيده جميع المؤلفات الاسماعيلية القديمة والحديثة على السواء .

لذا نرى أن نقدم قسماً من رسالة (فترات النطقاء والأئمة والمتعمين ^(١)) لما يتضمنه من معلومات تاريخية قيمة حول ذلك الخلاف :

اعلم أن الدور السادس هو وقت ظهور محمد (ص) وقد كان ضده في وقته ابولهب ، أما عمره فكان ثلاثة وستون وقت وفاته ، وقد أقام بمكة أربعين سنة وهاجر وهو ابن ثلاثة وخمسين وأقام في المدينة عشرة سنين ونقل في ربيع الأول في ليلة خلت من يوم الاثنين ، وأما وصيه فهو علي بن أبي طالب ابن عمه وصهره كرم الله وجهه عاش أيضاً ثلاث وستون سنة توفي في عام الأربعين من الهجرة ، استشهد ليلة الجمعة لأربع عشرة خلت من شهر رمضان قام بالأمر (وكالة) ولده الحسن وضده كان معاوية وكان عمره وقت وفاته سبع وأربعين سنة وقبره في البقيع ثم قام من بعده الحسين صاحب النص الشرعي وكان ضده يزيد واستشهد في كربلاء في العاشر من محرم ثم أقام من بعده علي زين العابدين ابن الإمام الحسين وعمره سبع وخمسون سنة وقت الوفاة ، وقبره في البقيع ثم أقام من بعده ولده محمد بن علي الباقر ودفن في البقيع أيضاً ، ثم قام من بعده ولده جعفر بن محمد الصادق ومات وهو ابن خمس وستين سنة وقبره بالبقيع ، ثم قام من بعده في حياته وبين يديه حجته ولده اسماعيل فكانت حياة جعفر الصادق كحياة (يعقوب عند انتقال الأمر إلى ولده يوسف ومن يوسف إلى ولده ناخور) ثم قام بالأمر من بعده محمد بن اسماعيل وفي وقته ظهرت دعائه في المشرق وفي اليمن وكان من حججه (عبد الله بن المبارك) و (عبد الله بن ميمون القداح) و (عبد الله بن حمدان) قيل عنه انه صاحب القيامة أو القائم ولكن الأمر ليس كذلك كما يتبين .

(١) من كتاب الحصول للداعي سيدنا شهاب الدين أبي النصر علي بن الجوش الديلمي الميمني ، نسخة خطية بكتبة عارف تاجر الخاصة .

أما الامام اسماعيل فكان أكمل اولاد الامام جعفر الصادق وأعلمهم وأفضلهم وقد أقام الدعوة وأمرهم ان يأخذوا العهد باسمه حسب العادة الجارية ولما حضرته النقلة أوصى الى ولده محمد وهو في نهاية الكمال وأقامه مقامه وفوض اليه كما قال الله تعالى « وجعلناها كلمة باقية في عقبه » فقام محمد بن اسماعيل بالامامة في حياة جده جعفر الصادق وكان والده اسماعيل متوفياً كما قام فاخور بن يوسف في حياة جده يعقوب اماماً سابغاً لدور المتمين السابع المثاني الأول .

وقد كثرت دعائه وقويت دعوته حتى ان بعض المستجيبين قالوا انه صاحب القيامة فلما انتقل محمد بن اسماعيل تسلمها ولده احمد وهو أول من ستر نفسه عن الأصدقاء واحتجب عن الأعداء وأهل عصره المخالفين وقد كان زمانه زمان شدة ومحنة وفترة عسيرة لأن المتغلبين كانوا من بني العباس الذين عمدوا الى معاداته حسداً له وبغضاً لأوليائه الله المعصومين فأوجب ذلك استتار الأئمة وكنى الدعوة باسمائهم تقية وسترأ عليهم مما هم به وقد كانت هذه الأمور موجبة للقول بأن الامام من ولد محمد بن اسماعيل هو ميمون القداح المعروف لدى الاسماعيلية « بقداح الحكمة وزيد الهداية » ومن بعده الى ولده عبد الله بن ميمون القداح وهذه كنايات وصفت لا يفهمها إلا أهلها ورموز ظهر منها إختلال النسب لكل من لم يقف على الحقيقة وأسرار الدعوة وفي هذا العصر ألفت الرسائل ^(١) مع غيرها من كتب الدعوة .

بقي علينا أن نتعرض لأقوال المؤرخين حول مصير الداعي الكبير ومؤسس الدولة الفاطمية في إقليم افريقيا « أبي عبد الله الشيعي » الذي

(١) يعني بقوله رسائل اخوان الصفاء .

تؤيد بعض المصادر قتله وصلبه من قبل الامام « محمد المهدي » بعد أن استلب له الأمر في افريقيا أو بعد أن ظهرت له خيائته بارتكابه جرم ادعاء الخلافة لنفسه ، وهذه الأقوال لا يقرها المنطق ولا يمكن أن يصدقها العقل ، فلو كان ابو عبد الله الشيعي يبغى الخلافة لنفسه لكان باستطاعته ان يحصل عليها قبل قدوم الامام محمد المهدي الى افريقيا عندما كانت جيوشه يربو عددها على المائة ألف مقاتل بينما كان الامام محمد المهدي في الرملة بطريقه اليه .

أما نحن فنقول بأن ابا عبد الله الشيعي قضى آخر أيامه بقرب الامام مخلصاً له حتى أدركته الوفاة ، فدفن باحتفال مهيب وصلى عليه الامام « محمد المهدي » .

الامام القائم بأمر الله

ولد الامام القائم بأمر الله ابن الامام عبيد الله المهدي في محرم سنة ٢٨٠ هجرية بالسلمية ، وارتحل مع أبيه الامام محمد المهدي إلى المغرب وعهد اليه بالامامة من بعده حسب الأصول الاسماعيلية ، فافتنى إثر أبيه وخطا خطاه ونهج نهجه ، وعمل مجاهداً على تعزيز وازدهار الدعوة الاسماعيلية وتعميمها في جميع البلدان والأقاليم ، ووجه اهتمامه الزائد لتنظيم وتقوية البحرية الاسماعيلية فشكل اسطولاً عظيماً تمكن بواسطته من قهر المصابات البحرية المالطية التي كانت تأتي بأعمال القرصنة لغزو البلاد الاسماعيلية وقيامهم بأعمال النهب والسلب والتخريب ، واحتل الاسطول الاسماعيلي (جنوه) و (لونبارتي) و (غرناطة) وغيرها من البلاد الايطالية التي كانت خاضعة لحكم الروم ، كما فتح الاسماعيلية جزيرة (صقليا) .

رغب الامام بأن يتوسع في المغرب الأقصى ليتمكن من القضاء على الثورات الداخلية التي كان قد أشعلها أذئاب وبقايا فلول العباسيين والامويين المتوارين عن الانظار ، فجهز جيشاً كبيراً بقيادة (ميسور الفقي)

لغزو المغرب الأقصى ، فوصل إلى (فاس) وإلى (تكرور) وأرسل جيشاً بحرياً بقيادة (يعقوب بن اسحق) لغزو بلاد الروم ، كما سار جيشاً آخر بقيادة (زيدان) إلى مصر ، فدخلوا الاسكندرية وتقابلوا مع جيش الاخشيدي .

وفي سنة ٣٣٣ هجرية أخرج الامام القائم بأمر الله الجيوش لضبط البلاد وإعادة الأمن فيها ، فأرسل جيشاً مع (ميسور الفقى) وجيشاً آخر مع (بشره الفتى) لمحاربة قبائل زناتة التي شقت عصا الطاعة ويقودها زعيمها (ابو يزيد) فالتقى الجيشان في معركة حامية انهزم على أثرها أصحاب أبي يزيد وقتل منهم أربعة آلاف ، كما أسر خمسمائة أرسلوا إلى المهدي في السلاسل .

جمع أبو يزيد فلول جيشه المدحور متجهاً صوب تونس في العشرين من صفر سنة ٣٣٤ هجرية فوصلها ونهب جميع ما فيها وسبى النساء والاطفال وقتل الرجال وهدم المساجد ، وقصد التجأ أثر ذلك أكثر الناس الهاربين إلى البحر فغرقوا .

سير الامام القائم جيشاً آخر لقتال أصحاب أبي يزيد في تونس فقتل منهم خلق كثير وولوا الادبار فدخلت جيوش الامام منصوره إلى تونس في الخامس من ربيع الأول سنة ٣٣٤ هجرية .

يستدل من هذه المعلومات التاريخية بأن عهد الامام القائم كان عهد حروب وفتوحات لنشر الدعوة في جميع البلاد وللقضاء على العناصر الهدامة الثائرة التي كانت تعيث فساداً في البلاد ولقمع غزوات القرصان الدائمة ، هذا ما جعل القسم الأعظم من البلاد يتعرض للدمار والتخريب والسلب والقتل ، ومع هذا فقد تمكن الامام من القضاء على تلك العناصر

الفاسدة وأخذ جميع الثورات الداخلية ووزع الاموال والهبات على الشعب المنكوب .

وازدهرت بعده الدعوة الاسماعيلية وانتشرت دعائها في جميع الأقطار ، وتبع منهم دعاة أقوياء وكتّاب عظماء كان لهم أكبر الأثر في انتشار الدعوة في ذلك العصر نذكر منهم :

الداعي الكبير سيدنا الاجل ابو حاتم الرازي الورثنياني :

كان داعياً كبيراً لبلاد الري وطبرستان واذربيجان ، وقد استطاع ان يدخل امير الري في المذهب الاسماعيلي وكان من كبار دعاة القائم بأمر الله ونؤكد انه لعب دوراً عظيماً في شؤون طهران والديلم والري السياسية فاستجاب لدعوته اعظم رجالات تلك البلاد . وله مؤلفات عظيمة منها :

- ١ - « كتاب الزينة » : كتاب يتألف من ١٢٠٠ صفحة في خمسة مجلدات كلها في الفقه والفلسفة الاسماعيلية .
 - ٢ - « اعلام النبوة » : كتاب يبحث في الفلسفة الاسماعيلية .
 - ٣ - « الاصلاح » : كتاب يتألف من ٥٠٠ صفحة يبحث في التأويل .
 - ٤ - « الجامع » : كتاب في الفقه الاسماعيلي .
- وتوفي هذا الداعي سنة ٣٢٤ هجرية .

الداعي سيدنا عبدالله بن احمد النسفي البردغي :

كان كبير دعاة خراسان وتركستان استطاع ان يدخل في المذهب الاسماعيلي الكثيرين من أهل تلك البلاد ، اشتهر في تعمقه بدراسة فلسفة المذهب الاسماعيلي ومن أشهر مؤلفاته :

- ١ - كتاب « المحصول » يتألف من ٤٠٠ صفحة جُلها في الفلسفة الاسماعيلية .
- ٢ - « كون العالم » .
- ٣ - كتاب « الدعوة الناجية » يتألف من ٧٠٠ صفحة في جزئين .
- ٤ - كتاب « اصول الشرع » : يبحث في الفقه الاسماعيلي وفلسفة ما وراء الطبيعة .
- توفي هذا الداعي سنة ٣٣١ .

الداعي الكبير سيدنا ابو يعقوب بن اسحاق بن احمد السجستاني :

كان من أشهر الدعاة الاسماعيلية ومن أعظم علماء المذهب الاسماعيلي على كاهله نهضت الفلسفة الاسماعيلية وازدهرت بعهدہ الدعوة الفكرية الاسماعيلية واحتلت المكان اللائق في جميع الأوساط العلمية والفلسفية والعقائدية . له مؤلفات كثيرة منها :

- ١ - اساس الدعوة .
- ٢ - كشف المحجوب .
- ٣ - تأويل الشريعة .
- ٤ - أسس البقاء .
- ٥ - الافتخار .
- ٦ - اثبات النبوة .
- ٧ - تحفة المستجيبين .
- ٨ - الينابيع .
- ٩ - سلم النجاة .
- ١٠ - المحصول .
- ١١ - المقاليد في منال الامر .

١٢ - مسليات الاحزان .

١٣ - الوعظ .

١٤ - خزانة الادلة .

١٥ - الكتاب القريب في منال الكثير .

١٦ - تألف الارواح .

فانت ترى أن عهد الامام القائم يتميز بشيئين هامين : أولهما ، حروبه في سبيل نصرة الدعوة الاسماعيلية بالاضافة الى ما كان يتحلى به من شجاعة نادرة واقدماء منقطع النظير . والأمر الثاني : انتشار الدعوة الاسماعيلية على أساس علمي مبين بفضل وجود أكبر عدد من الدعاة النشيطين المتمكنين من أسرار الدعوة مع قوة في الحجة واصالة باقناع مناقشهم حتى دخل بالمذهب الاسماعيلي أكثر حكام النواحي والأمصار . وتوفي الامام القائم في ١٣ شوال سنة ٣٣٤ هجرية ودفن بالمهديّة ، وكانت مدة خلافته ١٢ سنة وسبعة أشهر و ١٢ يوماً بعد أن نص على امامة ابنة المنصور . ولقد مدحه أحد الشعراء بقوله :

يا ابن الامام المرتضى وابن الوصي	المصطفى وابن النبي المرسل
الله أعطاك الخلافة واهباً	ورآك للاسلام أمنع معقل
نلت الخلافة وهي أعظم رتبة	نيلت وليست من علاك بأفضل
فمنعت حوزتها وحطت حريمها	بالمشرفية والوشيح الذبيل

وقال آخر :

وما ودعت خير الخلق طراً	ولا فارقتك عن طيب نفسي
ولكني طلبت به رضا	وعفو الله يوم حلول رمسي
فعاش مملوكاً ما لاح نجم	على الثقلين من جن وأنس

الامام المنصور بن الامام القائم

ولد الامام المنصور بالله اسماعيل بن الامام القائم بالمهدية في ١ جمادى
الآخر سنة ٣٠٣ هجرية ، وقيل ولد بالقيروان سنة ٣٠٢ هجرية .
تسلم شؤون الامامة بعد وفاة أبيه سنة ٣٣٤ هجرية ، وكان سياسياً
عظيماً ومحارباً قديراً وخطيباً من أفصح الخطباء وأبلغهم^(١) .
في عهده تقدمت الدولة الاسماعيلية تقدماً كبيراً في مختلف النواحي ،
وقضى على جميع الثورات الداخلية في البلاد ، فاستتب له الأمر ، وانتشرت
دعوته انتشاراً قوياً في كل من (صفاقص) و (تونس) و (قابس)
و (جزيرة جربة) ، واحتلت جيوشه جزيرة صقلية بكاملها ووضع
عليها (حسن بن علي الكلي) ففتح ملحقات تلك الجزيرة واصبحت مقراً
لقيادة البحرية الاسماعيلية .

(١) قال المقرئ في اتماظ الحنفاص (١٢٩) كان المنصور فصيحاً بليغاً وخطيباً حاد
الذهن ، حاضر الجواب ، بعيد الغور ، جيد الحس ، مخترع الخطبة لوقته ، واخباره
مع أبي يزيد وغيره تدل على شجاعته وعقله .

كانت اعماله محصورة قبل كل شيء بأن وجه اهتمامه بالسير الى مدينة سوسة لمقاتلة جيوش ابي يزيد التي كانت تحاصر تلك المدينة وقد استطاع ابعادهم عنها وبعد ذلك ارتحل الى القيروان حيث التقى مع جيوش ابي يزيد في معركة عظيمة قتل فيها من اصحاب ابي يزيد خلق كثير ، وفي تلك المعركة تجلت عظمة الامام وشجاعته ، فكان يتمنطق بسيف جده الامام علي (ذي الفقار) ويحارب الصفوف كما كان يفعل جده في حروبه وغزواته ، فازدادت محبة الناس اليه والتحق بصفوفه خلق كثير .

هرب أبو يزيد وتوارى عن الانظار فخصص الامام بجائزة قدرها عشرة آلاف دينار لمن يقبض عليه وسمح للناس في قتاله ، فجرت معارك شديدة بينهم وبينه وكثرت القتلى وطال أمد الحرب . هزم ابو يزيد أخيراً بعد أن قتل من أصحابه ما لا يحصى له عدد وقيل ان اطفال القيروان اخذوا عشرة آلاف رأس من رؤوس اصحاب ابي يزيد (١) .

وما زال ابو يزيد هارباً والجيوش تلاحقه حتى التجأ الى جبل البربر وجمع خلقاً كثيراً لمقاومة جيش الامام المنصور ولكنه هزم فأدركه أحد الامراء الاسماعيليين وقبض عليه وساقه الى الامام المنصور وكان ذلك سنة ٣٣٦ هجرية ، فقتله وأمر الامام ان تبني مدينة (المنصورية) تيمناً بذلك الانتصار العظيم ، ثم عاد الامام الى المهديّة في شهر رمضان عام ٣٣٦ هجرية فمهد بالامامة من بعده لولده المعز لدين الله وتوفي يوم الاحد في الثالث والعشرين من شوال سنة ٣٤٦ هجرية ، ودفن بجسده الطاهر في مدينة المنصورة وقيل كانت وفاته سنة ٣٤٣ هجرية ودفن بالمهديّة .

(١) اتعاظ الخفا بإخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ص « ١٢٢ » .

الامام

المعز لدين الله معد بن الامام المنصور

ولد الامام المعز لدين الله معد بن الامام المنصور في ١١ رمضان سنة ٣١٩ هجرية ^(١) في مدينة المهديّة من أعمال تونس ، وبويع بالخلافة والامامة في ٧ ذي الحجة سنة ٣٤١ هجرية ^(٢) ، وكان أول عمل قام به تجهيزه الجيوش والخروج بها باتجاه شمالي افريقيا ^(٣) للقضاء على الثائرين من أهل تلك البلاد ، واندحر أكثر الثوار والتجأوا إلى جبال « اوراس » المنيعه وكانوا من قبائل « بني كملان » ومليله ، وهواره .

وبالرغم عن وعورة الطرقات وصعوبة المسالك في تلك الجبال لم تمنع جيوش الامام من التقدم والوصول إلى أعاليها واحتلالها بكاملها وادخال الثائرين تحت طاعة الامام المعز لدين الله وكان ذلك عام ٣٤٦ هجرية .

(١) قيل ولد سنة ٣١٧ هجرية .

(٢) بويع المعز بولاية العهد في حياة أبيه المنصور بالله في اليوم السابع من ذي الحجة سنة ٣٤١ ، ولما قام بعد وفاة أبيه سنة ٣٤٢ جددت له البيعة .

(٣) يراد بها شمالي افريقيا من برقة الى مراكش .

وبعد ذلك وجه الامام عنايته الزائدة للبرابرة فأحسن اليهم ولم يمسهم بأذى فاعتنقوا المذهب الاسماعيلي عن بكرة أبيهم ، ووزع الامام الولاة الاكفاء على الاقاليم وزودهم بتماليمه وارشاداته القيمة (١) .

وفي سنة ٣٤٨ هجرية أرسل جيشاً بقيادة جوهر « الصقلي » لقتال أهل المغرب الأقصى بعد أن نقضوا البيعة وأظهروا ولائهم لأمير الأندلس الاموي فاحتلت الاسماعيلية ناهرت وفاس وسجلماسة ، والقي القبض على العمال الأمويين في سائر بلاد المغرب ، وتقدمت الجيوش في البلاد حتى أتى الى (البحر المحيط) فأمر جوهر باصطياد الاسماك وجعلها في قلال الماء وأرسلها إلى امامه المعز إشارة منه بأنه أدى المهمة على أكمل وجه وطهر البلاد حتى البحر المحيط الذي لا عمار بعده (٢) . ولما وصلت أخبار النصر مع الهدايا إلى الامام المعز وهو في مجلس يضم نخبة من رجال الدولة وبينهم الشاعر الاسماعيلي الكبير ابن هاني الاندلسي فقام منشداً مهنئاً الامام المعز بالنصر واصفاً الهدية بقصيدته الرائعة (٣) :

ألا هكذا فليهد من قاد عسكريا	وأورد عن رأي الامام وأصدرا
هدية من أعطى النصيحة حقها	وكان بما لم يبصر الناس ابصرا
ألا هكذا فلتجلب العيس بدنا	ألا هكذا فلتنجب الخيل ضمرا
مرفلة يسحبن أذيال يمنة	ويركضن ديباجا ووشيا محبرا
تراهن أمثال الظباء عواطيا	لبسن يبرين (٤) الربيع المنورا

(١) ابن الأثير ج ٧ ص ٣٧٤ .

(٢) ابن خلدون ج ٢ ص ١٣٢ المقرئ ج ٢ ص ٢٠٥ .

(٣) من ديوان ابن هاني الاندلسي ص ٣٥٢ وهذه القصيدة عثر عليها في كتاب عيون الاخبار للداعي الاسماعيلي إدريس عماد في (السبع السادس) .

(٤) يبرين : أرض فيها رمل من أصقاع البحرين .

عليمين زي الغانيات مشهدا
 فعلمن فيهن الحسان تبخترا
 فيستر أحلى منه في العين منظرا
 بمقنة أحوى ينفض الضال أحورا
 أما تركوا ظبياً بتياء أعفرا
 ولا أن أرى في أظهر الخيل عبقر
 ببعض الهدايا كالعجالة للقوى^(٢)
 لضاق الثرى والماء طرقاً ومعبرا
 وقد غصت البيداء خفياً وملسرا
 وقد ماجت الجرد العناجيج أبحرا
 لطائم ابل تحمل المسك اذفرا
 لقد زان أيام الحروب مدبرا
 وتضرع منه الخيل والليل والسرى
 فلن يسأم الهيجا وإن يتكسرا
 سريع الخطى للصالحات ميسرا
 وسهماً وخطياً ودرعاً ويغفرا
 فمن كان أسمى كان بالمجد أجدر
 فمن كان أرقى همة كان أظهر
 ولم يتقدم من يريد تأخراً
 لتصلح أن تسعى لتخدم جوهراً

يمشين مشي الغانيات تهادياً
 وجررن أذيال الحسان سوابقاً
 فلا يسترن الوشي حسن شياتها
 ترى كل مكحول المدامع ناظراً
 فكم قائل لما رآها شوافناً^(١)
 وما خلت أن الروض يختال ماشياً
 إلا إنما كانت طلائع جواهر
 ولو لم يعجل بعضها دون بعضنا
 أقول لصحبي اذ تلقيت رساله
 وقد مارت البزل القناعيس^(٣) جبلاً
 فطابت لي الانباء عنه كانه
 لعمرى لئن زان الخلافة ناطقاً
 تضح القنا منه لما جشم القنا
 هو الرمح فاطعن كيف شئت بصوره
 لقد أنجبت منه الكتائب مدرها
 وصرف منه الملك ما شاء صارماً
 ولم أجد الانسان إلا ابن سعيه
 وبالهمة العليا يرقى إلى العلى
 ولم يتأخر من يريد تقدماً
 وقد كانت القواد قبل جواهر

(١) شفنه : نظر اليه بمؤخر عينه كالمتعجب .

(٢) أسقط المؤلف هنا ثلاثين بيتاً من القصيدة خوفاً من التطويل فلتراجع بالديوان .

(٣) القناعيس : جمع قنعماس وهو الضخم العظيم من الابل . (١٣)

على أنهم كانوا كواكب عصرهم
فلا يعد من الله عبدك نصره
اذ حاربت عند الملائكة العدى
وما اخترته حتى صفا ونفى القذى
ولكنه بالجيش والأمر كله
كأنك شاهدت الحفايا سوافراً
فعرفت في اليوم البصيرة في غد
وما قيس وفر المال في كل حالة
فلا بخل يا أكرم الناس معشراً
فأنك لم تترك على الأرض جاهلاً
ألا انظر الى الشمس المنيرة في الضحى
فائقب منها نار زندك للقرى
بلغت بك العليا فلم أدن مادحاً
وصدق فيك الله ما أنا قائل

ولكن رأينا الشمس أبهى وأنورا
فما زال مقصور اليدين مظفراً
ملأت سماء الله باسمك مشعرا
بل الله في أم الكتاب تحييراً
فوكلت بالغيل الهزبر الغضنفراً
وأعجلت وجه الغيب ان يسترا
وشاركت في الرأي القضاء المقدرا
يحودك الا كان جودك أوفراً
وأطيب أبناء النبيين عنصراً
وانك لم تترك على الارض معسراً
وما قبضته أو تمد على الثرى
واشهر منها ذكر جودك في الورى
لأسأل لكني دنوت لأشكراً
فلست أبالي من أقل وأكثرأ

ولم يرجع القائد جوهر لعند مولاه إلا بعد أن استأصل جميع الفتن في البلاد ، ولم تبق مدينة إلا وأقيمت فيها الدعوة الاسماعيلية وخطب فيها للامام الاسماعيلي ، ثم عاد جوهر غانماً مظفراً ومعه صاحب سجلماسة وفاس أسيرين في أقفاص من حديد ودخل بهما المنصورية في يوم مشهود^(١) . وفي سنة ٣٥١ هـ أوعز الامام المعز إلى احمد بن الحسن نائبه على صقلية بفتح القلاع التي بقيت للروم في تلك الجزيرة فغزاها وفتح (طبرمين)^(٢)

(١) اتماظ الحنفا ص ١٣٥ الخطط للمقريري ج ٢ ص ١٦٧ .

(٢) قلعة بصقلية حصينة .

وغيرها من القلاع الحصينة .

وفي سنة ٣٥٤ هـ ، حوصرت قلعة (رمطة) في جزيرة صقلية وجرت معارك عظيمة قتل فيها قائد الروم (منويل) وانهزم جيشه في المراكب ناجين بأنفسهم ، فتبعهم القائد الاسماعيلي العظيم الامير احمد وجنوده فألقوا - أي الجنود المسلمون - أنفسهم بالماء ، وأحرقوا كثيراً من المراكب الروم ففرقت وكثر القتل في الروم فولوا الادبار بعد أن أسر الف من عظمائهم ومائة بطريق من بطارقتهم وغنمت الاسماعيلية غنائم كثيرة كان منها سيف هندي كتب عليه (هذا سيف هندي وزنه مائة وسبعون مثقالاً طالما ضرب به بين يدي رسول الله) فأرسل إلى الامام المعز مع الأسرى^(١) وتعرف هذه الوقعة بوقعة (المجاز) وهي التي وصفها الشاعر الاسماعيلي ابن هانيء بقصيدة عدد أبياتها ١١٣ بيتاً نقتطف منها ما يلي :

يوم عريض في الفخار طويل	لا تنتضي غرر له وحجول
قل للدمستق مورد الجمع الذي	ما أصدرته له قنا ونصول ^(٢)
سل رهط منويل وانت غررت	في أي معركة ثوى منويل
منع الجنود من القفول رواجعاً	تبساً له بالمنديات قفول ^(٣)
ان التي رام الدمستق حربها	له فيها صارم مسلول
ليت الهرقل بدا بها حق انشئ	وعلى الدمستق ذلة وخمول
نحرت بها العرب الاعاجم انها	رمح اعق ولهزم مصقول

(١) ابن الأثير ج ٨ ص ٤٠٤ - ٤١٤ ابن خلدون ج ٤ ص ٢٠٧ - ٢١١

(٢) قبل هذا البيت ٢٣ بيتاً .

(٣) يعلق شارح الديوان على هذا البيت بقوله :

يظهر من قوله هذا ان منويل رجع من هذه الوقعة بخزي ، ولكن ابن الأثير يقول انه قتل ، فيمكن ان يكون الشاعر اثار الى رقعة اخرى ايضاً وقعت قبل وقعة المجاز . المنديات : المخزيات ، وفي رواية المنديات بمعنى اثار الجراح .



ما ذاك الا ان حبل قطنها بحبال آل محمد موصول
من يهتدي دون الممزر خليفة ان الهداية دونه تضليل
من يشهد القرآن فيه بفضله وتصديق التوراة والانجيل
كل الائمة من جدودك فاضل فاذا خصصت فكلهم مفضول
فافخر فمن انسابك الفردوس ان عدت ومن احسابك التنزيل
وأرى الوري لغواً وانت حقيقة ما يستوي المعلوم والمجهول
شهد البرية كلها لك بالعلی ان البرية شاهد مقبول
والله مدلول عليه بصنعه فينا وانت على الدليل دليل

وفي سنة ٣٥٨ عزم الامام المعز ان يفتح مصر التي كانت من أضعف البلاد التي يسيطر عليها العباسيون وأشدّها اضطراباً فجهز جيشاً عظيماً بقيادة (جوهر الصقلي) وسيره الى مصر في ١٤ ربيع الأول سنة ٣٥٨ هـ وخرج الامام بنفسه لتوديع القائد جوهر وأقام اياماً في معسكره (١) وكان يجتمع إلى جوهر كل يوم ، وخرج اليه يوماً فقام جوهر بين يديه وقد اجتمع الجيش فخطب الامام الدعاة الذين سيرهم مع جوهر فقال : (لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر ولتدخلن الى مصر بالاردية من غير حرب ، ولتنزلن في خرابات ابن طولون وتبني مدينة تسمى القاهرة) ثم استعرض الجيش وودع القواد والامراء ، ولقد وصف ذلك العرض العسكري العظيم الشاعر الاسماعيلي الفحل ابن هاني الاندلسي حيث يقول :

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع وقد راعني يوم من الحشر أروع
غداة كان الافق سد بمثله فعاد غروب الشمس من حيث تطلع

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ١٠٢ .

فلم أدر اذ سلمت كيف أشيع
وكيف أخوض الجيش والجيش لجة
وأين ومالي بين ذا الجمع مسلك
ألا ان هذا حشد من لم يذق له
نصيحته للملك سدت مذاهي
فقد ضرعت منه الروابي لما رأت
فلا عسكر من قبل عسكر جوهر
تسير الجبال الجامدات بسيره
إذا حل في أرض بناها مدائننا
سموت له بعد الرحيل وفاتي
فلما تداركت السراشق في الدجى
فتخرق جيب المزن والمزن دالح
فبت وبات الجيش جملاً سميره
وهمهم رعد آخر الليل قاصف
وأوحى إلينا الوحش ما الله صانع
ولم تعلم الطير الحوائم فوقنا
إلى أن تبدى سيف دولة هاشم
كان ظلال الخافقات أمامه
كان السيوف السلطات إذا طمت
كان أنابيب الصمد أراقم
كان العتاق الجرد بجنوبة له
كان الكماة الصيد لما تغشمت

ولم أدر اذ شيعت كيف أودع
واني بمن قد قاده الدهر مولع
ولا لجوادي في البسيطة موضع
غرار الكرى جفن ولا بات يجمع
وما بين قيد الرمح والرمح أصبع
فكيف قلوب الانس والانس أضرع
تخب المطايا فيه عشراً وتوضع
وتسجد من أدنى الحفيف وتركع
وان سارعن أرض ثوت وهي بلقع
فاقسمت ألا لأم الجنب مضجع
عشوت إليه والمشاعل ترفع
وتوقد موج اليم واليم أسفع
يؤرتني والجن في البيد هجع
ولاحت مع الفجر البوارق تلمع
بنا وبكم من هول ما تسمع
إلى اين تستذري ولا أين تفرع
على وجهه نور من الله يسطع
غمام نصر الله لا تنقشع
على البر بحر زاخر الموج مترع
تلمظ في أنيابها السم منقع
ظباء ثنت أجيادها وهي تتلع
حواليه أسد الغيل لا تتكعكع^(١)

(١) تنمر : تنمر وغضب . وتكعكع الرجل : احتبس عن وجهه وجبن لغة .

كأن حماة الرجل تحت ركابه
 كأن سراع النجب تشر يمنة
 كأن صعاب البخت إذ ذلت له
 كأن خلاخيل المطايا إذا غدت
 يهيج وسواس البرين ^(١) صباية
 لقد جل من يقتاد ذا الخلق كله
 تحف به القواد والأمر أمره
 ويسحب أذيال الخلافة رادعاً
 له حلل الأكرام خص بفضلها
 برود أمير المؤمنين بروده
 وبين يديه خيله بسروجه
 وأعلامه منشورة وقبابه
 ملك ترى الأملاك دون بساطه
 تحمل بيوت المسال حيث يحله
 إذ ماج أطناب السرادق بالضحي
 وسل سيوف الهند حول سريره
 رأيت من الدنيا إليه منوطة
 وتصحبه دار المقامة حيثما
 وتعنو له السادات من كل معشر
 فله عينا من رآه غميماً
 سيول نداه أقبلت تتدفع
 على البید آسى في الضحى يترفع
 أسارى ملوك عضها القدر خرع
 تجاوب أصداء الفلا تترجع
 عليهم فتغرى بالحنين وتولع
 وكل له من قائم السيف أطوع
 ويقدمه زي الخلافة أجمع
 به المسك من نشر الهدى يتضوع
 نسائج بالتبر الملع تلمع
 كساه الرضى منهن ما ليس يخلع ^(٢)
 تقاد عليهن التنضار المرصع
 وحجابه تدعى لأمر فتسرع
 وأعناقهم ميل إلى الأرض خضع
 وجم العطايا والرواق المرفع
 وقامت حوالبه القنا تتزعزع
 ثمانون ألفاً دارع ومقنع
 فيمضي بما شاء القضاء ويصدع
 أناخ وشمل المسلمين المجمع
 فلا سيد منه أعز وأمنع
 إذا جمع الأنصار للاذن مجمع

(١) البرين: جمع بره وهي حلقة تجعل في أنف البعير .

(٢) يقال لما ودع المعز قائده جوهر اعطاه خلعة ملية من لباسه الخاص والى ذلك أشار الشاعر بهذا البيت والذي قبله .

ونودي بالترحال في فحمة الدجى
فلاح لها من وجهه البدر طالما
فكبرت الفرسان لله إذ بدا
وحف به أهل الجلال فمقدم
وعب عباب الموكب الفخم حوله
لقد فاز منه مشرق الأرض بالتي
ألا كل عيش دونه فمحرم
وإن بنا شوقاً إليه ولوعة
ولكننا يسلى من الشوق أنه
وأن المدى منه قريب واننا
فسر أيها الملك المطاع مؤيداً
وقد أشعرت أرض العراق خيفة
وأعطت فلسطين القياد وأهلها
وما الرملة المقصورة الخطو وحدها
رحلت إلى القسطنطينية رحلة
ولما حثثن الجيش لاح لأهله
إذا استقبل الناس الربيع وقد غدت
وما جهلت مصر وقد قيل من لها
وأنتك دون الناس فاتح قفلها

فجاءته خيل النصر تردى وتمزج
وفي خده الشعري العبور تطلع
وظل السلاح المنتقى يتقمع^(١)
وماض وأصليت وطلق وأروع
وزف كما زف انصباح المممع
تفيض لها من مضرب الأرض أدمع^(٢)
وكل حريم بعده فمضيع
تكاد لها أكبادنا تتصدع
لنا في ثغور المجد والدين أنفع
إليه من الإيمان بالحظ أسرع
فللدين والدنيا اليك تطلع
تكاد لها دار السلام تتضعضع
فلم يبق منها جانب يتمنع
بأول أرض ما لها عنك مفزع
بأيمن قال في الذي أنت جمع^(٣)
طريق إلى أقصى خراسان مهيع
منون الربى في سندس تتلفع
بانك ذاك الهبرزي السميع^(٤)
فانت لها المرجو والمتوقع

(١) وقيله : راضحى مردى بالنجاة كأنه

(٢) اسقط المؤلف قبل هذا البيت أربعة أبيات .

(٣) اسقط المؤلف أيضاً هنا أربعة أبيات .

(٤) اسقط المؤلف أيضاً هنا خمسة أبيات .

فإن يك في مصر رجال حلومها
ويمهم من لا يغير بنعمته
ولو حططت الغيث في عقر دارهم
وداويتهم من ذلك الداء أنه
وكفكت عنهم من يحور ويعتدي
إذا رأوا كيف العطايا بحقها
وأنسأهم الأخشيد من شمع نعله
سيمعلم من ناراك كيف مصيره
تحملى أعباء الخلافة كلها
فوالله ما أدري أصدرك في الذي
نصحت الامام الحق لما عرفته
فأنت أمين الله بعد أمينه
وما بلغ الاسكندر الرتبة التي
سموت من العليا إلى الذروة التي
إلى غاية ما بعدها لك غاية
إلى أين تبغي ليس خلفك مذهب
ولا لجواد في لحاقك مطمع

سار القائد جوهر فدخل الاسكندرية بلا حرب ثم عمد إلى الفسطاط
فهزم من كان بها من العساكر الأخشيديّة ووصل إلى مدينة شلقان فعبر
منها إلى مصر فدخلها يوم الثلاثاء الخامس عشر من شعبان سنة ٣٥٨ بعد
المصر وأناخ في موضع القاهرة الآن واختط موضع القصر .
وفي اليوم التالي جاء المصريون ليهنئوه فوجدوه قد حفر أساس

(١) أسقط المؤلف قبل هذا البيت خمسة أبيات .

القصر في الليل وقيل كان فيه زورات جاءت غير معتدلة فلم تعجبه فقال
(نخوت في ساعة سعيدة فلا اغيرها)^(١)

واستمر دخول الجيش مدة سبعة أيام فاستقرت به الدار وجاءته
الهدايا فلم يقبل من أحد شيئاً ، ووزع الصدقة على المستورين والفقراء
وخطب في الجامع العتيق باسم الامام المعز وأمر ببناء مدينة القاهرة
وضرب النقود باسم الامام المعز ، وخصص يوم السبت من كل اسبوع
لينظر في المظالم بنفسه وارسل يخبر الامام بفتح مصر فوصلت البشارة
الى المغرب في نصف رمضان سنة ٣٥٨ هجرية فسر الامام سروراً عظيماً
وأقيمت الافراح في جميع البلاد وأنشد الشاعر ابن هانيء الاندلسي فقال :
تقول بنو العباس هل فتحت مصرُ فقل لبني العباس قد قضى الأمر
وقد جاوز الاسكندرية جوهر تطالعه البشرى ويقدمه النصر
وقد أوفدت مصر اليه وفودها وزيد الى المعقود من جسر ها جسر
فما جاء هذا اليوم الا وقد غدت وأيديكم منها ومن غيرها صفرُ
فلا تكثروا ذكر الزمان الذي خلا فذلك عصر قد تقضى وذا عصرُ
أفي الجيش كنتم تمقرون رويدكم فهذا القنا العراضُ والجحفل المجر
وقد اشرفت خيل الاله طوالعاً على الدين والدنيا كما طلع الفجر
وذا ابن نبي الله يطلبُ وتره وكان حراً ان لا يضيع له وتر
ذروا الوردَ في ماء الفرات لحيله فلا الفحلُ منه تمنعون ولا الغمرُ
أفي الشمس شكٌ انها الشمسُ بعدما تجلت عياناً ليسَ من دونها سترُ
وما هي الا آية بعد آية ونذر لكم ان كان يغنيكم النذر
فكونوا حصيداً خامدين أراعوا إلى ملك في كفه الموت والنشر

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢١٢ - اتعاط الحنفا ص ١٥٨ - خطط المقرئ ج ٢ ص ٢٠٤ .

أطيعوا إماماً للأئمة فاضلاً
 يردوا ساقياً لا تنزفون حياضه
 فإن تلبعوه فهو مولاكم الذي
 وإلا فبعدا للبعيد فبينه
 أفي ابن أبي السبطين أم في طليقكم
 بني نثلة ما أورث الله نثلة
 وأنا بهذا أوهي أعدت برقعها
 ذروا الناس ردوهم إلى من يسوسهم
 أسرتم قروماً بالعراق اعزة
 وقد بزكم أيامكم عصب الهدى
 ومقتبل أيامه متلمل تحسّيت
 أدار كما شاء الوري
 اتدرون من ازكى البرية منصّباً
 تعالوا إلى حكام كل قبيلة
 ولا تعدلوا بالصيد من آل هاشم
 فجيثوا بمن ضمت لأوي بن غالب
 ولا تذروا علياً معداً وغيرها
 ومن عجب أن اللسان جرى لهم
 فبادروا وعفى الله آثار ملكهم
 ألا تلكم الأرض العريضة أصبحت
 فقد دالت الدنيا لآل محمد
 ورد حقوق الطالبين من ذكت
 معز الهدى والدين والرحم التي

كما كانت الاعمال يفضلها البر
 جوماً كما تنزف الأبحر الذر
 له برسول الله دونكم الفخر
 وبينكم ما لا يعمر به الدهر
 تنزلات الآيات والصور الغر
 وما نسلت هل يستوي العبد والحر
 أباكم فأياكم ودعوى هي الكفر
 فما لكم في الأمر عرف ولا نكر
 فقد فك من اعناقهم ذلك الأسر
 وانصار دين الله والبيض السمر
 إليه الشباب الغض والزمن النضر
 على السبعة الافلاك انمله العشر
 وافضلها إن عدد البدو والحضر
 ففي الأرض اقيال وأنديسة زهر
 ولا تتركوا فهراً وما جمعت فهر
 وجيثوا بمن أدت كنانة والنصر
 ليعرف منكم من له الحق والأمر
 بذكر على حين انقضوا وانقضى الذكر
 فلا خير يلقاك عنهم ولا خبرو
 وما لبني العباس في عرضها قتر
 وقد جررت أذيالها الدولة البكر
 صنائعه في اله وزكا الذخر
 به اتصلت اسبابها وله الشكر

من اننا شهم في كل مشرق ومغرب
فكل إمامي يجيء كأنما
فدونكوها أهل بيت محمد
فقد صارت الدنيا اليكم مصيرها
امام رأيت الدين مرتبطاً به
أرى مدحه كالمدح لله انه
هو الوارث الدنيا ومن خلقت له
وما جهل المنصور في المهد فضله
رأى ان سيسمى مالك الارض كلها
وما ذاك أخذاً بالفراسة وحدها
ولكن موجوداً من الأثر الذي
وكنزاً من العلم الربوبي انه
فبشر به البيت المحرم عاجلاً
أهنيك بالفتح الذي أنا ناظر
وما ضر مصرأ حين ألقت قيادها
فلم يهرق فيها لذي ذمة دم
غدا جوهر فيها غمامة رحمة
كأنى به قد سار في الناس سيرة
وتحسدها فيه المشارق انه
سنت له فيهم من العدل سنة
وأوصيته فيهم برفقك مردفاً
وصاة كما أوصى بها الله رسله
يقول رجال شاهدوا يوم حكمة

فبدل أمناً ذلك الخوف والذعر
على نخده الشعري وفي وجهه البدر
صفت بعز الدين جماتها الكدر
وصار له الحمد المضاعف والشكر
فطاعته فوز وعصيانه خسر
قنوت وتسبيح يحط به الوزر
من الناس حتى يلتقي القطر والقطر
وقد لاحت الاعلام والسمة البهر
فلما رآه قال ذا الصمد الوتر
ولا أنه فيها إلى الظن مضطر
تلقاه من حبر ضنين به حبر
هو العلم حقاً لا القيافة والزجر
إذا أوجف التطواف بالناس والنفر
اليه بعين ليس يغمضها الكفر
اليك أقر النيل أم غاله جزر
حرام ولم يحمل على مسلم إصر
يقي جانبيها كل حادثة تعمرو
تود لها بغداد لو أنها مصر
سواء إذا ما حل في الأرض والقطر
هي الآية المجلى بدهانها السحر
يحودك معقوداً به عهدك البتر
وليس بأذن أنت مسمعا وقر
بذا تعمر الدنيا ولو أنها قفر

بذا لا ضياع حللوا حرمانها
 فحسبكم يا أهل مصر بمعدله
 فذاك بيان واضح عن خليفة
 رضينا لكم يا أهل مصر بدولة
 فيا مالكا هدي الملائك هديه
 ويارازقا من كفه نشأ الحيا
 ألا انما الأيام أيامك التي
 لك المجد منها يالك الخير والعلی
 لقد جدت حق ليس للمال طالب
 فليس لمن لا يرتقي النجم همة
 ودوت لجيل قد تقدم عصرهم
 ولو شهدوا الأيام والعيش بعدهم
 فلو سمع التشويب من كان رمة
 لناديت من قد مات حي بدولة

مكث القائد جوهر في مصر واليا عليها من قبل الامام المعز فنظم
 شؤونها الداخلية خير تنظيم وكان الغلاء شديداً فعـدل الأسعار وحظر
 بيع الطحين الا باشرافه غير ان بعض الطحانين خالفوا الاوامر فأمر
 بجمعهم في موضع واحد وضرب احدى عشر رجلاً منهم وطيف بهم
 وقضى على مروجي الفتن والقلقل ، وأرسل جيشاً بقيادة جعفر بن فلاح
 فاستولى على الرملة وطبرية ودمشق وخطب للامام في حلب وحمص .

وفي سنة ٣٦٠ هجرية هاجم القرامطة في مصر فقاتلهم جوهر قتالاً
 مريراً حق هزمهم ونادى في جميع أنحاء البلاد (من جاء بالقرمطي أو
 برأسه فله ثلاثة مائة الف درهم وخمسون خلعة وخمسون سرجاً تحل على

وأقطعها فاستصفي السهل والوعر
 دليلاً على العدل الذي عنه يفتـر
 كثير سواه عند معروفه نـزـر
 أطاع لنا في ظلها الأمن والوفر
 ولكن فجر الأنبياء له فجر
 والا فمن أسرارها نبع البحر
 لك الشطر من نعمائها ولنا الشطر
 وتبقى لنا منها الحلوبة والدر
 وانفقت حق ما لمنفـسة قـدر
 وليس لمن لا يستفيد الغنى عذر
 لو استأخروا في حلية العمر او كروا
 حدائق والآمال مونة خضر
 رفاتاً ولبي الصوت من ضمه قبر
 تقام لها الموتى ويرتجع العمر
 مكث القائد جوهر في مصر واليا عليها من قبل الامام المعز فنظم

شؤونها الداخلية خير تنظيم وكان الغلاء شديداً فعـدل الأسعار وحظر
 بيع الطحين الا باشرافه غير ان بعض الطحانين خالفوا الاوامر فأمر
 بجمعهم في موضع واحد وضرب احدى عشر رجلاً منهم وطيف بهم
 وقضى على مروجي الفتن والقلقل ، وأرسل جيشاً بقيادة جعفر بن فلاح
 فاستولى على الرملة وطبرية ودمشق وخطب للامام في حلب وحمص .

وفي سنة ٣٦٠ هجرية هاجم القرامطة في مصر فقاتلهم جوهر قتالاً
 مريراً حق هزمهم ونادى في جميع أنحاء البلاد (من جاء بالقرمطي أو
 برأسه فله ثلاثة مائة الف درهم وخمسون خلعة وخمسون سرجاً تحل على

دوابها^(١)، وغزا الاسطول الاسماعيلي الساحل الفلسطيني فاحتله بكامله وفي سنة ٣٦١ هجرية في الثاني والعشرين من شوال غادر الامام المعز بلاد المغرب متجهاً الى مصر وأرسل كتاباً الى القائد جوهر يعلمه بأنه قد عزم على نقل مقر خلافته الى القاهرة فتأهب القائد جوهر للاحتفال بلقائه. وصل الامام المعز الى الاسكندرية في ٢٤ شعبان سنة ٣٦٢ هجرية ثم سار الى القاهرة فوصلها في السابع من رمضان وسكن القصر الذي بناه له القائد جوهر.

وهكذا أصبحت مصر داراً للخلافة الاسماعيلية وأصبح الامام المعز أول خليفة فاطمي فيها فعمل على ترقية العلوم والثقافة وأمر ببناء جامع الأزهر وجعله داراً للعلوم ومنهلاً للثقافة والفكر، وشجع العلماء وخصص لهم المبالغ الطائلة فوفدوا عليه من كل قطر حيث وجدوا المساعدات والتشجيع.

ووجه الاعتناء الزائد لمكتبة القصر وأشرف بنفسه على تأليف الكتب الاسماعيلية، فتقدمت الثقافة الاسماعيلية تقدماً باهراً وازدهرت العلوم فنبغ في عهده شعراء وفلاسفة نهضت على كواهلهم الدعوة الاسماعيلية. ولقد اهتم الامام المعز بالتنظيمات الادارية وأنشأ محكمة للنظر في المظالم. كما عين الولاة والحكام المشهورين بنزاهتهم وحسن ادارتهم وقضى على الفوضى والمحسوبية والرشوة وعمل على تقوية الجيش وشيد داراً لصنع السفن البحرية وهذا ما جعل الاسطول الاسماعيلي يصبح مفخرة الدول الاسلامية وأعظم اسطول في الشرق.

توفي الامام المعز بعد ثلاثة سنوات من حكمه في مصر، وكان ذلك في يوم الجمعة الحادي عشر من ربيع الأول سنة ٣٦٥ هجرية بعد أن نص

(١) اتعاظ الخنفا ص ١٨٣.

على إمامة ولده العزيز ودفن في القاهرة . وكان المعز حلو الحديث ، غير متكبر أو متعجب ، يحب الإصلاح ويسمى لما فيه صالح شعبه .
ولا بد لنا بعد ان وصلنا الى هنا من أن نأتي على ذكر بعض رجالات الدعوة الاسماعيلية في عهد هذا الامام نظراً للمكانة التي كانوا يحتلونها في عصره .

القائد جوهر الصقلي :

مملوك رومي اصله من جزيرة صقلية جاء به أحد التجار وعرضه للبيع فاشتراه الامام المعز ورباه في قصره فاخلص له وتفانى في خدمته فأعلى قدره وجعله قائداً لجيوشه ففتح المدن ودوخ الملوكة والأمراء ، وسار من بلاد المغرب على رأس حملة مصر فاحتلها وانقذ البلاد من ظلم العباسيين وعيى الحكام والولاة وأبعد عن القطر المصري خطر القرامطة والروم وبذلك تمكن من تأسيس مملكة مستقلة تنافس الخلافة العباسية وتقف في وجه مطامع الروم وسواهم ، وبقي هذا القائد العظيم بمنزلة سامية لدى الخلفاء الفاطميين الذين أتوا بعد وفاة الامام المعز حتى توفي في يوم الاثنين لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٣٨١ هجرية فرثاه اكثر الشعراء ، ولقد كان القائد جوهر كاتباً بارعاً ومحسناً كبيراً^(١) خدم الدولة الاسماعيلية خدمات جلى لا تحصى .

استدعى الامام المعز وهو بالمنصورية في يوم شات بارد الريح عدداً من كبار رجالات كتامة وشيوخهم فدخلوا عليه فقال لهم :
يا اخواننا أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد ، فقلت لأمر

(١) خطط المقرئ ج ٢ ص ٢٠٢ .

الأمراء ، وانها الآن بحيث تسمع كلامي : أترى اخواننا يظنون أنا من مثل هذا اليوم نأكل ونشرب ونتقلب في المثلث والديباج والحرير والفنك والسمور والمسك والخمر والغناء كما يفعل أرباب الدنيا ؟ ثم رأيت أن أنفذ اليكم فأحضركم لتشهدوا احوالي إذ خلوت دونكم واحتجبت عنكم واني لأفضلكم في أحوالكم إلا فيما لا بد لي منه من دنياكم وبما خصني الله به من إمامتكم واني مشغول بكتيب ترد علي من المشرق والمغرب أجيب عنها بخطي ، واني لا اشتغل بشيء من ملاذ الدنيا إلا بما يصون ارواحكم ويعمر بلادكم ويذل أعداءكم ويقمع أضدادكم فافعلوا يا شيوخ في خلواتكم مثل ما افعله ، ولا تظهروا التكبر والتجبر فينزع الله النعمة عنكم وينقلها الى غيركم ، وتحننوا على من وراءكم ممن لا يصل الي كتفني عليكم ، ليتصل في الناس الجليل ويكثر الخير وينتشر العدل ، وأقبلوا بعدها على نسائكم والزموا الوحدة التي تكون لكم ولا تشرهوا الى التكثر منهن والرغبة فيهن فيتنفص عيشكم وتعود المضرة عليكم وتنهكوا أبدانكم وتذهب قوتكم وتضعف تحايضكم فحسب الرجل الواحد الواحدة ونحن محتاجون الى نصرتكم بأبدانكم وعقولكم ، واعلموا انكم اذا لزمتم ما امركم به رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق كما قرب أمر المغرب بكم انهضوا رحمكم الله .

الشاعر ابن هانيء الاندلسي :

ولد الشاعر الاسماعيلي محمد بن هانيء بن محمد بن سعدون الاندلسي بقرية (سكون) من قرية اشبيلية سنة ٣٢٠ هجرية ، ولقب بأبي القاسم وبأبي الحسن . نشأ وتأدب في اشبيلية وارتاد دار العلم في قرطبة ، فقرض الشعر حتى مهر فيه وتجلت مواهبه الفلسفية .
اتصل بصاحب اشبيلية فأعزه واکرمه وأقام معه حتى اتهم بمذاهب

الفلاسفة الاسماعيلية ، فشاع امره واشتهر بين الناس فنقموا عليه وحاول
أهل إشبيلية قتله ، وأخذوا يسيئون الظن بالملك بسببه ، فأشار الملك
عليه أن يترك المدينة ، فهرب الى المغرب حيث اتصل بأمر (المسيله)
جعفر بن علي بن حمدون فبالغ في اكرامه واحسن اليه ، ونمي خبره الى
الامام المعز فطلبه من جعفر ، فأرسل اليه وأقام عنده حتى ارتحل الامام
المعز الى مصر فودعه وعاد الى المغرب لقضاء بعض حاجاته ولأخذ
عياله والالتحاق بالامام .

تجهز بن هانيء وتبع الامام المعز حتى وصل إلى برقة حيث أضافه
شخص من أهلها وفي اليوم الثاني وجد بن هانيء مخنوقاً بتكة سرواله
وملقى على جانب البحر لا يدرى من قتله وكان ذلك في أواخر رجب
سنة ٣٦٢ هجرية (١) .

عندما علم الامام بوفاة تأسف عليه وقال (لا حول ولا قوة الا
بالله ، هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر ذلك) (٢) .
كان بن هانيء فحل من فحول الشعراء وأشعر شعراء المغرب على
الاطلاق من المتقدمين والمتأخرين لقب بمثنوي الغرب .

إن قصائده الشعرية المدونة في ديوانه لأكبر دليل على مقدرته الشعرية ،
وجمل قصائده في وصف الفتوحات الاسماعيلية ومدح الامام الاسماعيلي المعز
لدين الله ، ونحن لا نستطيع أن نأتي على ذكر جميع قصائده لكثرتها
فنكتفي بما أوردناه في معرض الكلام عن الامام المعز .

وما نحن نقدم القصيدة الخالدة التي جعلت أكثر الناس يقدحون في
ابن هانيء بسببها وعدوه من الغلاة الملحدين كونهم لم يتوصلوا الى معرفة

(١) ابن الاثير ج ٨ ص ٤٥٧ ، وهناك عدة روايات عن قتله ذكرها ابن خلكان .

(٢) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥ .

حقيقية بن هانيء وتوحيده .

قال يمدح الامام المعز :^(١)

ما شئت لا ما شئت الأقدار
وكأنما أنت النبي محمد
أنت الذي كنت تبشرنا به
هذا امام المتقين ومن به
هذا الذي ترجى النجاة بحبه
هذا الذي تجدي شفاعته غداً
من آل أحمد كل فخر لم يكن
كالبدر تحت غمامة في قسطل
في جحفل هم الثنايا وقعه
غمر الرعان الباذخات وأغرق
زجل يبرح بالقضاء مضيقه
لله غزوتهم غداة فراقس
والمستظل سماؤه من عثير
وكان غيضان الرماح حدائق
وثمارها من عظم أو ابدع

فاحكم فانت الواحد القهار
وكأنما أنصارك الأنصار
في كتبها الأخبار والأخبار
قد دوّخ الطغيان والكفار
وبه يحط الاصر والأوزار
حقاً وتحمداً أن تراه النار
يُنمى اليهم ليس فيه فخار
ضحيات لا يخفيه عنك سرار
كالبحر فهو غطامط زخار
السن المنيفة ذلك التيار
فالسبل يم والجبال بحار
وقد استشيت للكرية نار
فيها الكواكب لهزم وغرار
لمع الأسنة بينها أزهار
ينع فليس لها سهوله ثمار

(١) ان العقيدة الاسماعيلية تنزه الخالق عن الصفات كالعالم والقادر والصانع و... الخ فان اطلاق الصفات عليه يوجب الكثرة في ذاته عندهم ، وهم يروون عن الامام الباقر محمد بن علي زين العابدين قوله « ان الله عالم على المعنى انه يوثي العلم من يشاء لا على معنى ان العلم قائم بذاته وانه تعالى قادر على معنى ان القدرة قائمة بذاتها » ولما كان الامام قائماً مقام الأمر والكلمة في هذا العالم فجميع صفات الباري راقفة عليه ومن هنا نجد ان اطلاق كلمة « الواحد القهار » على المعز إنما هي حسب الاعتقاد .

والخيل تفرح في الشكيم كأنها
من كل يعسوب سبوح سلمب
لا يطبيه غير كبة معرك
سلط السنايك للعين مخدم
وكان وفرته غدائر غادة
وأحم حلكوك واصفر فاقع
يعقلن ذا العقال عن غاياته
مرت لغايتها فلا والله ما
وجرت فقلت أسابح أم طائر
من آل أعوج والصريح وداحس
وعلى مطاها فتية شيعية
من كل أغلب باسل متخبط (١)
قلق إلى يوم الهياج مغامر
ان تحب نار الحرب فهو بفتكه
فأداته فضفاضة وتريكة
أسد إذا زارت وجار ثعالب
حفوا برايات المز ومن بسه
هل للدمستق بعد ذلك رجعة
أضحوا حصيداً خامدين وأقفر
كانت جناناً أرضهم معروشة
أمسوا عشاء عروبة في غبطة

عقبان صارت شاقها الاوکار
حص السباط عنانه الطيار
أو هيبة من ماقط ومفار
وأذيب منه على الأديم نضار
لم يلقيها بؤس ولا إقتار
منها وأشهب أمهق زحمار
وتقول أن لن يخطر الأخطار
علاقت بها في عدوها الأبصار
هلا استثار لوقعهن غبار
فيهن منها ميسم ونجار
ما إن لها إلا الولاء شعار
كالايث فهو لقرنه هصار
دم كل قيل في ظباه جبار
ميقادما مضراما المغوار
ومثقف ومهند بتار
ما ان لها إلا القلوب وجار
تستبشر الأملاك والأقطار
قضيت بسيفك منهم الأوطار
عرصاتهم وتعطلت آثار
فأصابها من جيشه اعصار
فأناخ بالموث الزوام شيار

(١) المتخبط : المتكبر الغضبان .

واستقطع الخلقان حب قلوبهم
 صدعت جيوشك في العجاج وعانشت^(١)
 ملأوا البلاد رغائباً وكتائباً
 وعواطفاً وعوارفاً وقواصفاً
 وجداولاً وأجادلاً ومقاولاً
 عكسوا الزمان عوائثاً ودواخناً
 سفروا فأخلت بالشموس جباههم
 ورسوا حتى حق استخف متالع
 وتبسموا فزها وأخصب ماحل
 واستبسلا فتخاضع الشم الذرى
 أبناء فاطم هل لنا في حشرنا
 أنتم أحبباء الاله وآله
 أهل النبوة والرسالة والهدى
 والوصي والتأويل والتحرير
 ان قيل من خير البرية لم يكن
 لو تلمسون الصخر لانبعجت به
 أو كان منكم للرفات مخاطب
 لستم كأبناء الطليق المرتدى
 أبناء نثلة ما لكم ولمعشر
 ردوا إليهم حقهم وتنكبوا
 ودعوا الطريق لفضلهم فهم الألى

وجلال الشرور وحلت الأدعار
 ليل العجاج فوردها إصدار
 وقواصفاً وشوازيباً ان ساروا
 وخوائثاً يشتاقيها المضار
 وعواملاً وذوايلاً واختاروا
 فالصبح ليل والظلام نهار
 وتمجرت بغمامها الأقمار
 وهموا ندى فاستحيت الأمطار
 وافتر في روضاته النوار
 وسطوا فذل الضيفم الزنار
 لجأ سواكم عاصم و'مجار
 خلفاؤه في أرضه الأبرار
 في البيئات وسادة أطمار
 والتحليل لا خلف ولا انكار
 إلّاكم ، خلق إليه يشار
 وتفجرت وتدفقت أنهار
 لبوا وظنوا أنه انشار
 بالكفر حتى عض فيه إصار
 هم دوحة الله الذي يختار
 وتحملوا فقد استحم بوار
 لهم بجهلة الطريق منار

(١) عانته معانسة وعناشاً؛ عانته في الحرب .

كم تنهضون بعبء عار واصم	والعمار يأنف منكم والغار
يلهيهم زمر المثاني كلما	ألهاكم المثني والمزمار
أمعز دين الله ابن زماننا	بك فيه بأوَّ جَل واستكبار
ها ان مصر غداة صرت قطينها	أحرى لتحسدها بك الأقطار
الارض كادت تفجر السبع العلى	لولا يظلك سقفا الموار
والدهر لاذ بحقوقيتك وصرفه	وملوكة وملائك أطوار
والبحر والشينات شاهدة بكم	والشائحات الشم والاحجار
والدر والظلمات والدواب و	الغزلان حتى خرنق وفرار
شرفت بك الآفاق وانقسمت بك الا	رزاق والاجال والاعمار
عطرت بك الافواه إذ عذبت لك الا	مواه حين صفت لك الاكدار
جلت صفاتك أن تحد بمقول	ما يصنع المصداق والمكثار
والله خصك بالقرآن وفضله	واخجلتي ما تبلغ الاشعار

داعي الدعوة وقاضي القضاة سيدنا النعمان:

ولد سيدنا القاضي النعمان بن أبي عبدالله محمد بن منصور بن حيون التميمي سنة ٣٠٢ هجرية في مدينة المهديّة من أبوين اسماعيليين فنشأ على حب المذهب الاسماعيلي والتفاني في خدمته ، عين خلفاً لأبيه قاضي قضاة المذهب الاسماعيلي وكبيراً لدعائه في عهد الامام المعز لدين الله فاخلص لمولاه وافاد عقيدته بكثرة مؤلفاته في مختلف العلوم الاسماعيلية ، واليه يرجع الفضل في تعميم الفقه الجعفري ، وضرب بسهم وافر في جميع نواحي النشاط العلمي ، فترك عدداً كبيراً من المؤلفات الثمينة (في المناظرة والتأويل والفق والارشاد والوعظ) .

يقول عنه الداعي ادريس عماد الدين بكتابه عيون الأخبار بأنه كان مشرعاً كبيراً ، وقال ابن خلكان ايضاً : كان النعمان من اهل الفقه والدين والنبل لا مزيد عليه ، وهكذا كان للنعمان اثر لا يعد في النهضة الثقافية وحق للعلماء أن يسموه (المشرع الاسماعيلي) ولا غرو فقد استمد علمه ونبوغه من الامام الذي كان يتناول مؤلفاته بالارشاد والتصحيح ويوضح له الفكرة ، ويروي ابن خلكان (١) ان النعمان ألف لاهل البيت آلاف الأوراق ، بأحسن تأليف ، واملح سجع ، وعمل في المناقب والمثالب كتاباً حسناً ، وله ردود على المخالفين .

توفي القاضي النعمان في شهر جمادى الآخر سنة ٣٦٣ هجرية وصلى عليه الامام المعز ، وورث من بعده ابناؤه زعماء القضاء الاسماعيلي في مصر ، ومن مؤلفاته التي ذكرها المستشرق الروسي البروفسور (ايثانوف) في كتابه المرشد الى الأدب الاسماعيلي (٢) .

في الفقه

- ١ - كتاب الايضاح .
- ٢ - مختصر الايضاح .
- ٣ - الأخبار في الفقه .
- ٤ - مختصر الآثار فيما روي عن الأئمة الأطهار .
- ٥ - الاقتصار .
- ٦ - المنتخبة .
- ٧ - دعائم الاسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام (٣) .

(١) ابن خلكان في الوفيات ج ٢ ص ١٦٦ .

(٢) المرشد الى الادب الاسماعيلي ص ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ .

(٣) طبع الجزء الأول في عام ١٩٥٣ في دار المعارف بمصر بتحقيق أصف علي فيض وطبع الجزء الثاني عام ١٩٥٩ في دار المعارف بمصر بنفس التحقيق.

٨ - منهاج الفرائض .

٩ - الاتفاق والافتراق

١٠ - المقتصر .

١١ - الينبوع .

في الاخبار

١٢ - شرح الاخبار في فضائل الأئمة الاطهار في ستة عشر جزءاً .

١٣ - قصيدة ذات الحن .

١٤ - قصيدة ذات المن .

في الحقائق

١٥ - تأويل دعائم الاسلام .

١٦ - تأويل الشريعة .

١٧ - أساس التأويل .

١٨ - شرح الخطب التي لأمر المؤمنين .

١٩ - كتاب التوحيد والامامة .

٢٠ - اثبات الحقائق في معرفة توحيد الخالق .

٢١ - حدود المعرفة في تفسير القرآن والتنبيه على التأويل .

٢٢ - نهج السبيل إلى معرفة علم التأويل .

٢٣ - الراحة والتسلي .

في الرد على المخالفين

٢٤ - اختلاف اصول المذاهب (١) .

(١) حققه مصطفى غالب وتصدره دار الاندلس في بيروت .

- ٢٥ - الرسالة المصرية في الرد على الشافعي .
- ٢٦ - الرد على احمد بن سريج البغدادي .
- ٢٧ - ذات البيان في الرد على ابن قتيبة .
- ٢٨ - داعم الموجز في الرد على العتقي .

في العقائد

- ٢٩ - قصيدة المختارة .
- ٣٠ - كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة « طبع » .
- ٣١ - كتاب الطهارة .
- ٣٢ - الأرجوزة .
- ٣٣ - الدعاء .
- ٣٤ - عبادة يوم وليلة .
- ٣٥ - مفاتيح النعمة .
- ٣٦ - كيفية الصلاة على النبي .
- ٣٧ - التعقيب والانتقاد .
- ٣٨ - التقريع والتعنيف .
- ٣٩ - كتاب الحلى والثياب .
- ٤٠ - الشروط .
- ٤١ - منامات الأئمة .
- ٤٢ - تأويل الرؤية .

في التاريخ والوعظ

- ٤٣ - رسالة الى المرشد الداعي بمصر في تربية المؤمنين .
- ٤٤ - المجالس والمسائرات والمواقف والتوقيعات .

- ٤٥ - معالم الهدى .
- ٤٦ - المتاعب لأهل بيت رسول الله .
- ٤٧ - افتتاح الدعوة .

وهناك عدد آخر من الكتب التي قدسب للقاضي النعمان موجودة لدى الاسماعيلية السوريين منها :

- ١ - الرسالة المذهبة في فنون الحكمة وغرائب التأويل .
- ٢ - رسالة الرشد والهداية .
- ٣ - اجوبة الامام المعز على القاضي النعمان .
- ٤ - البيان في معرفة إمام الزمان .

وذكر الأستاذ ايثانوف ايضاً بعض مؤلفات نسبها للامام المعز لدين الله وهي :

- ١ - الروضة .
- ٢ - الرسالة الى حسن القرمطي .
- ٣ - المناجاة .
- ٤ - الرسالة المسيحية .

ونحن نقدم الآن للقراء رسالة الإمام المعز إلى الحسن بن أحمد القرمطي:

بسم الله الرحمن الرحيم

رسوم النطقاء ، ومذاهب الأئمة والأنبياء ، ومسالك الرسل والأوصياء ،
السالف والآنف منا صلوات الله علينا وعلى آباءنا أولي الأيدي والأبصار
في متقدم الدهور والأكوان ، وسالف الأزمان والأعصار ، عند قيامهم

بأحكام الله وانتصاهم لأمر الله ، الإبتداء بالاعذار ، والإنتهاء بالإندار ، قبل انفاذ الأقدار في أهل الشقاق والآصار ، لتكون الحجة على من خالف وعصى ، والعقوبة على من باين وغوى حسب ما قال الله جل وعز : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً »^(١) ، و « إن من أمة إلا خلا فيها نذير »^(٢) ، وقوله سبحانه « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » وسبحان الله وما أنا من المشركين^(٣) ، « فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق »^(٤) .

أما بعد أيها الناس فإننا نحمد الله بجميع محامده ، ونحمده بأحسن مما جده ، حمداً دائماً أبداً ، ومجداً عالياً سرمداً ، على سبوغ نعمائه وحسن بلائه ، ونبتغي إليه الوسيلة بالتوفيق والمعونة على طاعته والتسديد في نصرته ، ونستكفيه بمائلة الهدى والزيغ عن قصد الهدى ، ونستزيد منه إتمام الصلوات وإفاضات البركات وطيب التحيات ، على أوليائه الماضين ، وخلفائه التالين ، منا ومن آباؤنا الراشدين المهديين المنتخبين ، الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون .

أيها الناس « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمل فعليها »^(٥) ، ليذكر من يذكر ، وينذر من أبصر واعتبر ، أيها الناس إن الله جل وعز إذا أراد أمراً قضاؤه وإذا قضاؤه أمضاء ، وكان من قضاؤه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحاً ، وأبرزنا أرواحاً ، بالقدرة مالكين ، وبالقوة قادرين ، حين لا سماء مبنية ، ولا أرض مدحية ،

(١) الآية ١ من سورة الاسراء .

(٢) الآية ٢٤ من سورة فاطر .

(٣) الآية ١٠٨ من سورة يوسف .

(٤) الآية ١٣٧ من سورة البقرة .

(٥) الآية ١٠٤ من سورة الانعام .

ولا شمس تضيء ولا قمر يسري ، ولا كوكب يجري ولا ليل يخن ،
ولا أفق يكن ، ولا لسان ينطق ، ولا جناح يخفق ، ولا ليل ولا
نهار ، ولا فلك دوار ولا كوكب سيار ، فنحن أول الفكرة وآخر
العمل ، بقدر مقدور ، وأمر في القدم مبرور ، فعند تكامل الأمر
وصحة العزم ، وإنشاء الله جل وعز المنشآت ، وإبداء الامهات من
الهيولات ، طبعنا أنواراً وظلماً ، وحركة وسكوناً ، وكان من حكمه
السابق في علمه ما ترون من فلك دوار ، وكوكب سيار ، وليل ونهار ،
وما في الآفاق من آثار معجزات وأقدار باهرات ، وما في الأقطار من
الآثار ، ومسا في النفوس من الأجناس والصور والأنواع ، من كفيف
ولطيف ، وموجود ومعدوم ، وظاهر وباطن ، ومحسوس وملسوس ،
ودان وشاسع ، وهابط وطالع ، كل ذلك لنا ومن أجلنا ، دلالة علينا
وإشارة إلينا يهدي به الله من كان له لب سليم ، ورأي صحيح ، وقد
سبقت له الحسنی ، فدان بالمعنى ، ثم أنه جل وعلا أبرز من مكنون
العلم وغزون الحكم ، آدم وحواء أبوين ذكراً وأنثى سبباً لإنشاء البشرية ،
ودلالة لإظهار القدرة القوية ، وزاوج بينهما فتوالد الأولاد ، وتكاثر
الأعداد ، ونحن ننتقل في الأصلاب الزكية ، والأرحام الطاهرة المرضية ،
كلما ضمنا صلب ورحم أظهر منا قدرة وعلم ، وهلم جرا إلى آخر
الجد الأول ، والأب الأفضل سيد المرسلين ، وإمام النبيين ، أحمد
ومحمد صلوات الله عليه وعلى آله في كل ناد ومشهد ، فحسن آلاؤه ،
وظهر بالأحديّة ، ودان بالصمدية ، فعندهما سقطت الأصنام .
وإنعقد الإسلام ، وانتشر الايمان وبطل السحر والقربان ، وهربت
الارثان ، وأتي بالقرآن ، شاهداً بالحق والبرهان ، فيه خير ما كان وما
يكون الى يوم الوقت المعلوم ، منبئاً عن كتب تقدمت في صحف قد

نزلت ، تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة ونوراً وسراجاً منيراً ، وكل ذلك دلالات لنا ، ومقدمات بين أيدينا وأسباب لظهار أمرنا هدايات وآيات وشهادات وسعادات قدسيات ، إلهيات أزليات كائنات منشآت ، مبدئات معيدات ، فما من ناطق نطق ، ولا نبي بعث ، ولا وصي ظهر إلا وقد أشار إلينا ولوح بنا ، ودل علينا ، في كتابه وخطابه ، ومنار اعلامه ومرموز كلامه ، فيما هو موجود غير معدوم ، وظاهر وباطن ، يعلمه من سمع النداء ، وشاهد ورأى ، من الملائكة الأعلی ، فمن أغفل منكم أو نسي ، أو ضل أو غوى ، فليتنظر في الكتب الألى والصحف المنزلة وليتأمل الى القرآن ، وما فيه من البيان ، وليسأل أهل الذكر إن كان لا يعلم ، فقد امر الله عز وجل بالسؤال ، فقال (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) (١) .

وقال سبحانه وتعالى (فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) (٢) (الا تسمعون قول الله حيث يقول (وجعلنا كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) (٣) وقوله تقديست اسماءه وذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) (٤) وقوله له المزة (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوم اليه) (٥) ومثل ذلك في كتاب الله تعالى كثير ، ولو لا الاطالة لأتينا على كثير منه .

(١) الآية ٩٧ سورة النحل .

(٢) الآية ١٢٢ سورة التوبة .

(٣) الآية ٢٨ سورة الزخرف .

(٤) الآية ٢٤ سورة آل عمران .

(٥) الآية ١٣ سورة الشورى .

وبما دل به علينا أنبا به عنا قوله عز وجل (كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة ، والزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة ، زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولولم تمسه نار ، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) (١) وقوله في تفضيل الجسد الفاضل والآب الكامل محمد ، صلى الله عليه وعليه السلام ، اعلماً بجليل قدرتنا وعلو امرنا (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) (٢) هذا مع ما اشار وأبان وأوضح ، في السر والاعلان . من كل مثل مضروب وآية وخبر وإشارة ودلالة حيث يقول (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) (٣) وقال سبحانه وتعالى (ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) (٤) وقوله جل وعز (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) (٥) فان اعتبر معتبر وقام وتدبر ما في الأرض وما في الأقطار والآثار ، وما في النفس من الصور المختلفة والأعضاء المؤتلفات والآيات والعلامات والاتفاقات والاختراعات والاجناس والأنواع ، وما في كون الابداع من الصور البشرية والآثار العلوية ، وما تشهد به حروف المعجم ، والحساب المقوم ، وما جمعت الفرائض والسنن وما جمعت السنون من فعل وشهر ويوم ، وتضيف القرآن من تحزيبه واسباعه ومعانيه وارباعه ، وموضع الشرائع المتقدمة والسنن المحكمة ، وما جمعت كلمة الاخلاص في تقاطيعها وحروفها وفصولها ،

(١) الآية جزء ٣ سورة النور .

(٢) ٨٧ سورة الحجر .

(٣) الآية ٤٣ سورة النكبات .

(٤) الآية ١٩٠ سورة آل عمران .

(٥) الآية ٣٥ سورة فصلت .

وما في الأرض من إقليم وجزيرة ، وبر ، وبحر ، وسهل وجبل ، وطول وعرض وفوق وتحت ، الى ما اتفق عليه في جميع الحروف من اسماء المديرات السبعة والايام السبعة النطقا والارصيا والخلفا ، وما صدرت به الشرائع من فرض وسنة وحدوسة ، وما في الحساب من آحاد وأفراد وأزواج وأعداد ثثاليثه وترابيعة واثننا عشريته وتسابيعة ، وأبواب العشرات والمئين والالوف ، وكيف تجتمع وتشتمل على ما اجتمع عليه ما تقدم من شاهد عدل وقول وصدق وحكمة حكيم وترتيب عليم ، فلا إله إلا هو له الاسماء الحسنى والأمثال العلى « وان تعدوا نعمة الله فلا تحصوها »^(١) « وفوق كل ذي علم عليم »^(٢) « ولو ان ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله »^(٣) « وليعلم من الناس من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ان كلمات الله الازليات ، واسماؤه التامة وأنواره الشعشعانيات ، وأعلامه النيرات ومصابيحه البيئات ، وبدائعه المنشآت ، وآياته الباهرات ، واقداره النافذات لا يخرج منا ، ولا يخلو منا عصر ، وانا لكما ، قال الله سبحانه وتعالى « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم »^(٤) فاستشعروا النظر فقد نقر في الناقور ، وفار التنور وأتى التنذير بين يدي عذاب شديد ، فمن شاء فليُنظر ، ومن شاء فليَتدبر ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين .

(١) الآية ٣٤ سورة ابراهيم .

(٢) الآية ٧٦ سورة يوسف .

(٣) الآية ٢٧ سورة لقمان .

(٤) الآية ٧ سورة المجادلة .

وكتابتنا هذا من فسطاط مصر ، وقد جئنا على قدر مقدور ووقت
 مذكور ، فلا ترفع قدماً ، ولا تضع قدماً الا بعلم موضوع وحكم مجموع
 واجل معلوم وأمر قد سبق ، وقضاء قد تحقق . فلما دخلنا وقد قدر
 المرجفون من أهلها أن الرجفة تنالهم ، والصعقة تحل بهم ، تبادروا وتعادوا
 شاردين وجلوا عن الأهل والحريم والأولاد والرسوم ، وأنا لنار الله الموقدة
 التي تتطلع على الأفئدة فلم أكشف لهم خيراً ، ولا قصصت لهم أثراً ولكني
 أمرت بالنداء وأذنت بالامان لكل باديء وحاضر ومنافق ومتشاقق أو
 عاص ومارق ومعاند ، ومنابقي ، ومن أظهر صفحته وأبدى لي سوءته .
 فاجتمع الموافق والمخالف ، والباين والمنافق ، فقابلت الولي بالاحسان
 والمسيء بالغفران . حتى رجع الناد والشارد ، وتسوى الفريقان ، واتفق
 الجمعان ، وانبسط القطوب ، وزال الشحوب ، اجريا على العادة بالاحسان
 والصفح والامتنان والرافة والغفران ، فتكاثرت الخيرات وانتشرت البركات
 كل ذلك بقدره ربانية ، وأمرة برهانية ، فأقيمت الحدود بالبينه والشهود ،
 في العرب والعبيد ، والخاص والعام ، والبادي والحاضر ، بأحكام الله
 عز وجل وادابه وحقه وصوابه ، فالولي آمن جذل ، والعدو خائف وجل .
 فأما أنت الغادر الخائن ، الناكس البائن ، عن الهدى آباءه وأجداده ،
 المنسلخ عن دين أسلافه وأنداده ، والموقد لنار الفتنة ، والخارج عن الجماعة
 والسنة ، أفلم أغفل أمرك ، ولا أخفي عني خبرك ، استتردوني اترك وانك مني
 لبعنظر ومسمع ، كما قال الله عز وجل : « انني معكما أسمع وأرى »^(١) ، ما كان
 أبوك امراً سوء وما كانت أمك بغياً^(٢) فعرفنا أي رأي أصلت وأي طريق

(١) الآية ٤٦ من سورة طه .

(٢) الآية ٢٨ من سورة مريم .

سلكت ، أما كان لك يحدك ابي سعيد أسوة ، وبعمل ابي طاهر قدوة ؟ أما نظرت في كتبهم وأخبارهم ولا قرأت وصاياهم وأشعارهم ؟ أكنت غائباً عن ديارهم وما كان من آثارهم ؟ ألم تعلم انهم كانوا عباداً لنا أولي بأس شديد وعزم شديد وأمر رشيد وفعل حميد ، يفيض اليهم موادنا وينشر عليهم بركاتنا ، حتى ظهوروا على الأعمال ودان لهم كل امير ووال ، ولقبوا بالسادة فسادوا ، منحة منا واسماً من أسائنا ، فعلت أسأؤهم ، واستعلت همهم واشتد عزمهم ، فسارت إليهم وفود الآفاق وامتدت نحوهم الأحداق ، وخضعت لهيبتهم الأعناق ، وأن يكونوا لبني العباس أضداد ، فعبثت الجيوش وسار كل خميس بالرجال المنتجة والعدد المهدبة ، والعساكر الموكبة ، فلم يلقهم جيش الا كسروه ، ولا رئيس الا أسروه ، ولا عسكر الا كسروه والحافظنا ترمقهم ، ونصرنا يلحقهم ، كما قال الله جل وعز : « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا » (١) « وان جندنا لهم الغالبون » (٢) وان حزبنا المنصرون .

فلم يزل رأيهم وعين الله ترمقهم ، الى أن اختاره لهم ما اختاروه من نقلهم من دار الفناء إلى دار البقاء ، ومن نعم يزول إلى نعم لا يزول ، فعاشوا محمودين والتقلوا مفقودين إلى روح وريحان وجنات النعيم ، فطوبى لهم وحسن مآب .

ومع هذا فما من جزيرة في الأرض ولا اقليم الا ولنا فيه حجاج ودعاة يدعون اليها ويدلون علينا ، وبأخذون تبعتنا ، ويذكرون رجعتنا وينشرون علمنا وينذرون بأسنا ويبشرون بأيماننا ، بتعاريف اللغات

(١) الآية ١٠ سورة غافر .

(٢) الآية ١٧٣ سورة الصافات .

واختلاف الألسن ، وفي كل جزيرة واقليم رجال منهم يفقهون وعندهم يأخذون وهو قول الله عز وجل « وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ^(١) »

وانت عارف بذلك ، فيا أيها الناكث الحانث ما الذي ارداك وصدك ؟
أشياء شكت فيده أم امر استربت به ، أم كنت خلياً من الحكمة ،
وخارجاً عن الكلمة ، فأزالك وصدك ، وعن السبيل ردك ، إن هي
الا فتنة لكم ومتاع الى حين ، وأيم الله لقد كان الاعلى لجذك ، والارفع
لقدرك والافضل لمجذك ، والاوسع لوفذك ، والانضر لعودك ، والاحسن
لعذرک ، الكشف عن احوال سلفك وان خفيت عليك ، والقفو لآثارهم
وإن عميت لديك ، لتجري على سننهم وتدخل في زميرهم ، وتسلك في
مذهبهم ، أخذاً بأمورهم في وقتهم ، وزميرهم في عصرهم فتكون خلفاً
قفا سلفاً يجد وعزم مؤتلف ، وأمر غير مختلف ، لكن غلب الرأى
على قلبك ، والصدى على لبك فأزالك عن الهدى ، وأزاعك عن البصيرة
والضياء ، وأمالك عن مناهج الأوليا ، وكنت من بعمد كما قال الله
عز وجل « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات
فسوف يلقون غيا ^(٢) » ثم لم تقنع في انتكاسك وترديتك في ارتكاسك ،
وارتباكك وانعكاسك ، من خلافتك الابا ، ومشيك القهقرى ، والنكوص
على الاعقاب ، والتسمي بالالقاب بشئ الاسم الفسوق بعمد الايمان ،
وعصيانك مولاك ، وجحدك ولاك حتى انقلبت على الادبار ، وتحملت
عظيم الاوزار ، لتقيم دعوة قد درست ، ودولة قد طمست ، إنك لمن

(١) الآية ٤ سورة ابراهيم .

(٢) الآية ٥٩ سورة مريم .

الغاوين ، وانك لفي ضلال مبين ، أم تريد أن ترد القرون السالفة ،
والاشخاص الغابرة ؟ اما قرأت كتاب السفر ، وما فيه من نص وخبر
فأين يذهبون ان هي الا حياتكم الدنيا ، تموتون وتظنون أنكم لستم
بمبعوثين « قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما علمتم وذلك على الله يسير^(١) » .
اما علمت أن المطيع اخر ولد العباس ، واخر المتراس في الناس ، اما تراهم (كانهم
اعجاز نخل نجاوية ، فهل ترى لهم من باقية^(٢)) ختم والله الحساب ، وطوى
الكتاب ، وعاد الامر الى اهل ، والزمان الى اوله ، وازفت الآزفة ، ووقعت
الواقعة ، وقرعت القارعة ، وطلعت الشمس من مغربها ، والآية من
وطنها وجيء بالملائكة والنبين وخسر هنالك المبطلون ، هنالك الولاية
لله الحق ، والمملك لله الواحد القهار ، فله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ
يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر الله من يشاء « يوم ترونها تدهل كل
مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى
وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد^(٣) » فقد ضل عملك وخاب
سعيك ، وطلع نحسك ، وخاب سعيك حين آثرت الحياة الدنيسا على
الآخرة ، ومال بك الهوى فأزالك عن الهدى ، فان تكفر أنت ومن
في الأرض جميعاً فإن الله هو الغني الحميد .

ثم لم يكفك ذلك ، مع بلائك وطول شقائك ، حتى جمعت ارجاسك
وافجاسك وحشدت أوباشك واقلاصك ، وسرت قاصداً الى دمشق وبها
جعفر بن فلاح في فئة قليلة من كتامة وزوبلة ، فقتلته وقتلتهم ، جراً

(١) الآية ٧ سورة التناين .

(٢) الآية ٧ - ٨ سورة الحاقة .

(٣) الآية ٢ سورة الحج .

على الله ورد لأمره ، واستلجحت أموالهم ، وسبيت نساءهم ؛ وليس بينك وبينهم ترة ولا ثار ولا حقد ولا أضرار ، فعل بني الاصفر والترك الحزر ، ثم سرت أمامك ولم ترجع ، وأقمت على كفرك ولم تقطع حتى أقيت الرملة وفيها سعادة بن حيان في زمرة قليلة وفرقة يسيرة ، فاعتزل عنك إلى يافا ، مستكفياً شرك وتاركاً حربك ، فلم تزل ماكناً على نكثك باكراً وصاحباً ، وغادياً ورائحاً ، تقعد لهم بكل مقعد ، وتأخذ عليهم بكل مرصد ، وتقصدهم بكل مقصد ، كأنهم ترك وروم وخزر ، لا ينهك عن سفك الدماء دين ولا يردعك عهد ولا يقين ، قد استوعب من الردى خيرومك ، وانقسم على الشقاء خرطومك ، أما كان لك مذكر ، وفي بعض أفعالك مزدجر ، أو ما كان لك في كتاب الله عز وجل معتبر حيث يقول « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً »^(١) ، فحسبك بها فعلة يلقاك يوم ورودك وحشرك حين لا مناص ، ولا لك من الله خلاص ، ولم تستقبلها وكيف تستقبلها واني لك مقبلها هيات هيات ، هلك الضالون ، وخسر هنالك المبطلون وقل النصير ، وزال العشير ، ومن بعد ذلك تماديك في غيك ، ومقامك في غيك ، عداوة الله ولأوليائه وكفراً لهم وطغياناً ، وعمى وبهتاناً ، أتراك تحسب انك تخلد أم لأمر الله راد ؟ أم « يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون »^(٢) ، هيات لا خلود لمذكور ، ولا حر لمقدور ، ولا طافىء لنور ، ولا مقر لمولود ، ولا قرار لموعود ، لقد خاب منك

(١) الآية ١٣ من سورة النساء .

(٢) الآية ٣٢ من سورة التوبة .

الامل وحن لك الاجل ، فان شئت فاستعد للتوبة باباً ، وللنقلة جلباباً ،
فقد بلغ الكتاب أجله ، والوالي أمله وقد رفع الله قبضته عن أفواه
حكته ، ونطق من كان بالأمس صامتاً ، ونهض من كان هناك خائفاً
ونحن أشباح فوق الأمر والنفس ، دون العقل وأرواح في القدس نسبة
ذاتية وآيات لدنية نسمع ونرى « ما كنت تسري ما الكتاب ولا الايمان
ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ^(١) » « وتراهم ينظرون
اليك وهم لا يبصرون ^(٢) » ونحن معرضون ثلاث خصال والرابعة أردى
لك وأشقى لبالك ، وما أحسبك تحصل إلا عليها ، فاختر : إما قدمت
نفسك لجعفر بن فلاح وأتباعك بأنفس المستشبهين معه بدمشق والرملة
من رجاله ورجال سعادة بن الحيان ، ورد جميع ما كان لهم من
رجال وكراع ومتاع إلى آخر حبة من عقال ناقة وخطام بعير وهي
أسهل ما يرد عليك ، وأما أن تردهم أحياء في صورهم وأعيانهم وأموالهم
وأحوالهم ولا سبيل لك إلى ذلك ولا اقتدار ، وإما سرت ومن معك
بغير زمام ولا أمان فأحكم فيك وفيهم بما حكمت ، وأجريكم على
احدى ثلاث اقصاص وإمامنا بعد ؟ وأما فدى ، فعسى ان يكون
تمحيصاً لذنوبك وإقالة لعثرتك ، وإن أبيت إلا فعل اللعين (فأخرج
منها فانك رجيم ، وإن عليك اللعنة الى يوم الدين ^(٣)) ؟ أخرج منها
فما يكون لك ان تنكب فيها ، وقيل اخسئوا فيها ولا تكلمون ، فما
انت الا كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ، فلا

(١) الآية ٢ من سورة الشورى .

(٢) الآية ١٩٨ من سورة الاعراف .

(٣) الآية ٣٤ - ٣٥ سورة الحجر .

سما تظلك ولا ارض ثقلك ولا ليل يحزنك ، ولا نهار يكتنك ، ولا علم
يسترک ، ولا فئة تنصرک ، قد تقطعت بكم الاسباب ، واعجزكم الذهاب
فانتم كما قال الله عز وجل « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى
هؤلاء »^(١) ، لا ملجأ لكم من الله يومئذ ولا منجى منه ، وجنود الله في
طلبك قافية ، لا يزال ذو الحقاد ، وثوار الهجاء ، ورجال انجاد فلا
تجد في السماء مصعداً ، ولا في الارض مقعداً ، ولا في الارض ولا في
البحر منهجاً ، ولا في الجبال مسلماً ، ولا إلى الهواء سماً ، ولا إلى
مخلوق ملجأ ، حينئذ يفارقك اصحابك ، ويتخلى عنك احبابك ويخذلك
اترابك فتبقى وحيداً فريداً وخائفاً طريداً ، وهائماً شريداً ، قد ألجمك
العرق وكظك القلق وأسلمتك ذنوبك ، وازدراك حزنك ، كلالاً ووزر
إلى ربك .

الإمام العزیز بالله نزار

ولد الإمام العزیز بالله نزار ابن الإمام المعز لدين الله في يوم الخميس الرابع عشر من محرم سنة ٣٤٤ هجرية بالمهديّة ، وأصبح ولياً للعهد في يوم الخميس الرابع من ربيع الآخر سنة ٣٦٦ هجرية وتولى الإمامة والخدمة بعد وفاة أبيه في يوم الجمعة الحادي عشر من ربيع الآخر سنة ٣٦٦ هجرية وتولى الإمامة والخدمة بعد وفاة أبيه في يوم الجمعة الحادي عشر من ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هـ . وقيل في الرابع عشر من ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هجرية .

كان الإمام العزیز قائداً شجاعاً وحاكماً مدبراً وخليفة عادلاً كريماً يعفو عند المقدرة حسن الخلق قريباً من الناس ، وكان أديباً فاضلاً له شعر حسن . قال يوم وفاة أحد أولاده :

نحن بنو المصطفى ذوو محن	يجرّعها في الحياة كالأظمنّا
عجيبة في الأنام محنتنا	أولنا مبتلى وخاتمنا
يفرح هذا الوري بعيدم	طرا وأعيادنا مأتمنا

وكان لا يحب سفك الدماء محباً للصيد ، له معرفة بالخيل^(١) في

(١) خطط القريري ج ٤ ص ٦٦ - ابن خلكان ج ٢ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

عنده وصلت الاسماعيلية إلى درجة عظيمة من الرقي والازدهار .
ولقد أنفق الأموال الطائلة على تشييد المباني ^(١) وإنشاء الجسور
والمرافئ وتقوية الجيش والبحرية ، فازداد عدد الاسطول وعين الأتراك
قواداً لجيشه كما عين يعقوب بن كلس وزيراً له وخلع عليه ولقبه بالوزير
الأجل وأثبت اسمه على الطراز ، وكان هذا الوزير عالماً محباً للعلماء ،
مشجعاً لهم ، يحضر الفقهاء والفلاسفة للمناظرة بين يديه ويوزع عليهم
المنح والعطايا .

ويحدثنا ابن خلكان عن الوزير ابن كلس فيقول ^(٢) كان يعقوب يجمع
عنده العلماء . وكان في داره قوم يكتبون القرآن الكريم ، وآخرون
يكتبون كتب الحديث والفقه والأدب والطب ويعارضون ويشككون
المصاحف وينقطونها .

وكان ابن كلس يشرف بنفسه على المجالس التأويلية في كل ليلة جمعة
من كل أسبوع ، له مؤلفات عديدة منها :

- ١ - كتاب الفقه .
 - ٢ - الرسالة الوزيرية .
 - ٣ - كتاب في آداب الرسول .
 - ٤ - كتاب القراءات .
 - ٥ - كتاب علم الأبدان وصلاتها .
- وتوفي الوزير ابن كلس في ليلة الأحد الخامس من ذي الحجة سنة
٣٨٠ هـ . فرثاه مائة شاعر وصلى عليه الإمام العزيز .

(١) قال ابن خلكان في رفيات الاعيان ج ٣ ص ٥٣ في أيام العزيز بني قصر البحر بالقاهرة
الذي لم يكن مثله في شرق ولا غرب ، وقصر الذهب وجامع القرافة والقصور بعين شمس .
(٢) رفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٣٤ .

وقد اهتم الإمام العزيز بإنشاء دور للمكتب وشحنها بالمؤلفات الفخمة التي تبحث في جميع انواع العلوم ، ووجه اهتمامه الزائد لمكتبة القصر فرعاها بنفسه وأنفق عليها الأموال الطائلة حتى قبل أنها حوت مائة وستون ألف مجلد جلها في الفلسفة والطب والتاريخ والأدب والفقه . كذلك شجع العلماء والشعراء والمؤلفين ووهبهم الأموال وخصص لهم المنح والعطايا ، وأنشأ في الجامع الأزهر مدرسة علمية أنفق عليها من جيبه الخاص فتخرج منها علماء كان لهم شأن عظيم في عالم الفكر والتأليف .

وفي سنة ٣٦٨ هجرية سار القائد جوهر بعساكر كثيرة لقتال أفتكين والقرامطة فاحتل الرملة وحاصر دمشق ثم عاد لمنازلة القرامطة في الرملة وعسقلان فجري ، بينهما قتال شديد استمر طويلاً فخرج الامام العزيز بنفسه الى الرملة لقتال أفتكين وصحبه ، فدخلت الجيوش الاسماعيلية الرملة ، وأسر أفتكين في شهر محرم سنة ٣٦٨ هجرية فأحسن اليه الامام العزيز واکرمه اكراماً زائداً وصحبه الى القاهرة حيث وصله بالعطايا والخلع حتى قال أفتكين (احتشمت من ركوبي مع الخليفة مولانا العزيز بالله ونظري اليه بما غمرني من فضله واحسانه) ، فلما بلغ الامام ذلك قال (أحب ان ارى النعم عند الناس ظاهرة ، وارى عليهم الذهب والفضة والجواهر ، ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار ، وان يكون ذلك كله من عندي)^(١) .

ويحكى بان صاحب الاندلس المستنصر بن عبد الرحمن الناصر الاموي قد كتب كتاباً الى الامام العزيز يسبه فيه ويهجو فكتب اليه الامام

(١) خطط المقرئ ج ٤ ص ٦٧ .

« اما بعد فانك قد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام » .
 ولقد اعتنى الامام العزيز بشؤون الشام فاختر لولايتها غلامه
 (بنجوكتين) التركي وأمره أن يفتح حلب لانتشار الدعوة فيها فسار
 بنجوكتين الى دمشق ومنها الى حلب فاصطدمت جيوشه بجيوش البيزنطيين
 على ضفاف العاصي فهزمهم وأسر قائدهم وطاردتهم حتى انطاكية فقتل
 منهم خلق كثير وكان ذلك سنة ٣٨١ هجرية (١) .

والخلاصة قد وصلت المملكة الاسماعيلية في عهده الى درجة عظيمة
 من الرقي والتمدن ، فعاشرت الرعية بالخير والهناء والرخاء واتسع نطاق
 الدعوة اتساعاً عظيماً ، ويقول المقرئزي (كان يضرب بأيام الخليفة
 العزيز المثل في الحسن وقد كانت كلها أعياداً وأعراساً لكثرة كرمه
 ومحبه للعفو واستعماله لذلك) .

ولقد فتحت له حمص وحماه وشيزر وحلب ، وخطب له المقلد بن المسيب
 بالموصل واعمالها وخطب له باليمن وعظم شأنه .

هذا ما جعل الشعراء يتسابقون في تخصيص القصائد الخالدة لمدحه
 ومن تلك القصائد ما قال الشاعر الاسماعيلي في قصيدته (ذات الدوحة)
 التي نقدمها للقراء نظراً لما تتمتع به من مكانة سامية في عالم الأدب
 والشعر والفلسفة ولما يتخللها من المصطلحات الاسماعيلية :

سُئمت من البين الذي ليس يصدق	فلست بغير الحق والصدق انطق
أمدح رهطاً غير رهط محمد	وفي الجيد عهد للامام موثق
ولا فضل لي في ذابل الفضل فضل من	بهم يحرم الله الأنام ويرزق
أمة دين الله قد قام دينه	وانوار هذا الخلق من قبل يخلق

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ٣١ .

محبتهم فرض على الناس واجب
 هم المعروة الوثقى هم منهج الهدى
 ولولاهم لم يخلق الله خلقه
 هم درحة الدين التي تثمر الهدى
 تجير من الايام من يستظلمها
 سقامها غمام الوحي علما فأينعت
 جرت في تخوم المحكمات عروقها
 هم الاصل منها والأئمة فرعها
 الى ان تسامت بالعزیز ولم تكن
 فباهت على الأيام أيامه التي
 سحائب جود لا يغيب غمامها
 لأن فقد الناس المعز لدينه
 تجددت الدنيا علينا بيمنه
 ولا الجود ممنوع ولا المجد خامل
 تضوع نشر العدل في كل بلدة
 ملئت قلوب العارفين بحبه
 فلا صامت الا بحبك ناطق
 فضائل مولانا العزيز جليلة
 غرست على بيت من الشعر دوحة
 فألفت من بيت بيوتها كثيرة
 مشبع وشبع عن يمين ويسرة
 بمدح امير المؤمنين لأنها
 عليه صلاة الله ما لاح كوكب

وعصيانهم كفر الى النار موبق
 هم الغاية القصوى التي ليس تلحق
 ولم يكن في الدنيا ضياء وروثق
 وباليمن والتقوى تظلل وتسبق
 وتحمي من الموت المجهول وتطلق
 بكنون علم الله فالدين مونق
 وفوق الثريا فرعها متملق
 ففي كل عصر نورها يتألق
 بنير ابي المنصور لو كان يوثق
 تكاد لها صم الجنادل تورق
 وبحر سماح بالفدى يتدفق
 لقد قام بالدين العزيز الموفق
 فلا العيش مذموم ولا الدمار أخرق
 ولا العرف مقطوع ولا النكر مطلق
 ونشر الثناء الطيب للطيب يعبق
 فكل على مقداره يتشوق
 ولا مضر الا بشكرك ينطق
 اذا عد فضل فهو بالفضل يسبق
 لها اغصن في وزنه حين تبسق
 ولكنها مع ذاك لا تتفرق
 على كل حرف منه بيت مغلق
 لعمرى به من سائر الخلق اليق
 وما ناح في الايك الحمام المطوق

كسا الدين والدنيا نزار جلابيا
 كسا عدله الايام نوراً وبهجة
 كسا الدين بالمعروف والجود جنة
 كسا الدين والدنيا حقائق نعمة
 كسا الدين والدنيا نزار سلامة
 كسا الدين والدنيا نزار جلابيا
 كسا الدين والدنيا نزار جلابيا
 كسا الدين والدنيا نزار جلابيا
 كسا الشرق والغرب الامام غرائبها
 كسا الدين من لا دين الا بحبه
 كسا الدين والدنيا العزيز جلابيا
 كسا الدين والدنيا نزار هداية
 كسا الدين والدنيا نزار جلابيا
 كسا الدين والدنيا نزار جلابيا
 كسا الدين والدنيا نزار جلابيا

من اليمن والايمن لا تتمزق
 فيها ألسن الايام بالشكر تنطق
 تحصنه ممن يحيد ويمرّق
 فروض ثرى الايمان بالزهر مونتق
 تزيد على طول الزمان وتسبق
 مجددة في نعمه ليست تخلق
 من اليمن والاقبال فالدهر مطرق
 من اليمن والايمن فالشك مغلق
 من الجود والاقبال فالدهر مشرق
 علواً فسيف الحق بالحق مطلق.
 بايامه اللاتي بها المعز يورق
 يببت بها قلب المعصاني يخفق
 ترى النور من أغصانها يتألق
 من اليمن تردي للطفاة وتوثق
 من اليمن والايمن فالامر موثق

* * *

مرض الإمام العزيز وهو في بلدة بلبيس ، واشتد به المرض يوم الاثنين
 ٢٨ رمضان سنة ٣٨٢ هجرية فاستدعى الدعاة والرؤساء ، منهم القاضي
 محمد بن النعمان وابا محمد الحسن بن عمار الكتامي وأمين الدولة ، ونص
 أمامهم على إمامة ابنه الحاكم من بعده ، وتوفي في نفس اليوم بمدينة
 بلبيس وحمل الى القاهرة حيث دفن عند أبيه المعز في حجرة القصر
 وكان ذلك في ٢٨ من رمضان سنة ٣٨٦ هجرية .

* * *

الامام الحاكم بامر الله

ولد الامام الحاكم بأمر الله أبو علي منصور في ليلة الخميس الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة ٣٧٥ هجرية بالقصر الملكي في القاهرة^(١)، واصبح ولياً للعهد في شعبان سنة ٣٨٣^(٢) وتولى الخلافة والامامة بعد وفاة ابيه في ٢٨ رمضان سنة ٣٨٦ هجرية، وكان عمره آنذاك ١١ سنة و٥ اشهر و٦ ايام . قام بواجبه نحو مملكته وامته خير قيام ووجه اهتمامه الزائد للناحية العلمية فازدهرت الحضارة والثقافة واضحت مصر منهلاً لطلاب العلم والمعرفة .

كان الامام الحاكم خليفة عظيماً اشتهر بالسخاء والبذل ، انشأ ديوان (المنفرد) خاصة لاضافة الاموال المصادرة من الاغنياء والخارجين على القانون الى اموال الرعية ، واصدر في رجب سنة ٤٠٣ هجرية نظاماً خاصاً للبر والعطايا توزع بموجبها الاموال على الفقراء والمعوزين والمحتاجين^(٣)

(١) قيل ليلة الجمعة ٢٤ ربيع الاول والاصح ليلة الخميس .

(٢) وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٨٥ .

(٣) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٨٠ - خطط المقرئ ج ٣ ص ٢٣ .

وقد كثرت الانعامات في عهده على جميع المستحقين فتوقف امين الامناء حسين بن طاهر الوزان في إمضائها فكتب اليه الامام الحاكم بخطه بعد البسملة :

الحمد لله كما هو اهله

أصبحت لا أرجو ولا أتقي إلا إلهي وله الفضل

جدي النبي وإمامي أبي وديني الاخلاص والعدل

المال مال الله عز وجل ، والخلق عباد الله ، ونحن امناء في الارض ،

أطلق ارزاق الناس ولا تقطعها والسلام^(١)

وامر بإنشاء دار الحكمة لتكون جامعة علمية ففتحت ابوابها في ١٠ جمادى الآخرة سنة ٣٩٥ هجرية وأوعز بنقل بعض الكتب الثمينة من مكتبة القصر الى دار الحكمة ، وأمرها الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين ثقافتهم ، فمنهم من كان يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر للنسخ ومنهم من يحضر للتعلم ، وجعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الخبر والاقلام والورق^(٢) ، وخصص قسماً منها لاجتماع الدعاة والفقهاء لتنظيم الدعوة الاسماعيلية وللقاء مجالس الحكمة التأويلية فدخل كثير من الناس في المذهب الاسماعيلي ، وازدهت دار الحكمة بالمستجيبين وقيل بأن بعض الناس كانوا يموتون من كثرة الازدحام ، وخصص يومان في الاسبوع لحضور تلك المجالس ، ولقد كانت دار الحكمة من اعظم وافخم المؤسسات العلمية وارقاها في ذلك العصر ، انفقت عليها الاموال الطائلة وفرشت بأحسن الاثاث وزينت بأجمل النقوش وكان الامام يشرف بنفسه على اقامة المناظرات بين العلماء والفقهاء ويهبهم العطايا والمنح^(٣)

(١) تاريخ الانطاكي ص ٢٠٦ - ٢٠٧ خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٣٢ - ٣٣٤

(٢) خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٣٤ .

ولقد أجرى الامام الحاكم كثيراً من الاصلاحات والارشادات الاجتماعية كان لها الاثر الكبير في خلق مجتمع قوي صالح مؤمن بالقيم الروحية والانسانية وحرم بيع الخمر وشربها ، كما منع النساء من التبرج والخروج لزيارة القبور ودخول الحمامات العامة ، ومضى صورهن من الحمامات (١) ومنع الرجال من التسكع في الشوارع والوقوف أمام الحوانيت ، وحرم تناول بعض الاطعمة ك (الملوخية) وأمر بأن لا يقبل أحد الأرض ولا يقبل أحد ركابه ويده عند السلام عليه في الموكب ومنع الالقاب وأكثر من الخروج لوحده ليلاً والجلوس مع المؤمنين الموحدين المخلصين . وفي يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الأول سنة ٣٩٣ هجرية بدأ في إكمال جامع الأزهر وبنى جامع راشدة وشيد عدة مساجد في مدينة القاهرة وحمل إليها من المصاحف والآلات الفضية والستور والحصر السامانية ما له قيمة طائلة .

وفي سنة ٤٠٣ هجرية أمر بإحصاء المساجد التي لا غلة لها فكانت ٨٣٠ مسجداً ، فرصدت لها النفقة اللازمة . وفي سنة ٤٠٥ هجرية وقف الضياع والاموال على العلماء والفقهاء والمستشفيات ووزع أمواله الخاصة على المساجد والفقراء ودور العلم . هذا من ناحية التنظيمات الداخلية أما من الناحية الخارجية فقد عين الولاة الموثوق بهم على الاقاليم والجزر ، ونظم الدعوة تنظيماً دقيقاً فوزع الدعاة الاكفاء على الجزر والأقاليم والبلدان فانتشرت الاسماعيلية بواسطتهم وعظم أمرها ونبغ دعاة علماء كان لهم شأن عظيم في نهضة مصر العلمية . ومع هذا لم يخل عهده من الثورات والحروب وكان يرسل الجيوش

(١) وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٨٧ .

لقمعها بالشدة والحزم ولقد ارسل جيشاً لقتال الروم في غزة وعسقلان بقيادة خادمه (يمن) فقتل من الروم خمسة آلاف ودخل جيشه مدينة (مرعش) .

كما قضت جيوش الامام على ثورة ابي ركوة الأموي وعسكره بعد ان قتل منهم ستة آلاف وأسر مائة وقبض على ابي ركوة فأعدم .
وأرسل جيشاً آخر نحو سنة ٤٠٠ هجرية بقيادة (علي بن صالح) الى بغداد فاجتاحها واستولى على بلاد فارس .

وفي سنة ٤٠٨ هجرية استدعى الامام الحاكم كبير دعائه واحد المقربين اليه الموثوق بهم سيدنا الحمزة بن علي الفارسي الملقب بـ (الدرزي) وأمره أن يذهب الى بلاد الشام ليتسلم رئاسة الدعوة الاسماعيلية فيها ويجعل مقره (وادي التيم) لأن الأخبار التي وردت الى بيت الدعوة تفيد بأن اسماعيلية وادي التيم تسيطر عليهم التفرقة والاختلافات الداخلية حول تولي رئاسة الدعوة هناك . ولقبه الامام (بسند الهادي) .

تمكن سيدنا (الدرزي) في وقت قليل من السيطرة على الموقف في وادي التيم وإعادة الهدوء والسكينة في البلاد ، وعمل جاهداً لتوسيع وانتشار الدعوة الاسماعيلية في تلك البلاد .

لبث سيدنا (الدرزي) رئيساً للدعوة الاسماعيلية وكبيراً لدعاتها في بلاد الشام حتى أعلنت وفاة الإمام الحاكم وولاية ابنه الظاهر .

لم يعترف (الدرزي) بوفاة الإمام الحاكم مدعياً بأن وفاته لم تكن سوى نوع من الغيبة لتخليص أنفس مريدي الإمام من الادران وبقي متمسكاً بامامة الحاكم ومنتظراً عودته من تلك الغيبة وبذلك أعلن انفصاله عن الاسماعيلية التي لا تعتقد بالغيبة وتقول بفناء الجسم وبقاء سر الإمامة بالروح فيمتقل بموجب النص الى امام آخر وهو المنصوص عليه من قبل الامام المتوفى ،

وسميت الفرقة التي تبعت سيدنا (الدرزي) بالدرزية نسبة اليه .
وهكذا يتبين للقارىء الكريم بان الدرزية والاسماعيلية عقيدتان من
اصل واحد ، شاعت الارادة السماوية تفريقهما ومع هذا لا تزال القلوب تمح
الى اللقاء بكل اتحاد على أساس الحب والاخلاص لما فيه الخير والفلاح
للجميع ، فمسي ان تتحقق هذه الأمنية .

اعتاد الامام الحاكم كما اسلفنا سابقاً ان يخرج وحيداً لتفقد شؤون
مملكته في الليل وللنزهة خارج مدينة القاهرة وفي ليلة الاثنين ٢٧ شوال
سنة ٤١١ هجرية خرج الامام كمادته ولم يعد فاعلنت غيبته ووفاته في
ذلك التاريخ .

وهناك اختلافات كبيرة وارااء متضاربة حول وفاة وغيبة الامام
الحاكم لم يتفق المؤرخون عليها حتى الآن ، كل ما قيل بهذا الشأن
لا يتعدى التخمين والافتراض الغير مدعوم ببراهين تاريخية دامغة . قال
البعض من اولئك المؤرخين بان شقيقته قد دبرت مؤامرة سرية للقضاء
عليه فلما خرج للنزهة فتك به بعض المجهولين واخذوا جسده الطاهر عن
الانظار . وقيل ايضاً ان بعض اللصوص قد اعترضوه وقتلوه ولما علموا انه
الخليفة اخفوا جثته عن الانظار .

والحقيقة التي لا غبار عليها ان وفاة الامام الحاكم لم تكن سوى وفاة
طبيعية بعد ان سلم شؤون الامامة لولده الظاهر ، وهذه الوفاة حيرت
عقول العلماء والمؤرخين الذين لا يزالون حتى الآن يتحرون عن اسبابها
وهناك اقوال كثيرة لهم في هذا الشأن لا يمكن الاعتماد على صحتها
كقولهم مثلاً بان الامام الحاكم كان حاكماً ظالماً يميل الى سفك الدماء
كما وانه كان مريضاً في عقله .

ونحن مع استغرابنا لهذه الاقوال والالتهامات التي لا أساس لها من

الصحة نقول بأن المتعمق بدراسة تاريخ حياة الامام الحاكم يتضح له بأنه كان على عكس ما قيل فيه تماماً والبرهان على ذلك ما قاله الانطاكي (اظهر الحاكم من العدل ما لم يسمع به ، وكان له جود عظيم وعطايا جزيلة وصلات واسعة^(١) وكان نصيراً للعلوم والآداب ينفق المنح على الاساتذة ودور العلم ويوزع امواله الخاصة على المساجد والفقراء . وقال عبد الله عنان أيضاً متحدثاً عن زهده وتشفه وتواضعه قال : كان الامام الحاكم يحتقر الألقاب كما يحتقر متاع هذه الدنيا ، اشتهر بالزهد والورع ، وادّهرش الناس بتصوفه الفلسفي ، اقتصر طعامه على أبسط ما تقتضيه الحياة من القوت المتواضع .

ونحن ازام تلك الاقوال لا يسعنا الا ان نرد على هؤلاء المؤرخين بقولنا ، ان كل ما احيط بشخصية الامام الحاكم لم يكن الا من قبيل الدس والتحامل والعصبية الرعناء أو بالأحرى الحكم السريع على الامور قبل التشبع من دراستها ، فامام ينحدر من العترة الطاهرة ويتمتع بالعصمة لا يمكن ان يصدر عنه الا الخير العميم لصالح البشرية جمعاء لأنه وجد في الكون لانقاذ الأنفس واثارة ظلمات القلوب وبعث الحياة في النفوس المجذبة الضعيفة وتخليصها من الادران في عالم الكون والفساد .

والخلاصة لقد كان حياة الامام الحاكم سلسلة من الاعمال الخيرية والاصلاحات الاجتماعية المتعددة منذ اللحظة التي بدأ بها مسؤوليته اماماً للاسماعيلية وخليفة للمسلمين في مصر ، وفي عهده تقدمت الثقافة تقدماً

(١) تاريخ الانطاكي وهو كاتب مسيحي منصف ص (٢٠٦ - ٢٠٧) .

عظيماً ونبغ شعراء ودعاة أفذاذ كان لهم الأثر الكبير في انتشار الدعوة
الاسماعيلية وازدهار علومها في القرن الرابع عشر، ونبغ من المؤلفين الاسماعيليين
أمثال أحمد حميد الدين بن عبد الله الكرمانى والقاضي عبد العزيز بن محمد بن النعمان
والفيلسوف أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم ، وداعي الدعوة سيدنا أفتكين
الضيف ، والداعي السوري أبو الفوارس ابن يعقوب ، والداعي زياد بن محمد
وغيرهم من كبار رجالات المذهب الاسماعيلي ورجال الفلسفة والفقه
واساتذة دار الحكمة .

داعي الدعوة وحجة العراقيين سيدنا أحمد حميد الدين بن عبد الله الكرمانى :

كان سيدنا أحمد حميد الدين الكرمانى داعياً للامام الحاكم وحجة في
العراقيين للامام العزيز أيضاً . اشتهر بتفانيه في خدمة المذهب الاسماعيلي
والدفاع عنه بقلمه وحججه وبيانه ، وقد أظهر للوجود مؤلفات عظيمة
تبحث في الفلسفة والفقه والتأويل فأحدثت انقلاباً فكرياً في جميع
الأوساط واحتلت المكان اللائق في القلوب :

كانت ولادة سيدنا الكرمانى سنة ٣٥٢ هجرية في القاهرة ونشأ وتأدب
في بيت الدعوة الاسماعيلية حيث تلقى أصول المذهب الاسماعيلي على أيدي
كبار رجالات الدعوة في القاهرة ، عرف بنبوغه وذكائه وإخلاصه التام
لإمام زمانه ، فجعله كبيراً لدعائه في العراقيين أي فارس والعراق ولقبه
(بحجة العراقيين) بعد أن استمال والي الموصل المقلد بن يوسف فاعتنق
الاسماعيلية وخطب للامام العزيز على منبر الموصل سنة ٣٨٢ هجرية ،
وبعد وفاة الامام العزيز استدعاه الامام الحاكم إلى القاهرة ورفع منزلته
ولقبه بداعي الدعوة وأمره أن يلقي بحال الحكمة التأويلية في كل اسبوع .

لبث في القاهرة حتى عام ٤٠٨ هجرية حيث أعيد بعد ذلك إلى مقره السابق لتنظيم أمور الدعوة في بلاد فارس ، فاعتكف هناك مدة وجيزة للتأليف والوعظ حتى انتقل إلى جوار ربه سنة ٤١١ هجرية قبل وفاة الامام الحاكم بعشرة ايام ودفن في بلاد فارس .

وهكذا يكون قد قضى هذا العالم الكبير تسعة وخمسين عاماً في خدمة الأئمة ، فقدم للاسماعيلية ما يقارب الاربعين مؤلفاً جملها في الفلسفة والتأويل والفقه الاسماعيلي ومن مؤلفاته :

- ١ - كتاب تنبيه الهادي والمستهدي .
- ٢ - كتاب معاصم الهدى .
- ٣ - كتاب المصباح في إثبات الامامة .
- ٤ - كتاب راحة العقل في جزئين .
- ٥ - كتاب الاصابة في تفضيل علي على الصحابة .
- ٦ - الاقوال الذهبية .
- ٧ - فصل الخطاب وابانة الحق المتجلي عن الارتياب .
- ٨ - المحصول .
- ٩ - الوديعة .
- ١٠ - الرسالة الدرية .
- ١١ - رسالة النظم .
- ١٢ - الرسالة الرضية .
- ١٣ - الرسالة المضيئة في الأمر والآمر والمأمور .
- ١٤ - الرسالة اللازمة .
- ١٥ - الرسالة الزاهرة .
- ١٦ - الرسالة الحاوية في الليل والنهار .

- ١٧ - الروضة في الأزل .
 - ١٨ - مباسم البشارات .
 - ١٩ - الرسالة الواعظة .
 - ٢٠ - الكفاية في الرد على الهاروني .
 - ٢١ - خزائن الادلة .
 - ٢٢ - كتاب الرياض .
 - ٢٣ - كتاب المعاد .
 - ٢٤ - كتاب الفهرست .
 - ٢٥ - التوحيد في المعاد .
 - ٢٦ - تاج العقل .
 - ٢٧ - ميدان العقل .
 - ٢٨ - النقد والالزام .
 - ٢٩ - كتاب المقاييس .
 - ٣٠ - المجالس البغدادية .
 - ٣١ - رسالة المقادير والحقائق .
 - ٣٢ - كتاب الكيل للنفس .
 - ٣٣ - رسالة اسبوع دور الستر .
- هذا ما اتصل بي معرفته من كتب سيدنا الكرمانى وكلها تقريباً موجودة في خزائن بيوت الدعوة الاسماعيليه وهناك عدد آخر من مؤلفات الكرمانى تشير اليه بعض المخطوطات الاسماعيليه ضربت صفحاً عن ذكرها تلبية لرغبة بعض الدعاة الذين لا يزالون يحرصون على سرية المؤلفات الاسماعيليه واكتفين بما اوردناه .
- وقبل ان ننتهي من بحثنا التاريخي عن سيدنا الكرمانى لا بد لنا من

الإشارة إلى كتابه المسمى راحة العقل الذي طبع مؤخراً بالقاهرة بعد أن حققه الدكتور كامل حسين ومصطفى حلمي من جامعة فؤاد الأول . بعد أن استعرضنا مقدمة هذا الكتاب ونصوص الكتاب نفسه ومقابلته للمخطوط الذي يوجد في المكتبة الاسماعيلية السورية تبين لنا أن المحققين قد مرا بأبحاث هذا الكتاب القيم مرور الكرام فلم يتفهموا ما فيه من الغار ورموز وأسرار ، ودليلنا على ذلك تفسيرهم للأسوار السبعة والشوارع السبعة وللصور الأخير الذي يحتوي على أربعة عشر شارحاً . وقد كان هذا التفسير مدعاة للهزء والسخرية لأنه لا ينطبق على الحقائق الاسماعيلية ولا يوافق العقائد ، وليس هو من الأبحاث التي تستحق الإعجاب والتقدير ، فهذه الرموز وتلك الإشارات لا يفهمها إلا اسماعيلي صميم تثقف في مدرسة الاسماعيلية وعرف كل العلوم التي لها صلة بالاسماعيلية وخاصة بالإمامة .

وهذه المحاولات الأدبية والتفسيرات الغريبة التي جاء بها تدل دلالة واضحة على أن الدكتور كامل حسين وهو الاختصاصي بالدراسات الاسماعيلية قد انجز تحقيق كتاب راحة العقل بسرعة وكتب مقدمته بدون أن يصل إلى ما نرجوه له من معرفة وتوفيق .

الامام

الظاهر لاعزاز دين الله ابو الحسن علي

ولد الامام الظاهر لاعزاز دين الله أبو حسن علي في يوم الاربعاء ١٠ رمضان سنة ٣٩٥ هجرية بالقاهرة .

كان عمره ستة عشر عاماً عندما أصبح اماماً وخليفة . في عهده تعرضت المملكة المصرية لفحط شديد استمر عدة سنوات ، فتفشيت المجاعة وانتشرت الامراض في جميع البلاد وارتفعت أسعار المواد الغذائية وكثر النهب والسلب^(١) ولكن الامام تيقظ للأمر وعمل على انقاذ البلاد من الخطر المهدق موزعاً الاموال الطائلة والأطعمة والأدوية على أفراد الشعب وضرب بيد من حديد على اللصوص والمارقين العابثين في النظام ، فاستتب الأمن وتحسنت حالة البلاد ونشطت الزراعة وازدهرت التجارة .

وجه عنايته الخاصة لدار العلم الاسماعيلية فنظمها تنظيمًا دقيقاً واختار لها الدعاة والمدرسين ذوي الاخلاق الكريمة والعلوم الغزيرة ،

(١) خطط المقرئ ج ٢ ص ١٧٦ - ابن الاثير ج ٩ ص ١٥٤ .

ووزع المتخرجين من تلك الدار في البلاد وخاصة في بغداد وفارس حينما حصل الاختلاف بين الاتراك أنفسهم فاستجاب لدعوتهم خلق كثير . ألف الامام فرقة خاصة من الشباب الاسماعيلي الأقوياء وجعلهم على أتم الاستعداد لتنفيذ الأوامر في كل لحظة وأمر بتلقيهم العلوم وتدريبهم تدريباً فنياً على جميع الأسلحة وقنون القتال .

وفي سنة ٤١٨ هجرية وقع الامام الظاهر الهدنة مع امبراطور الدولة الرومانية وخطب للامام في عاصمة القسطنطينية .

وفي سنة ٤٢١ هجرية أمر بجمع الدعاة والفقهاء والوزراء والقواد ونص بحضورهم بولاية العهد لابنه المستنصر بالله وهو ابن ثمانية أشهر ، فوزعت العطايا لهذه المناسبة الكريمة ، وأقيمت الافراح في جميع انحاء المملكة .

اقتفى الامام الظاهر أثر آباءه الصالحين فاعتنى بدور العلم وشجع العلماء وخصص لهم الأموال ، وعين الجوائز الكثيرة لمن يحفظ كتاب (دعائم الاسلام) وكتاب (مختصر الوزير) من أفراد الرعية ، فحفظها خلق كثير .

وهكذا كان الامام الظاهر خير خلف لأحسن سلف ، حسن السيرة والسياسة منصفاً للرعية يسعى دائماً لراحة ورفاهية شعبه باذلاً في سبيل ذلك الأموال الطائلة .

توفي في الخامس عشر من شعبان سنة ٤٢٧ هجرية ، ودفن في مقبرة القصر بالقاهرة .

الامام المستنصر بالله معد ابو نجم

ولد الامام المستنصر بالله في يوم الثلاثاء العشرين من جمادي الآخر
وقيل في السادس عشر منه سنة ٤٢٠هـ^(١) في مدينة القاهرة ، وبويع
بالخلافة يوم الأحد في ١٥ شعبان سنة ٤٢٧ هجرية وهو في السابعة
من عمره .

حصلت في عهده مجاعة دامت سبع سنوات ، ففقدت المواد الغذائية
من الاسواق ، وارتفعت الاسعار ، عندئذ اخرج من خزائنه الخاصة الاموال
والثياب ووزعها لاعانة الشعب ، وحاولت بعض البلدان المحكومة الانتفاض
ونقض البيعة وإقامة الدعوة للخليفة العباسي فسير عليهم الجيوش وحصلت
الحروب والثورات فاستقدم أمير الجيوش بدر بن عبد الله الجمالي واسند اليه
منصب الوزارة ولقب بالسيد الأجل كما اسندت اليه رئاسة الدعوة
الاسماعيلية . عمل أمير الجيوش جاهداً لاصلاح احوال البلاد وقضى على
الثورات ، فاستقرت الامور وعم الهدوء والسكينة جميع انحاء البلاد وتحسنت

(١) خطط المقرئ ج ٢ ص ٢٧٩ .

الحالة الزراعية وهبطت أسعار الحاجيات فعاش الشعب بالرخاء والطمانينة .
 عهد الامام المستنصر الى الداعي علي بن محمد الصليحي بتولي رئاسة
 الدعوة الاسماعيلية في بلاد اليمن فسار الى (حصن مسار) بنخيل جرارة
 واخذ يستميل الناس اليه حتى اجتمع من قبائل سنحان وحمدان وحمير
 خلق كثير^(١) فجهزهم لاحتلال عاصمة اليمن (صنعاء) مقر دولة (نجاح)
 فاحتلها وقضى على نفوذ دولة نجاح في اليمن وضم اليه قبيلة زبيد وخطب
 للامام المستنصر في جميع انحاء اليمن وعلت مكانته فيها وبسط سلطانه
 على جميع البلاد واصبحت صنعاء عاصمة له ، يحدثنا القرشي قائلاً : لم يقع
 لأحد فيمن ملك اليمن ما وقع لعلي بن محمد الصليحي ، فانه استولى على
 اليمن سهله وجبله وشماله وغربه وشرقه في المدة اليسيرة وقهر ملوكه
 وأقام الخطبة للامام المستنصر واعيد مجد الاسماعيلية الى اليمن بعد أن
 ضعف اثر وفاة ابن حوشب واختلاف بنيه من بعده^(٢) .

وعندما حدثت الفتنة في مكة سنة ٤٥٥ هجرية عهد الامام الى رئيس
 دعاة في اليمن الصليحي ليذهب على رأس حملة الى مكة ويقضي على الفتنة .
 سار الصليحي الى مكة واستال اهلها وتعاون مع اميرها لنشر الأمن
 والطمانينة فيها ، فطابت قلوب الناس وتدننت اسعار الحاجيات وكسا
 الصليحي البيت الحرام بثياب بيض^(٣) .

كذلك أرسل الامام المستنصر الداعي الحارث ارسلان البساسيري
 ليتولى شؤون الدعوة في بغداد فخرج سنة ٤٤٨ هجرية يدعو الناس
 للانضواء تحت العلم الاسماعيلي والاستقاء من معينه الذي لا ينضب ، فعظم

(١) ابن خلدون ج ٢ ص ٢١٥ .

(٢) بلوغ المرام ص ٢٥ .

(٣) ابو الحسن ج ٥ ص ٧٢ .

أمره وكبر شأنه وأقام الخطبة للإمام المستنصر في مساجد بغداد ففر الخليفة العباسي القائم وغادر البلاد^(١) وأقيمت الدعوة في البصرة وخطب للإمام فيها .

وفي سنة ٤٥٩ هجرية اغتيل رئيس دعاة اليمن الصليحي بينما كان في طريقه الى البيت الحرام ليؤدي فريضة الحج فأسندت رئاسة الدعوة هناك لولده (المكرم أحمد) فتغلب على جميع العقبات والمصاعب التي اعترضته ، وتزوج بداعية صنعاء السيدة الحرة ابنة أحمد بن محمد بن جعفر ابن موسى الصليحي وسلمها زمام الامور في اليمن ، فتفانت هذه الداعية العظيمة في خدمة امامها وعملت على انتشار الدعوة الاسماعيلية في جيم البلاد المجاورة .

ومكثا فان الدعوة الاسماعيلية في عهد الامام المستنصر كانت منظمة يدير شئونها دعاة أكفاء علماء كان لهم اكبر الأثر في القضاء على الثورات الداخلية واستئصال الفتن من الجذور ، فعظم أمرهم وانتشرت عقيدتهم في أغلب البلاد ، فاتسعت رقعة المملكة واستقرت أمورها الداخلية والخارجية .

لبث البساسيري في بغداد حتى هوجت من قبل (طغرل بك) فقتل البساسيري وأعيد الخليفة العباسي الى بغداد وكان ذلك سنة ٤٥١ هجرية . وفي سنة ٤٧٩ هجرية أم القاهرة الداعي الاسماعيلي الكبير (ناصر خسرو) داعي بلاد خراسان وفارس و (حسن الصباح) داعي جبال الطالقان والري وديار بكر والشام ، ليتدربا في بيت الدعوة وليتلقيا الدروس النهائية على يدي الامام المستنصر ، وبعد ان انتهت مدة

(١) رفيات الاعيان ج ٢ ص ١٥١ - مخطوط المقرئ ج ٢ ص ٢٧٩ .

قدربها عقد الامام اجتماعاً كبيراً ضم أغلب الدعاة ونص على امامة ولده الأكبر نزار من بعده وكان ذلك عام ٤٨٠ هجرية .

توفي الامام المستنصر في ١٨ ذي الحجة سنة ٤٨٧ هجرية في ليلة الخميس بعد ان أقام بالخلافة ستين عاماً توصل خلالها الى ما لم يتوصل اليه أحد قبله من الأئمة الذين تولوا شئون مصر في العهد الفاطمي ، كما بلغت الدعوة الاسماعيلية الذروة وانتشرت في اغلب البلاد العربية على ايدي علماء وفلاسفة كبار نذكر منهم :

سيدنا المؤيد في الدين داعي الدعي الدعاة :

ولد هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي السلياني^(١) في مدينة شيراز سنة ٣٩١ هجرية من أبوين اسماعيليين ، وتلقن اصول المذهب الاسماعيلي على يدي والده داعي دعاة بلاد فارس ، وبعد وفاة أبيه عين داعياً لبلاد فارس وحجة للامام المستنصر فيها .

استطاع ان يدخل الملك أبي كاليبجار في المذهب الاسماعيلي كما أدخل غيره من الوزراء والأمراء وكان يفحهم ويقنعهم بغزارة علمه وشدة معرفته في أصول العقائد الاسماعيلية وخاصة نبوغه في علم التأويل التي تتركز عليه العقائد الفلسفية الاسماعيلية .

عظم أمر المؤيد في تلك البلاد فسارت سيرته في الآفاق ، ولقد استدعي الى بيت الدعوة في مصر نحو عام ٤٣٨ ليلقي بعض المجالس التأويلية وليتدرب التدريب النهائي على يدي الامام ، فوصل القاهرة ودخل القصر معزراً مكرماً . وتدرج في المناصب الكبرى حتى توصل الى رتبة رئيس الدعاة ، ومن القاهرة وجه المؤيد رسائله المشهورة الى الفيلسوف

(١) هو ابو نصر هبة الله بن موسى بن ابي عمران ، صاحب اكبر منصب من مناصب الدعوة الفاطمية . المقاد - ص ١١٦ .

ابي العلاء المعري ينتقده فيها لتحريمه اكل اللحوم وشرب الألبان^(١) ، ومن ثم أوفده الامام المستنصر الى اليمن ليلقي بعض الدروس في مدرسة الدعاة وليشرف على تنظيم بيت الدعوة هناك ، ومن ثم ارسل الى حلب فتمكن من استمالة اهلها واقامة الدعوة الاسماعيلية فيها باسم الامام المستنصر وأعيد الى مقر عمله في بلاد فارس حيث توفي في مدينة شيراز عام ٤٧٠ هجرية .

وبعد ان قاربنا من الانتهاء لا بد لنا من التمرض لبعض ما جاء بكتاب سيرة المؤيد في الدين الذي حققه الدكتور كامل حسين :
جاء فيها أن المؤيد في الدين كان يوجه بعض الانتقادات الى امامه المستنصر ، قائلا بأنه كان العوبة في أيدي والدته ووزرائه .. إلى آخر ما هنالك من أقوال عجيبة غريبة لا تتفق وواقع من توصل الى مركز المؤيد في الدين في مراتب الدعوة ولا يمكن أن تصدر مثل هذه الأمور عن رجل يعتقد بأن الامام يتمتع بالعصمة ولا يمكن ان يخطيء أبداً ، والظاهر ان هذه الأقوال لفقت وأضيفت على (سيرة المؤيد) إما من قبل النساخ أو من قبل أشخاص غايتهم تشويه الحقائق والدليل على ذلك أن النسخ المخطوطة الموجودة لدينا لا يوجد فيها أي نص أو انتقاد من هذا النوع ومن المستحيل أن تصدر عن حجة الإمام أو داعي دعائه هكذا انتقادات بعد أن اشتهر عن المؤيد صلاحه وتقواه وطاعته لإمامه ، ومن الرجوع إلى ديوانه الشعري وأقوله بالإمام تتضح الحقيقة التي كان يجب على الدكتور كامل حسين وهو الاختصاصي بالابحاث الفاطمية ان يراعيها مراعاة دقيقة حتى لا تمر عليه أقوال من شأنها تشويه

(١) وقد استعار من اسمه « موسى بن ابي عمران » تفسيراً لوقوفه من رعين الحبسين المعري موقف المقتبس من نار الطور .

التاريخ والحقائق ؛ نعود فنقول بان المؤيد في الدين كان غزير العلم ، تحف المكتبة الاسماعيلية بمجموعة من المؤلفات الثمينة نذكر منها :

- ١ - المجالس المؤيدية .
- ٢ - ديوان المؤيد في الدين .
- ٣ - شرح المعاد .
- ٤ - الايضاح والتبصير في فضل يوم الغدير .
- ٥ - سيرة المؤيد في الدين .
- ٦ - الابتداء والانتهاء .
- ٧ - جمع الحقائق في تحريم اللحم والالبان .
- ٨ - تأويل الأرواح .
- ٩ - نهج العبادة .
- ١٠ - المسائل والجواب .
- ١١ - الرسالة الدرية .

الإمام

المصطفى بالله نزار

ولد الامام المصطفى بالله نزار ابن الامام المستنصر في ١٠ ربيع الأول سنة ٤٣٧ هجرية في مدينة القاهرة وأصبح ولياً لعهد الإمامة سنة ٤٨٠ هجرية بموجب النص عليه من والده أمام نخبة من رجالات الدعوة الاسماعيلية وأعلنت ولايته للعهد على الجمهور ، عندما انتقل الإمام المستنصر في ١٢ ذي الحجة سنة ٤٨٧ هجرية ثم أقصي الإمام نزار عن الخلافة نتيجة لمؤامرة دنيئة حاكها الوزير الافضل بدر الجمالي الذي كان يخشى ان يتسلم نزار شؤون الخلافة فيبعده عن الوزارة نظراً لما كانت يتمتع به من سمعة سيئة ونفوذ عظيم في البلاد ، وتعددت أقوال المؤرخين في أسباب الخلاف بين نزار والافضل .

ولقد أتى المؤرخ ابن الأثير على ذكر اسباب هذا الخلاف فقال :
كان الإمام المستنصر قد عهد لولده نزار بالإمامة والخلافة سنة ٤٨٠ هجرية بمدة طويلة ، إلا أن الافضل رئيس الوزراء سعى لخلعه وبايع أخيه الأصغر احمد المستعلي ، وسبب نقمة الافضل انه ركب مرة أثناء

خلافة المستنصر ودخل القصر راكباً من باب الذهب بينما كان نزار خارجاً من نفس الدهليز فصاح به (إنزل يا أرمي يا كلب عن الفرس إذا ما كنت داخلاً إلى القصر ، ما أقل أدبك) فحقدها عليه وخشي إذا ما أضحى خليفة أن يقضي عليه ويبعده عن الوزارة فسمى لخلعه خوفاً منه وباع أخاه المستعلي (١) .

غادر الإمام نزار القاهرة بصحبة نخبة من رجال دعوته الذين فضلوا المسير معه على العيش تحت كنف المغتصبين وهذا ما سبب انقساماً داخلياً في الاسماعيلية فانقسمت الى فريقين ، الاولى ظلت على اخلاصها للإمام نزار وسميت بالاسماعيلية النزارية أو (الاغاخانية) كما يسمونها الآن ، ومي موضوع بحثنا في هذا الكتاب ، أما الفرقة الثانية فصارت من أتباع الخليفة أحمد المستعلي ، فسميت بالمستعلية المعروفة الآن بطائفة (البهرة) في الهند أو الطيبية في اليمن .

أقول غادر الإمام نزار القاهرة إلى الاسكندرية بدعوة من حاكمها المخلص ناصر الدولة أفتكين والقاضي جلال الدين بن عمار فبايعه جميع أهلها كما أثنه البيعة وكتب الولاء من سائر بلاد فارس وسوريا وجبال الطالقان وغيرها من البلدان الأخرى والقلاع الاسماعيلية ، وقد خشي الأفضل ان تزداد قوة الامام نزار في الاسكندرية فيصبح خطراً على مركز الخلافة في القاهرة ، فسار اليه على رأس جيش لجب وحاصر الاسكندرية إلا أنه غادرها مدحوراً مقهوراً ليعود ثانية على رأس جيش أوفر عدداً من ذي قبل ففتح الاسكندرية وألقى القبض على حاكمها أفتكين وعلى القاضي جلال الدين وعدداً من رجالات الدعوة النزارية وقيل أنه قبض

(١) ويقال ان المستنصر كان حفيداً للوزير بدر الجمالي .

على الإمام نزار فسلمه للمستعلي الذي أمر أن يبني عليه حائطاً فمات ،
وقيل في رواية ان الأمير نزار قتل في القاهرة سنة ٤٨٨ هجرية .
غير أن أغلب المصادر التاريخية لا تؤيد هذا القول وخاصة المصادر
الاسماعيلية النزارية التي هي بين أيدينا إذ يقول أكثرها بأن الإمام نزار
قد تمكن من مغادرة الاسكندرية سرّاً أثناء الحصار واتجه إلى بلاد
فارس حيث إستقر به المقام في جبال الطالقان واسس الدولة النزارية هناك .
أما سبب هذه الاخبار والباعث اليها فهو ان المستغلين عمدوا لذلك
بقصد الطعن في نسب الائمة الذين ينحدرون من نزار وهم اصحاب الحق
الشرعي بموجب النص .

ولقد عثرنا مؤخراً على مخطوط اسماعيلي في بيت أحد المشايخ الاسماعيليين
في القدموس يسمى كتاب الاخبار والآثار للداعي المغربي الشيخ محمد ابي
المكارم ، الذي ذكر فيه قصة فرار الامام نزار من الاسكندرية فقال :
عندما اشتد الحصار على الاسكندرية من قبل الجاحد المارق الذنديق
الارمني الافضل غادرها مولانا الامام نزار عليه السلام مع أهل بيته
متخفياً بزي التجار نحو سجلماسة حيث مكث عند عمته هناك بضعة
اشهر حتى عادت اليه الرسل التي اوفدها لإبلاغ الحسن بن الصباح عن
محل اقامته فسار الى جبال الطالقان مع أهل بيته ومن بقي معه من
دعائه وخدمه حيث استقر بقلعة الموت بين رجال دعوته المخلصين وعمل
مع الحسن بن الصباح على تأسيس الدولة النزارية وبعد ان تم له ذلك
اصابه مرض شديد استدعى على اثره دعائه ونص على امامة ابنه (علي)
وذلك سنة ٤٩٠ هجرية ، وتوفي في اليوم الثاني ودفن في قلعة الموت .

الداعي الفيلسوف الحكيم سيدنا ناصر خسرو :

ولد الشاعر الحكيم والفيلسوف الاسماعيلي الكبير الرحالة العظيم سيدنا ابو معين ناصر بن خسرو القبادياني المارديني سنة ٣٩٤ هجرية في بلدة (بلخ) .

تأدب وتعلم على ايدي الفلاسفة والدعاة الاسماعيليين ، فأظهر نبوغاً عجبياً وشاعرية فذة ، وتفوق في علوم الرياضيات ، واختير ليكون وزيراً للمالية في عهد الملك السلجوقي ، ولكنه مع الوظيفة فاستقال من منصبه وقام برحلة طويلة وصفها في كتابه (سفرنامه) ووصل الى القاهرة اثناء خلافة الامام المستنصر ، فرحب به وادخله بيت الدعوة ليتلقى اخر تدريب فيه على اصول العقائد الاسماعيلية ، ومن ثم عين داعياً لبلاد بدخشان وخراسان حيث انتشرت الاسماعيلية على يديه انتشاراً منقطع النظير ، ولما شعر بنشاطه الخليفة العباسي لاحقه فتواري عن الانظار وقاسى المضاعب والاهوال وهو ينشر دعوته بكل امانة واخلاص ، ولكنه اضطر لمغادرة البلاد والالتجاء الى قلعة جبل (ليمغان) وبقي فيها يعيش عيشة التقشف والزهد مرتدياً الخشن من اللباس ويقتات بالاعشاب حتى انتقل الى جوار ربه سنة ٤٨١ هجرية .

شيخ الجبل الاول سيدنا عبد الملك بن عطاش :

ولد شيخ الجبل الاول سيدنا الحكيم أحمد بن عبد الملك بن عطاش في بلاد فارس سنة ٤٣٧ هجرية من ابوين اسماعيليين ، كان والده عبد الملك حكيماً متمكناً في علوم الفلسفة الروحية الاسماعيلية والفقه الاسماعيلي

فنشأ ابنه مقتفياً أثر أبيه فأصبح في مدة وجيزة من أكبر علماء إيران وأعظم دعاة المذهب الاسماعيلي فيها عرج ، على بيت الدعوة الاسماعيلية في القاهرة سنة ٤٧٠ هجرية لينهي دراسته المذهبية على يدي الامام ، ثم عين كبيراً لدعاة بلاد فارس والري وما وراء النهر .

وصل الى الري عام ٤٨٤ هجرية متفقداً شؤون الدعوة فيها فبث دعائه وتلاميذه في جميع أنحاء البلاد لينشروا الدعوة الاسماعيلية بين الناس ، ومن أعظم دعاة ، ابو نظم ، والحسن الصباح ، وأبو مؤمن وغيرهما من الدعاة الافذاذ الذين نشروا الدعوة في اذربيجان ودمشق وصيدا وعكا والطائف وغيرهما من البلاد الاخرى .

وقد بذل جموداً جبارة في سبيل تأليف جيش اسماعيلي تمكن بواسطته من الاستيلاء على عدد من الحصون المنيعة بالقرب من اصفهان ، كقلعة (خالنجان) و (شيركو) و (خورخوس) وغيرهما من الحصون المنيعة ، التي أصبحت فيما بعد أكبر عوناً له في تحقيق أمانيه ، فاستقرت أحواله واستتب الأمن في مناطق نفوذه وأعظم أمره ، وشيد مدرسة لتدشئة الدعاة القديرين والتلامذة المخلصين لعقيدتهم فوزعهم على مختلف المناطق فتمكنوا من استمالة ٣٠٠٠٠ من أهالي تلك البلاد .

شعر السلطان محمد السلجوقي بأن الاسماعيلية تنتشر بسرعة وأصبح يخطر على ذهنه يهدد دولته ويحيط ببلاده من جميع الجهات ، فخاف منهم وأمر بتعبئة الجيوش لقتالهم وخرج بنفسه على رأس تلك الجيوش سنة ٤٩٤ هجرية فتمكن من اجتياح بعض المراكز الاسماعيلية بعد ان دافعوا عنها دفاع الأبطال واستشهد منهم عدد كبير .

وسرعان ما وصلت النجدة الاسماعيلية من بقية القلاع فتمكنوا من

دحر الجيوش المعتدية ، ولكن السلطان عاد لقتال الاسماعيليين ثانية بعد ان جمع قلول جيشه المهزوم وزوده بالعتاد والمؤن والاسلحة الكثيرة في شعبان سنة ٤٩٥ هجرية فاحاطت جيوشه بقلعة (شاه دزه) مقر قيادة الفدائية الاسماعيلية ومركز شيخ الجبل ، ويحدثنا ابن الاثير عن ذلك الحصار بقوله (١) : خرج السلطان محمد السلجوقي على رأس عساكر جرارة لقتال الاسماعيلية فحاصروهم في شعبان سنة ٤٩٥ هجرية وتجمع لحريهم جموع كثيرة فما احاطوا بجبل قلعة (شاه دزه) ورتب الامراء لقتالهم فكان يقاتلهم كل يوم امير فضاى الامر بهم واشتد الحصار عليهم فاستبسوا في معاقلهم ونفذت الاطعمة منهم ففتحت قلعتهم بعد حصار طويل وأخذ شيخ الجبل اسيراً فترك اسبوعاً في السجن ، ثم أمر به فشنر في جميع البلاد وسلخ جلده فتجلد حتى مات ، وقتل ولده كما أن زوجته فضلت ان تقذف بنفسها من اعلى القلعة على ان تؤخذ اسيرة من قبل الاعداء وهكذا انتهت حياة هذا البطل الشهيد حيث لفظ انفاسه الاخيرة رافع الرأس موفور الكرامة .

وكان قتله بعد الاسر ، مخالفاً للعادات والتقاليد التي تقضي باكرام واحترام الاسير ، الا انه لا يستغرب أن يقوم بمثل هذا التمثيل قوم عرفوا بالسلب والنهب بالاضافة الى انهم مغتصبون لا يمكنهم تثبيت دعائم دولتهم الا بهذا النوع من التمثيل الشنيع سيما اذا كان الشار من أهل البلاد الاصليين او كان من السلالة الطاهرة النبوية الشريفة .

الامام

علي الهادي بن الامام نزار

ولد الامام علي الهادي بن الامام نزار سنة ٤٧٠ هجرية في مدينة القاهرة ، رارتحل مع والده الامام نزار الى قلعة آماوت ، وبعد وفاة ابيه سنة ٤٩٠ هجرية أصبح بموجب النص اماما للاسماعيلية وكان لا يتجاوز العشرين من عمره فعمل على تنشئة الاسماعيلية وتنظيم دعوتها السرية في مختلف البلدان .

وقد انتشر المذهب الاسماعيلي في عهده انتشاراً قوياً على أيدي داعيته وحجته الحسن بن الصباح (شيخ الجبل الثاني) اشتهر الدعاة بمقدرته الفائقة في العلوم وبمعلوماته الفلسفية وحججه القوية .

عمد الامام الى تأليف جيش قوي من الاسماعيلية قسمه الى فرقتين ، الفرقة الاولى اسمها (الفدائية) وهي المكلفة ببذل التضحيات السريعة المستعجلة وتنفيذ الاوامر السرية الهامة ، واقد تدرب أفراد تلك الفرقة اعظم تدريب على استعمال كافة انواع الاسلحة وعلى الفروسية ، كما لقنوا مختلف العلوم الفلسفية واتقنوا أغلب لغات اهالي تلك البلاد ، اما السرقه

الثانية فقد سميت بـ (الرفقاء) وهم المكلفون بنشر الدعوة الاسماعيلية بأسلوبهم الخاص في مختلف الاقطار والاقاليم ، وهم المدافعون عن مذهبهم بالعلم والفلسفة ، وعلى الغالب كانوا يتولون الوظائف الادارية في البلاد التي يوفدون اليها لنشر الدعوة .

وبواسطة هذا الجيش المنظم القوي توصلت الاسماعيلية الى درجة عظيمة من الرقي والتمدن ، فألت اليها القلاع والحصون وقويت شوكة الاسماعيلية فهاها الملوك وخافها الامراء والسلاطين .

ولقد اجتاحت الدعوة الاسماعيلية خراسان وما وراء النهر فملكوا كثير من القلاع كقلعة (قهستان) و (جور) و (خوسف) و (زوزن) و (قان) و (تون) والاطراف المجاورة لها وقلعة (خالنجان) بقرب اصفهان وقلعة (ستاوند) و (كردكوه) و (الناظر) بخوزستان وقلعة (الطنبور) و (خلادخان) وغيرها من القلاع والحصون المنيعة ، وفي سنة ٥٢٠ هجرية عظم أمر الاسماعيلية في بلاد الشام وقويت شوكتهم وازداد نفوذهم فملكوا بانياس في ذي القعدة وانتشرت دعوتهم في حلب ودمشق والقدموس ومصيف والحوابي وغيرها من البلاد السورية (١) .

كذلك تعرض الاسماعيلية لغارات عنيفة وحصار مستمر من قبل السلطين السلجوقيين الذين حاولوا القضاء عليهم خشية ان يصبحوا خطراً يهدد كيان دولتهم بعد ان عظم أمرهم وانتشرت فدائيتهم في مختلف البلدان .

الا ان الاسماعيليين قد استبسلوا في معاقلمهم ودحروا الحملات التي كانت تهاجمهم ، وفي سنة ٥٢٢ هجرية أمر الوزير المخلص ابو النصر أحمد

(١) ابن الاثير ج ١٠ ص « ١٠٨ - ١١١ - ١١٢ » .

بن الفضل وزير السلطان سنجر بنزوا قلاع الاسماعيليه ومدنهم في خراسان وقتلهم اينما كانوا فظفر بهم بعد ان دافعوا عن معاقلمهم دفاع الابطال ، ونهب اموالهم وسبى حريمهم وجهاز الجيوش لقتالهم في (طريثيت) و (بهيق) من اعمال نيسابور فاحتلت جيوشه الجمرارة قرية (طريثيت) وقتلوا كل من عثروا عليه في طريقهم من الاسماعيليه وقبضوا على النساء والاطفال ، فامر قائد الحملة أن يحفر خندقاً خارج البلدة وتضرم النار فيه ، فجعل يأتي بالاطفال والنساء الاسماعيليه الى النار افواجا ويلقيهم فيها حتى قتل منهم خلق كثير ^(١) ولم يسلم من تلك المجزرة البشرية الا الداعي الاسماعيلي لتلك القرية (الحسن بن سميك) الذي رفض الاستسلام وصعد (منارة القرية) ثم رمى نفسه عنها فمات وذهبت روحه الطاهرة الى خالقها تشكو ظلم الانسان وعنته .

وفي سنة ٥٢٣ هجرية في العاشر من شعبان أمر نظام الملك الوزير السلجوقي أن يقبض على نجار اسماعيلي اسمه (طاهر) فقتل ومثل به وجر برجليه في الاسواق وهو ميت ، فعظمت هذه الجريمة الوحشية لدى الاسماعيليين لأن هذا النجار كان أحد أعيان الفدائيين ، فعزت عليه شيخ الجبل الحسن الصباح وأوفد أحد فدائيه وأمره أن يثار لاختيه النجار من نظام الملك فأغمد هذا الفدائي خنجره في صدر نظام الملك وكان ذلك في ١٠ رمضان سنة ٥٢٣ هجرية .

وهكذا يتضح لنا بان الامام علي الهادي قد قضى مدة إمامته متنقلا بين القلاع والحصون الاسماعيليه لغارات كثيرة وحروب كبيرة واضطهادات وحشية ، وكان الاسماعيليون يتعرضون للقتل والتمثيل اينما وجدوا وكيفما

(١) ابن الاثير ج ١٠ ص « ٢٢٤ » .

رحلوا حتى قتل منهم خلق كثير .
وبالرغم من هذا فقد تمكنوا من نشر دعوتهم فقيوت شوكتهم حتى
هابهم الملوك وخافهم الامراء والقواد واهتزت لمظمتهم وتضحيتهم وتقانيهم
في خدمة الامام والبلاد .
وفي سنة ٥٣٠ هجرية توفي الامام علي الهادي بعد ان مكث في
الامامة اربعين عاماً ودفن في قلعة (لامستر) بعد ان نص على امامة
ولده محمد المهدي .

الحسن بن الصباح شيخ الجبل الثاني

ولد الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن صباح الحيري سنة ٤٣٢
هجريه في بلدة (معصوم) من مقاطعة الري وهو ينتسب الى ملوك
اليمن الحيريين .

تثقف وتأدب علي الموفق لدين الله النيسابوري في مدينة نيسابور مع
الشاعر عمر الخيام والوزير نظام الملك ، فتواثقت عرى الصداقة بينهم
وتعاهدوا فيما بينهم على اقتسام السعادة التي يحصلوا عليها في حياتهم العملية .
انتهت مدة دراستهم وذهب كل منهم يطلب عملاً لنفسه ، اما الحسن
ابن الصباح فقد عكف على دراسة العلوم الفلسفية والرياضيات وتعلم
المذهب الاسماعيلي على شيخ الجبل الأول عبد الملك بن عطاش فاظهر
تفوقاً كبيراً ونبوغاً أدهش اساتذته ومؤيديه ، فأوفد الى القاهرة لانهاء
دراسته المذهبية في دار الحكمة سنة ٤٧٩ (١) هجرية ابان خلافة الامام
المستنصر وبقي هناك ثمانية عشر شهراً ومن ثم عين كبيراً لدعاة الشام

(١) وصل الحسن الى مصر سنة ٤٧١

وديار بكر والجزيرة والروم ، وقبل ان يغادر القاهرة قابل الامام المستنصر وسأله (من إمامي بعدك يا مولاي) فقال له (ولدي الأكبر نزار) وعاد الى خراسان فدخل ما وراء النهر وتمكن من الاستيلاء على قلعة (آلموت) الحصينة من أعمال اصفهان فجعلها مقراً له ونظم شؤون الاسماعيلية تنظيمًا دقيقاً ، وأوفد الدعوة إلى جميع البلدان والأقاليم ، ووجه اعتناؤه الزائد لتنشئة الفرقة الفدائية التي كان يرأسها فتمكن بواسطتها من الاستيلاء على عدد من المناطق المجاورة لمقره وعلى الحصون والقلاع ، وبعد استشهاد شيخ الجبل الأول عبد الملك بن عطاش عين مكانه فأصبح يلقب (بشيخ الجبل الثاني) وعندما حصل الخلاف في مصر على تولي الخلافة الفاطمية كما ذكرنا سابقاً أوفد بعض لتبليغ الإمام نزار انه يرحب بأن ينقل مقره الى قلاعه ، فحضر الإمام نزار الى آلموت وأضحت رئاسة الدعوة الاسماعيلية فيها فعظم نفوذهم وخففت أوزارهم في البلاد .

وفي سنة ٥٠٠ هجرية فكر فخر الملك بن نظام الملك وزير السلطان سنجر أن يثار لأبيه وهاجم قلاع الاسماعيلية ، فأوفد اليه الحسن بن الصباح أحد فدائيته فقتله بطعنة خنجر ، ولقد كانت قلاعه في حصار مستمر من قبل السلجوقيين .

وفي سنة ٥٠١ هـ حوصرت قلعة (آلموت) من قبل السلطان السلجوقي واشتد الحصار عليها فأرسل السلطان رسولا إلى الحسن بن الصباح يطلب منه الاستسلام ويدعوه لطاعته ، فنادى الحسن أحد فدائيته وقال له ألق بنفسك عن هذا البرج ففعل وقال للثاني أطق نفسك بهذا الخنجر ففعل ، فقال للرسول اذهب وقل لمولاي انه لدي سبعون ألفاً من رجالي الأمناء المخلصين أمثال هؤلاء الذين يبذلون دماءهم في سبيل عقيدتهم المثلى .

والخلاصة كان الحسن بن الصباح رجلاً شهماً تقياً ورعاً ، ويحكى انه أمر باعدام أحد أبنائه عندما علم بأنه لا يسير على الطريق القويم ويشرب الخمر سراً (١) ، أو على الجملة كان موفقاً في جميع الحروب التي خاضها ، مما جعلهم يوجسون خيفة منه فهابوه واحترموه وليس بغريب ان يخلد ذكره التاريخ وهو أعظم شخصية سياسية علمية في القرن الرابع الهجري ، ولقد أفاد الدعوة الاسماعيليه بما قدمه من خدمات جل أن يحصى عددها طوال خمسة وثلاثين عاماً قضاها في خدمة ثلاثة من الأئمة الاسماعيليين المستنصر ونزار وعلي الهادي وتوفي هذا البطل الكبير والعلامة العظيم سنة ٥٢٨ هجرية ودفن في قلعة (آلموت) وصلى عليه الإمام علي الهادي . وقبل أن ننهي حديثنا عن الصباح لا بد لنا من التعرض لأقوال المؤرخين فيه وبفرقة الفدائية الاسماعيليه التي كان يرأسها .

قالوا أن الحسن بن الصباح زنديق مارق يرأس فرقة من الحشاشين من القتل والصوص المجرمين قاطعي الطرق ، يستخدمهم لتنفيذ مآربه الشخصية وغاياته السياسية ، وكان عندما يريد استخدامهم يقدم لهم الخشيس والنساء ، وبعد أن يشربوا الخشيش ويأتوا الفحشاء يشعرون بالقوة والشجاعة فيؤدون مهمتهم على أكمل وجه دون خوف أو وجل ... الخ ... (٢) .

والذي نريد ان نقوله الآن هو ان الحقيقة قد خفيت على اولئك المؤرخين وليس تأثير الفدائيه وإنصياعهم التام وطاعتهم العمياء لأوامر

(١) كان الحسن في سبيل نجاح سياسته لم يعف عن اغتيال الوزراء والعلماء من اتباع المذهب السني وفي سبيل هذه المبادئ قتل أحد أبنائه لاتهامه بشرب الخمر والزنا ، وطرد من قلعة آلموت رجلاً من انصاره لأنه كان يتسلل بزمارة ، كذلك أقدم على قتل ابنه الثاني بتهمة الاشتراك في قتل أحد دعاة المقربين اليه .

(٢) امثال جرجي زيدان ، وعمر ابو النصر ، وغيرهما من القدماء والمحدثين .

رؤسائهم آت الا تبادل الثقة بين الرئيس والمرؤوس والايمن القوي بعقيدتهم المثلى وإمامهم المعصوم الذي يبذلون أرواحهم رخيصة في سبيله ، وان الاسماعيلية قد نالها من التحامل والدس والتجني الذي ما زال أثره باقياً حتى الآن في كتب التاريخ ولا أدري كيف يحلل الإمام الاسماعيلي أو شيخ الجبل الاسماعيلي لفدائيته شرب الحشيش وارتكاب الفحشاء والمعاصي ، ويحرم عليهم شرب الدخان من جهة ثانية وما ان التاريخ يثبت لنا بأن شيخ الجبل الحسن بن الصباح قد أقدم على جلد ولده الوحيد حتى مات امام ناظرية نظراً لأنه شرب الخمر ، فهل يعقل بعد هذا ان يحلل الفسق والحشيش لاتباعه ؟

فالحقيقة التي رجحها المستشرق الروسي الكبير (ايثانوف) وغيره من العلماء الذين اهتموا بالابحاث الاسماعيلية هي ان كلمة (حشاشون) التي اطلقت على فرقة الفدائية محرقة عمداً واصلها على اربعة اوجه .

١ - (assassant) (أساسان) معناه القتلة وهذه لفظة كان يطلقها الفرنسيون الصليبيون على الفدائية الاسماعيلية الذين كانوا يفتكون بملوكهم وقادة جيوشهم فخافوهم ولقبوهم بـ (الأساسان) .

٢ - (Asoassins) نسبة الى رئيس الفدائية (الحسن بن الصباح) اي (حسان) .

٣ - حسانون - ذوي حس وشعور .

٤ - عسانون - يقضون الليالي في قلاعهم وحصونهم .

وهكذا يتبين لنا بأن الأعداء قد عمدوا الى تحريف هذه الكلمات بقصد النيل من سمعة الحسن بن الصباح وفدائيته ، وليس هذا بجديد على اولئك المؤرخين الذين باعوا أقلامهم ووجدانهم في أسواق مادية محضة لارضاء رغبات ذوي الأغراض والحاجات ، ونحن نترك الحكم للتاريخ والمؤرخين المنصفين .

الإمام

محمد المهتدي بن الإمام علي

ولد الإمام محمد بن علي بن الإمام نزار الملقب بـ (المهتدي) سنة ٥٠٠ هجرية في قلعة (لامستر) وأصبح إماماً للإسماعيلية بعد وفاة أبيه الإمام علي الهادي سنة ٥٣٠ هجرية .

كان أول عمل قام به أن نقل مقره إلى قلعة (آلموت) ووجه إهتمامه لبعث الجيش الإسماعيلي (الفدائية) من جديد وتدريبه تدريباً كاملاً ليستطيع الدفاع عن القلاع والحصون الإسماعيلية وللوقوف في وجه الغزاة .

ولقد وجه عنايته أيضاً لتنظيم الدعاة وتلقينهم أصول العقائد الإسماعيلية وتدريبهم على المباحثة والمناقشة في الفلسفة والفقه الإسلامي والعقائد الإسلامية ، كما أوجد بينهم نظام الشيفرة ليستعملوه في اتصالاتهم الداخلية والخارجية فاستعملوا الأعداد للدلالة على الأحرف الأبجدية ، وتعرضت الإسماعيلية أيضاً لكثير من الهجمات الداخلية والغزوات الخارجية ، ففي سنة ٥٣٢ هجرية خرج لحربهم الخليفة العباسي (الراشد بالله) على رأس

جيوش جرارة وقائلهم حتى استولى على بعض قلاعهم بعد أن دافعوا عنها طويلاً ، ولكنهم اضطروا للاستسلام بالنظر لوفرة جيوش الخليفة ولانقطاع الامدادات والمؤن عنهم ، ونهبت قلاعهم كما سبيت نساؤهم وقتل اطفالهم ومثل فيهم ، حتى لم يبق احد منهم على قيد الحياة .

عاد الخليفة العباسي الى بغداد بعد ان انتهى من جريمته النكراء وامر ان يلقي القبض على الداعي الاسماعيلي (ابراهيم الاستربادي) واعدمه فوراً ، واستبيحت دماء الاسماعيلية فثار عليهم الناس وقتلوا منهم ستة آلاف اسماعيلي ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى سار اليهم السلطان السلجوقي (كبر يارق) بجيوش كثيرة فاحتل بعض القلاع الواقعة في مملكته بعد قتال شديد استمر عدة اشهر ودمر معالمها واحرق ساكنيها .

ونتيجة لتلك النكبات التي المت بالاسماعيلية تفرق عدد كبير منهم ودخلوا الاراضي السورية فانتشروا في مدنها والتجئوا الى القلاع الاسماعيلية الواقعة في المنطقة الغربية في سوريا كالقدموس ومصيف والمرقب ، والكهف ، والخوابي .

وذهب قسم آخر بزعامة الداعي (بهرام) فدخلوا دمشق ودعوا الناس الى مذهبهم ، وساعدهم (طاهر بن سعد المزدغاني) صاحب دمشق وسلمهم قلعة بانياس من منطقة الحولة فعظم أمرهم فيها وتوسعوا في تلك المنطقة فملكوا عدداً كبيراً من القلاع والحصون .

شعر صاحب دمشق بما توصل اليه الاسماعيلية من مكانة في النفوس فخافهم ودبر مؤامرة للتخلص منهم ، فأولم وليمة في مقره بدمشق دعا اليها كبار الاسماعيلية ، وقبل أن يدخلوا القصر احاطهم بجنده وأقنوم عن بكرة ابيهم ، وامر عسكره أن ينادوا بقتل الاسماعيلية في انحاء المدينة

فقتل منهم عشرة آلاف اسماعيلي ونهبت اموالهم وشردت نساؤهم وأطفالهم .
كذلك هوجمت القلاع الاسماعيلية الاخرى من قبل السلطان السلجوقي
(مسعود) فدافعوا عنها دفاع المستميت حتى تمكنوا من دحر جيوشه
والقضاء عليها .

وهاجم الاسماعيلية خراسان فاحتلوا قسماً كبيراً من أراضيها .
وكذلك تعرضت المدن الاسماعيلية في المغرب لهجمات الافرنج فاستولوا
على مدينة (المهديّة) وقتلوا أميرها الاسماعيلي ونهبوا وقتلوا وسبوا كل
من كان في تلك المدينة .

هكذا في عهد الامام محمد المهدي تعرضت الاسماعيلية في جميع البلدان
التي يقطنونها إلى غزوات واضطهادات كثيرة من الملوك والامراء . هذا
بما جعلهم يتخلون عن بعض الحصون المنيعه والقلاع الحصينة عدا عما
فقدوه من الأرواح والممتلكات .

وبالرغم من هذا فقد ثاروا لكرامتهم وقتلوا الخليفة العباسي
(الراشد بالله) وصاحب دمشق ، وقائد جيوش الافرنج في طرطوس ،
وغيرهم من القواد والامراء ، فعظم أمرهم وخافهم الناس وانتشرت
دعوتهم في أغلب المدن السورية ، حلب ، دمشق ، صور ، صيدا ،
طرابلس ، قدسوس ، مصياف ، المرقب ، الكهف ، بانياس ، مرمين ،
ابزاعة ، حماه ، حمص ، الخوابي ، وسادت كلمتهم ونخفت ألويتهم على
رؤوس الروابي والقلاع ، وعاشوا بسلام فترة وجيزة من الوقت .

وفي ٥٥٢ هجرية توفي الامام (المهدي) ودفن في قلعة (آلموت)
بعد أن نص على إمامة ولده حسن .

رسالة الامام محمد المهتدي

الى اتباعه في سوريا^(١)

أيها الاخوان الكرام واهل السلام .

اخلصوا الينا بقلوبكم ، وارحلوا الينا بنفوسكم ، ان عهدنا واصل اليكم ،
وقد أمرنا ان يتلى عليكم فتتلقوه بقلوب صادقة ونفوس طائعة غير آبهة ،
وقد ارسلنا اليكم باباً من ابوابنا وداعي من دعائنا ، وهذا العهد يتلوه
ويوضحه ولا يخفيه .

انني انا المولى محمد بن علي بن نزار ، لعن الله من انكر الحق واخفاه ، وقد
عهدنا الى الداعي زين بن ابي الفرج بن ابي الحسن بن علي ، ان يوضح
الحق حتى ينجلي ، أنا مولاكم محمد بن حسن بن نزار من افاق نوري
على النهار .

اخواننا :

اطيعوا مولاكم وحافظوا على محبة اخوانكم ، فقد اشرقت الأرض
بنور ربها ، وقد بان أوان الحق المبين عند انقضاء دور الاربعين وانتهاء

(١) عثرنا على هذه الرسالة ضمن مخطوط اسماعيلي وهو موجود الان بمكتبتي الخاصة
ص (٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦) تأليف الداعي ابراهيم بن ابي الفوارس
وكان الفراغ من تلك الرسالة سنة ٨٩٠ هجرية في السادس عشر من شوال .

مدة السبعين تنمة هذه الخلائق اجمعين واشراق الارض بنور اليقين ، وسيظهر الحق بكلمته على قلوب العارفين الذين هم على عبادتهم عاكفين ولطاعتنا ملازمين ، وكل ما نريده من مريدنا وخلصنا أن ينفذوا البغضاء ، ويعيشوا باتحاد وتضامن فمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهداً منه ، ومن سمع ما امرناه وقام بتنفيذ ما فرضناه من عهد قد عهدناه ، فوجهنا مصروف اليه ونفوسنا مقبلة عليه ، انا الذي ظهرت بالناسوتية واختفيت باللاهوتية ، انا شمس اليقين وقبلة العارفين ونجاة الطالبين ، فمن عرفني نجاة ، وما قد سمعتم مني بواطن جواهر القدرة الالهية واشرقت عليكم بانوار عزتي الجبروتية ، وامرتمكم بأمر فامتثلوه ، وفرضت عليكم عهداً واجباً فاسمعه ، ولا تكونوا لعهدنا ناكثين ولاوامرنا غير طائعين لأن الرفيق رب على التحقيق ، فمن خلصت نيته لمولاه وصفت سريره لاختوانه بالدين تحدثت روحه بالعالم الروحاني ، وتزهت عما هو فنان ، وصارت في دار الكرامة التي لا تتحول ، لأنكم اخوان صدق وايمان واصحاب نور وبرهان وهذه شرائط عشرة وفرائض عسيرة ، فمن لزمها نجاة ، ومن تخلف عنها ضل وغوى وكانت الجحيم هي المأوى فما بعد الصبح خفى ، ومهما امركم داعينا فامتثلوه ومن واحب فاطيعوه انا مولاكم محمد بن علي بن نزار ، فقد جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً ، وانزلنا عليكم رحمتنا وشمكتكم عين عنايتنا ، واصطفيناكم من بين خليقتنا ، وجعلناكم أبناء دعوتنا ، فطاعتنا عليكم فرض وهي نجاتكم ليوم الفصل والعرض ، ان الله اصطفى للمؤمنين انفسهم واموالهم ، بالرضا والتسليم والصبر وحسن اليقين ، أعاذنا الله واياكم ايها المؤمنون الموحدين المهتدين ممن كان لعهدنا ناسياً وقلبه عن معرفة مولاه قاسياً .

أيها المؤمنون الموحدين العابدين :

اركبوا طريق من كان قبلكم من المریدین الذين كانوا لنا طائعين ،
وبواجب ما فرض عليهم قائمين ، فهم في روح وريحان وجنات النعيم في
مقعد صدق عند ملك مقتدر يرقى له الجنات ويشاهد بعينه الرحمت
ويعرض عليه الخور والولدان ، شرابهم السلسبيل ونديمهم الجليل ، وساقهم
الخليل وعن يمينهم اسماعيل والبشير لهم جبرائيل ، وخادمهم عزرائيل ،
فيا له من مقام محمود وشاهد ومشهود وحاضر موجود وشقي ومسعود
فعند معانيه الحق المبين ، دعينا له خاضعين وما افترضه علينا سامعين ،
والحمد لله رب العالمين .

الامام محمد بن علي بن نزار بن المستنصر
التوقيع بالخاتم الامامي الرسمي

الامام

حسن بن محمد بن علي

ولد الامام حسن بن محمد بن علي بن نزار الملقب بـ (القاهر بقوة الله)
سنة ٥٢٠ هـ جرية في قلعة (الموت) وأصبح بعد وفاة أبيه سنة ٥٥٢ هـ جرية
إماماً بموجب النص ، وكان عمره آنذاك ٢٨ سنة واحتفلت الاسماعيلية
في جميع البلدان لهذه المناسبة احتفالات عظيمة استمرت اسبوعاً ، ووزع
الامام الاموال والصدقات على الفقراء والموزين من أبناء الاسماعيلية
والشعوب الفقيرة المجاورة للقلاع الاسماعيلية .

وعين الداعي الأجل سيدنا (محمد كبا بزرگ آميد) نائباً عنه وكبيراً
لدعائه وكان هذا الداعي موضع ثقة الامام ومقدراً لدى الجميع نظراً
للمكانة العلمية السامية التي كان يحتلها .

عمل الداعي محمد بكل اخلاص وتفاني فنظم الدعوة ووزع الدعاة
الأكفاء على جميع المناطق التي يمكن ان تتسرب اليها الدعوة الاسماعيلية ،
ووجه عناية خاصة للفرقة الفدائية التي كانت تحتل المكان الأول في الجيش
الاسماعيلي . وانشأ مدرسة خاصة لتثقيف (المغاوير) أو الفدائية

وتدريبهم التدريب الكامل على استعمال الاسلحة وتلقينهم أغلب اللغات المستعملة في ذلك الوقت . كما درب البعض منهم على تعاطي الأعمال التجارية والصناعية ليتمكن من توزيعها خفية بصفة (تجار أو صناع) على البلاد المجاورة . ويحكى بأن هذا الداعي كان له ولد اسمه (حسن) قيل انه تأمر على أبيه وارتكب بعض المحرمات ، فحكم عليه بالموت ، فجلد حتى مات أمام أبيه .

وهكذا أصبح سيدنا الإمام (محمد) مثلاً رائعاً للعدل والصدق والوفاء ، فتناقلت أخباره الركبان ، وأقبل الناس عليه زرافات ووحدانا لينهلوا من معينه الذي لا ينضب .

ولم يخل عهد الامام القاهر من الحروب والغزوات وهجمات الاعداء التي استمرت عدة سنين وكان النصر دائماً حليف الاسماعيليه نظراً لما كانوا عليه من قوة وعظمة وتضحية .

وبعد ان دحروا تلك الحملات والجيوش استتب لهم الامر وقرروا ان يتوسعوا قليلاً فاحتلوا قسماً كبيراً من البلاد المجاورة لهم وقضوا على التركات واجلوهم عن بلادهم .

ولقد سببت تلك الحروب الضعف في الاقتصاديات ففكر الامام في تقويتها عن طريق تعاطي التجارة والصناعة فأمر الشعب الاسماعيلي ان يمتن التجارة ويتعاطى الصناعة وجعل من قلاعه اسواقاً تجارية تعج بالآلاف التجار القادمين من مختلف المناطق .

وأمر الدعاة ذوي المقدرة لمعاطة التجارة ظاهراً وزودهم بالاموال الطائلة ، وبذلك توصلوا الى بث مذهبهم سرّاً وهم متخفين بزي التجار في الهند وفارس ، واليمن ، والعراق ، واذربيجان ، وخراسان ،

وتركيا ، وسوريا فازداد نفوذهم واحتلوا المكان اللائق بهم كأمة تؤمن بالقيم الروحية وتعمل جاهدة لما فيه الخير والفلاح لصالح البشرية جمعاء .

شمر الامام (القاهر) بأن الدعوة في العراق قد انتابها بعض الفتور فأرشد ابن عمه وكبير دعاة الموثوق بهم (ابا الحسن سنان ابن سليمان بن محمد) ليذهب الى البصرة مركز الاسماعيلية في العراق وأمره أن يشرف على تنظيم شؤون الدعوة الاسماعيلية هناك ، وزوده بتعاليم وارشادات عظيمة كانت اكبر عون له لاداء مهمته .

وكان هذا الداعي من أذكى الدعاة واعرفهم بأصول الفقه والفلسفة الاسماعيلية واقوام حجة ومنطقاً ، غادر (سنان راشد الدين) قلعة (آلموت) سنة ٥٥٦ هجرية واستقر بالبصرة فتمكن بوقت قليل من اعادة النشاط الاسماعيلي الى جميع البلدان العراقية بشكل أقوى واوسع من ذي قبل وتوفي الامام (القاهر بقوة الله) سنة ٥٥٧ هجرية ودفن في قلعة (آلموت) بعد ان نص على ولده (الحسن علي) .

الامام

الحسن علي بن الامام حسن قاهر

ولد الامام حسن علي بن محمد بن علي بن نزار سنة ٥٣٩ هجرية في قلعة (آلموت) .

تولى الامامة بعد وفاة ابيه سنة ٥٥٧ هجرية واحتفلت الاسماعيلية لمدة عشرة ايام ، ووزع الامام المنح والعطايا للفقراء والبائسين من ابناء الشعب ، وعرف ذلك (بعيد القيامة) نظراً لما تخلّسه من الاحتفالات الكثيرة والافراح العظيمة ، واثت رسائل التهنئة والولاء من جميع القلاع والحصون الاسماعيلية .

كان الامام حسن علي عالماً تقياً ورعاً لا نظير له في العلوم الفلسفية وعلوم ما وراء الطبيعة ووجه اهتمامه لتنظيم الدعوة الاسماعيلية فوزع الدعوة الاكفاء على الاقاليم الخاضعة للنفوذ الاسماعيلي ، وارسل داعي دعاة العراق سيدنا (سنان راشد الدين) سنة ٥٥٨ هجرية لتولي شؤون الدعوة في شمالي سورية بعد ان اصبحت الاسماعيلية على وئلك الانقراض في تلك البلاد نظراً للخلافات الداخلية التي نشأت بين بعض الدعاة

وصل سيدنا (سنان راشد الدين) الى حلب واعاد النظام الى صفوف الاسماعيلية ، وجعل الناس يتوافدون اليه لسماع احاديثه الشيقة وحججه القوية فأدهش العلماء والفقهاء بما أظهر من مقدرة علمية فائقة جعلته يحتل مكانا ساميا في القلوب وارتفعت منزلته وقوي نفوذه ، وتدرج في مراتب الدعوة الاسماعيلية حتى اصبح حجة الامام وبابا من ابوابه ، ونقل مقره الى جبال مصياف حيث عمل على تقوية الدعوة وتوزيعها من هناك على جميع البلدان السورية .

والخلاصة : في عهد الامام (حسن علي) اتسعت رقعة البلاد الاسماعيلية وازداد نفوذهم في جميع المناطق السورية حتى اصبحوا بالفعل سادة للمناطق التي يقطنونها واستقلوا استقلالاً ادارياً ، ومع هذا تعرضوا لهجمات وغزوات كثيرة شنها بعض الامراء الصليبيين ولكن الغزاة كانوا دائماً يعودون بخفي حنين .

وفي السادس من ربيع الاول ٥٦١ هجرية توفي الامام الحسن علي ودفن في (آلموت) .

الإمام

أعلا محمد بن الحسن علي

ولد الإمام أعلا محمد بن حسن قاهر سنة ٥٥٣ هجرية في قلعة (آلموت) تولى الإمامة بعد وفاة أبيه سنة ٥٦١ هجرية واحتفلت الاسماعيلية بتولي هذا الإمام وهو لا يتجاوز الثامنة من عمره مهام الإمامة وأكتب رسائل التأييد من جميع القلاع والحصون ، كان الإمام أعلا محمد عالماً فاضلاً تعمق في دراسة العلوم الروحانية والفلسفية والفقهية ، وقيل (كانت علومه ومعارفه وأحاديثه تحير العقول) .

قضى على دعاية الأعداء التي كانوا يروجونها في البلاد ضد الاسماعيلية وذلك بأن أسس مدرسة خاصة لتلقين الدعاة (أصول الدعاية وأساليبها الحديثة) وهكذا قد حارب أعداءه بنفس السلاح الذي شهروه ضده . ووجه عناية خاصة (للمناظرات العلمية) فخصص يوماً واحداً من كل اسبوع لاجراء المناظرات الفلسفية والفقهية بين الدعاة ، يحضرها بنفسه ليحكم بين المتناظرين فيعليهم ويرقيهم في مراتب الدعوة حسب ما يظهروه من كفاءة علمية وهذا ما ساعد الدعاة على تفهم اصول المذهب الاسماعيلي ،

فأظهروا نبوغاً منقطع النظير في جميع العلوم التي درسوها وتناقشوا فيها .
 لم تتعرض الاسماعيلية أبان إمامته لأي هجمات خارجية فعاشت مع
 الأعداء بسلام مستمر نظراً لما كان يتمتع به الإمام أعلا محمد من مكانة
 علمية فائقة ، جعلته يكتسب حب واحترام جميع الطوائف والشعوب إلا
 أن الاسماعيلية في سورية قد تعرضت لغزوات بعض الأمراء الصليبيين
 ولنقمة صلاح الدين الأيوبي الذي جرد عليهم الحملات ، ولكن شيخ الجبل
 وحجة الإمام في سوريا (سنان راشد الدين) تمكن من رد جميع المحاولات
 والقضاء على كل من تسول له نفسه الاعتداء على القلاع الاسماعيلية وكان
 يرسل فدائيته الشجعان للقضاء على كل من يفكر بأذاهم أو محاربتهم .
 فخافه الأمراء وهابه السلطان صلاح الدين فاضطر إلى توقيع معاهدة
 صداقة وعدم إعتداء معه وتقرب إليه السلطان فساعدته سنان في بعض
 حروبه مع الصليبيين .

وهكذا قد توصلت الاسماعيلية في عهد الإمام أعلا محمد إلى درجة
 عظيمة من السؤدد والمجد والفخار فعاشوا بسلام مستمر طوال مدة إمامته
 التي استمرت ٤٦ سنة بالرغم من حدوث بعض الاصطدامات التي كانت
 تعود عليهم بالنصر .

توفي الإمام أعلا محمد بعد أن نص على ابنه جلال الدين وكانت وفاته
 سنة ٦٠٧ هجرية ودفن في قلعة (آلموت) .

شيخ الجبل الثالث سنان راشد الدين

هو سنان بن سليمان بن محمد ويكنى بـ (أبي الحسن) و (راشد الدين)
 ولد في آلموت سنة ٥٢٨ هجرية وتثقف في مدرسة الإمام (القاهرة)

بقوة الله) ، ثم أوفد إلى العراق فاستقر بالبصرة حتى سنة ٥٥٨ هجرية فأوفد لإدارة شؤون الاسماعيلية في جبال السماق وحلب من سوريا بعد أن ظهر للإمام تأخر أحوالهم بسبب إنشقاق بعض الاسماعيلية إثر وفاة الداعي الاسماعيلي الكبير سيده (أبو محمد) شهاب الدين أبو الفرج الملقب بالفراصة ، فجاء إلى سوريا وأصلح أمور الاسماعيلية في جهات حلب ثم أقام في قلعة الكهف مقر الداعي السابق (أبي فراس) حيث أسس مدرسة لتثقيف الشباب الاسماعيلي وتدريبهم على أعمال الفدائية .

وبعد مدة أمر بالذهاب إلى مصياف فاتخذها مقراً له وعاصمة للدولة الاسماعيلية التي كانت مستقلة استقلالاً تاماً عن الدولة السورية .

لعب دوراً رئيسياً في السياسة السورية والمصرية وكان حجرة الثقل في العالم الاسلامي ، ووقف سداً منيعاً في وجه الصليبيين الذين تسلموا إلى داخل البلاد السورية ، وملكوا شواطئ البحر المتوسط وكانت قوة فدائيته تهدد جميع الملوك والخلفاء والحكام وكان يستعملهم في سبيل مصلحة البلاد العليا ، والفدائي الذي أرسله ليقتل (ريمون) حاكم القدس الصليبي ، والفدائي الذي أرسله للفتك بحاكم مدينة طرابلس ، والفدائي الذي تمكن من اغتيال حاكم مدينة صور الصليبي .

وعندما أصبح صلاح الدين الايوبي سلطاناً على مصر أذاق الاسماعيليين فيها العذاب وفتك بآل الخليفة الفاطمي (العاضد) وكانوا إحدى عشر ولداً وأربع بنات وأربع زوجات واقارب آخرون يربو عددهم على ١٢٠ شخصاً واحرق المكتبة الاسماعيلية الموجودة في دار الحكمة بعد أن بعثر محتوياتها . تألم شيخ الجبل سنان راشد الدين من تلك الاعمال فأوفد احد فدائيته الامناء المخلصين وامره بأن يذهب إلى القاهرة ويهدد

صلاح الدين ، وتمكن ذلك الفدائي المدعو (حسن الاكرمي) (١) من دخول القصر الملكي والوصول الى حجرة رقاد السلطان صلاح الدين الايوبي فوجده غارقاً في احلامه يغط في سبات عميق ، فترك له خنجرأ مسلولاً منقطعاً رأسه بالدم بقرب الوسادة كما ترك بطاقة كتب عليها :

من احد فدائية سيد الاسماعيلية وشيخ الجبل وحجة الامام (سنان راشد الدين) الى يوسف صلاح الدين السلطان الايوبي لمصر وتوابعها .
اعلم ايها السلطان المغتصب العاتي الظالم الفاسق أنك وان اقفلت الأبواب ووضعت الحراس بالسلاح لا تستطيع ان تنجو من القصاص ، ومن انتقام الاسماعيلية ، أراك قد بلغت في القحة وتطاولت في الجريمة واستبديت وظلمت وقتلت وصلبت دون ان تحسب حساباً لشيخ الجبل الاسماعيلي الذي يقف لك بالمرصاد ، لو اردنا قتلك الليلة لفعلنا ، ولكن عفونا عنك لعلك تقدر هذا ، واننا ننذرك لتصلح من سيرك وتعيد الحق المغتصب الى ذويه ، ولا تحاول ان تعرف من أنا فذلك صعب عليك وبعيد عنك بعد السماء عن الارض اذ قد اكون أخاك أو خادملك أو حارسك أو زوجك وانت لا تدري والسلام .

أغار صلاح الدين الايوبي سنة ٥٧١ هجرية على بعض القرى الاسماعيلية في جهات حلب فحرب بذاعة واعزاز ، ووثب عليه فدائي اسماعيلي طعنه بسكين في رأسه فجرحه جرحاً بليغاً ، وتمكن صلاح الدين من القاء القبض على هذا الفدائي فقطعه ارباً ، ووثب عليه آخر فقبض عليه وأعدم فوراً فعاد السلطان مذعوراً والتجأ إلى خيمته خشية الاغتيال . وفي سنة ٥٧٢ هجرية قصد السلطان صلاح الدين في جيش عظيم

(١) جاء في كتاب بيت الدعوة الاسماعيلية ص (١٠٥) (حسن الاكرمي العراقي) .

مدينة مصياف معقل الاسماعيليه ونصب عليها المنجنقات ثم عسكر
بضواحيها وأرسل لشيخ الجبل سنان راشد الدين كتاباً يطلب إليه
التسليم فأجابه سنان بكتاب آخر رفض فيه شروط التسليم وذكر
إستعدادة لمحاربته ، وفي الليلة نفسها أرسل إليه أحد الفدائية فدخل
خيمة صلاح الدين وبدل موضع المصابيح التي كانت تنير الخيمة ووضع له
خنجرأ على وسادته مع كتاب تهديد جاء فيه :

إنا منحناك ثوباً للحياة فان كنت الشكور وإلاّ سوف نخلمه
قد قام قف إلى قاف يزعره كضفدع تحت صخر رام بقلمه
ما يستحي ثعلب صفر همته يرسل إلى أسد الغابات يفرعه

إستفاق صلاح الدين ورأى الخنجر والكتاب فاعتقد بأن (سنان راشد
الدين) من أشرف وأنبل الرجال إذ لو أراد قتله لما تأخر عنه بعد أن
أصبحت حياته بيد ذلك الفدائي الذي تمكن من الدخول عليه رغم العيون
والحراس التي تحرسه ، فاستدعى خاله أمير حماه شهاب الدين الحارمي
وكان صديقاً حميماً لشيخ الجبل ، فأتى إلى مصياف وتوسط بينها حتى
تمكن من عقد معاهدة للصلح تنص على اشتراك الفرسان الاسماعيليه في
الحروب الصليبيه التي يقوم فيها صلاح الدين بعد أن عهد إلى ابن أخيه
الأمير محمد الأيوبي بأن يتولى قيادة هذه الفرقة الاسماعيليه التي كان لها
أكبر الفضل بمعركة (حطين - القدس) .

تضاربت أقوال المؤرخين بمركز (سنان راشد الدين) بالنسبة للدعوة
الاسماعيليه وذهبت تلك الأقوال كل مذهب فكان فريق يقول بأن سنان
كان إماماً ، وفريق قال بأنه كان حجة للإمام أعلا محمد أو (الكيا
محمد) كما تسميه الاسماعيليه بفارس ، والحقيقة لم يكن سنان راشد الدين
سوى حجة للإمام المعصوم وباب من أبوابه .

والخلاصة كان (سنان راشد الدين) بطل من أبطال التاريخ وعلم من أعلام الاسماعيلية وأكبر عقلية حربية في منتصف القرن الخامس هجري يتغنى بذكره الذين سطوروا على صفحات التاريخ البطولات التي لا يزال أثرها باق وليس بغريب أن يبقى سنان راشد الدين أبد الدهر موضع مناقشات تاريخية .

وقبل أن ننهي بحثنا عن سنان راشد الدين لا بد لنا من التعرض بإيجاز للفدائية التي كان يستعملها لتحقيق مصلحة البلاد العليا .
فهذه الفرقة الفدائية أو بالأحرى فرقة (المغاوير) الاسماعيلية التي دوخت الملوك وأنزلت الرعب في قلوب الصليبيين ، اقتبس تنظيمها من تنظيم فدائية الحسن بن الصباح شيخ الجبل الثاني الذي هو بحسب عميد وموجد هذه المدرسة التي أخذت عنها الدول الكبرى في عصرنا الحاضر ، وقد جاء على ذكرها المؤرخون فقالوا عنهم بأنهم يشربون نوعاً من الحشيش حتى يفقدوا الوعي فيقوموا بأعمال خارقة للعادة بسبب استيلاء هذا المخدر على عقولهم ، هذا مع العلم بأنه قد ثبت طبيياً بأن مدمن الحشيش لا يستطيع الاتيان بأي عمل من أعمال البطولة التي كان يقوم بها فدائية بني اسماعيل ، بل بالعكس يستولي عليه الخوف والوجل فيخاف من ظله .

وليس من شك بأنه قد غاب عن أولئك المؤرخين والكتاب ذلك السر الخفي الذي يدفع هذه الفرقة للقيام بأعمال البطولات ، دون أن يدور بخلدكم بأن مرجعه الطاعة العمياء والاعتقاد المتين بولاية الامام التي توجب على المرید المؤمن التضحية الجسدية في سبيل عقيدته المثلى ومذهبه القويم ، وسرعان ما يتضح لمن يطالع العقائد الاسماعيلية بامعان ، بأن هذه العقائد توجب على معتنقيها الطاعة العمياء بلا قيد ولا شرط . نعود لنقول

بان هؤلاء المؤرخين لو كلفوا انفسهم قليلا من الجهد لدراسة المعتقدات الاسماعيلية لما خفيت عليهم طاعة الاسماعيلية للأئمة وامثالهم للوامر الروحية العليا التي تصدر عن بيت الدعوة أو عن الامام نفسه أو عن من يمثله في الاقاليم والبلدان .

ولحن نود أن نتساءل الآن ما هو نوع المخدر الذي يستعمله (المغاوير) او الفدائية في الجيوش الحديثة ، وهم الذين اقتبسوا هذا النظام عن الفدائية الاسماعيلية ، وهل تقدم أمريكا وانكلترا والمانيه وروسيا وفرنسا وسوريا ومصر وجميع دول العالم الحشيش لفرق المغاوير فيها ؟

الامام

جهد الدين حسن بن أعلا محمد

ولد الامام حسن بن أعلا محمد الملقب بـ (جلال الدين) سنة ٥٨٢ هجرية في قلعة آلموت وأصبح إماماً بعد وفاة أبيه سنة ٦٠٧ هجرية .
عمل على توثيق عرى الصداقة بين الاسماعيلية والعالم الاسلامي أكثر مما كانت عليه في عهد أبيه على أساس الصداقة التعاونية المتبادلة بينهما ،
فماشت الاسماعيلية رديحاً من الزمن عيشة هادئة تسودها العلاقات الودية مع الجوار ، وعمل الدعاة الاسماعيلية الموزعين في مختلف الأقاليم على نشر المذهب الاسماعيلي دون أن يتعرضوا لأي ضغط على حريتهم ودون أن يلاقوا ما كانوا يلاقونه من صعوبات ومشاق ، وذلك ما ساعدهم على اجتذاب خلق كثير إلى طرفهم ، كما ان الامام الاسماعيلي لم يعد متخفياً يعيش مستوراً بعيداً عن الأنظار ، بل ظهر إلى الوجود يفيد الناس من علمه وأدبه ، وقام بجولة تفقد خلالها شؤون أتباعه الاسماعيليين في جميع الأقطار . ولقد استغرقت جولته هذه عاماً ونصف العام ، وكان يقابل ايها توجه بالتعظيم والاجلال والاحترام من جميع الحكام والولاة ، وكان

يتصدق ويتبرع بإنشاء (التكايا والحمامات ومراكز الضيافة في جميع المناطق التي زارها على نفقته الخاصة) .

وبالحقيقة كان عهد الامام جلال الدين حسن من العهود الذهبية التي مرت على الاسماعيلية حيث احتلت مكانها اللائق بين الامة العريقة بالبطولات والتضحية والعلوم ، فانتسعت رقعة البلاد التي يقطنها الاسماعيلية وازداد عددهم في اذربيجان ، وكوردستان ، وكيلان ، ومازندان ، وقزوين ، وخوزستان ، ولارستان ، وكرمان ، وطهران ، وشيراز ، وتبريز ، وساندريا ، وبغداد ، ومصر ، وسوريا ، والهند ، واصبحوا ذوي نفوذ قوي في جميع تلك البلدان .

والخلاصة فقد عظم مركز الاسماعيلية في العالم وتحسنت احوالهم وعلاقاتهم مع الناس وسادت كلمتهم في اغلب البلاد الاسلامية ، وعمل دعائهم على نشر العلوم الاسماعيلية عن طريق افتتاح المدارس لتعليم الفلسفة واصول المذهب الاسماعيلي .

ولقد اعتنق المذهب الاسماعيلي عدد من الملوك والامراء ، ولقد اطلعنا في كتاب الميثاق على منشور مخطوط ارسله هذا الامام الى الاسماعيلية في جبال السمامة في سوريا يطلب اليهم فيه الاعتماد على الداعي الاسماعيلي (شمس الدين بن علي) وتصليح حمام قلعة الكهف التي تعرضت للانهار ويستدل من هذا المنشور ان الامام جلال الدين حسن كان يتردد من وقت لآخر على قلعة الكهف مركز الدعوة الاسماعيلية في سوريا ، فيقيم فيها وقتاً ينصرف خلاله لاصلاح شؤون أتباعه ومريديه .

توفي الامام جلال الدين حسن سنة ٦١٨ هجرية بعد أن نص على ابنه علاء الدين الذي كان عمره آنذاك عشرة أعوام .

الامام

عماد الدين بن الامام جلال الدين

ولد الامام علاء الدين محمد بن الامام جلال الدين حسن سنة ٦٠٨ هجرية في قلعة آلموت وجلس على أريكة الامامة الاسماعيلية سنة ٦١٨ هجرية بعد وفاة ابيه ، و اقيمت الافراح والاحتفالات في جميع الاقطار التي يقطنها الاسماعيلية وأنته كتب التهئة والولاء من كافة القلاع الاسماعيلية ، ومع أنه كان في العاشرة من عمره فقد اظهر نبوغاً عظيماً حير العقول وأثار ظلمات القلوب المجدبة ، وأظهر مقدرة فائقة في ادارة شؤون الاسماعيلية ، وكان أول عمل قام به أن أمر بتأسيس مكتبة اسماعيلية ضخمة احضر لها المؤلفات القيمة من مختلف الأقاليم وأنفق على تأسيسها وفرشها الاموال الطائلة من جيبه الخاص ، ووجه عناية خاصة لدور العلم ، فأوجد المدارس في القلاع الاسماعيلية وعين لها المدرسين الأكفاء ذوي المقدرة العلمية العظيمة ، وخصص يوماً من كل اسبوع لالقاء المحاضرات والمناظرات العلمية من قبل اساتذة وطلاب تلك المدارس ، وكان يصدق المنح والعطايا على المتفوقين ويرقي الاساتذة المتناظرين .

وبذلك ازدهرت العلوم الاسماعيلية وخاصة العلوم الفلسفية والفقهية ، ومن الطلاب النجباء الذين اظهروا نبوغاً عظيماً في مختلف العلوم ، الداعي الاسماعيلي الفيلسوف نصير الدين الطوسي ، والشاعر الفيلسوف شمس الدين الطيبي حجة الامام وداعي (دعائه) وداعي دعاة الشام الفيلسوف الصوفي الشيخ محي الدين العربي ، والشاعر الصوفي العبقري (ابن الفارض) هذا من جهة ومن جهة ثانية فقد انتاب الاسماعيلية نكبات عديدة وشنت عليهم غارات كثيرة من قبل السلاطين السلجوقيين والتتر .

ففي سنة ٦٣٢ أغار (أرخان) على بعض الحصون الاسماعيلية في نيسابور فاحتلها بعد أن قتل ونهب واحرق كل شيء فيها .

علم الامام علاء الدين محمد بهذه النكبة المؤلمة والفاجعة العظيمة التي ألمت بالاسماعيلية نيسابور فأوفد الداعي كمال الدين بن اسماعيل ليطالب (آرخان) بالتعويضات عما أصاب الاسماعيلية في حصون نيسابور ، ولكن (آرخان) أساء الى هذا الداعي وهدده بخنجره فماد وابلغ الامام ما حدث ، فأمر الامام علاء الدين محمد أن يجهز جيشاً قوياً من الاسماعيلية لقتال (آرخان) والثأر منه ، سار ذلك الجيش الى (آرخان) فاحتل بلاده بعد قتال شديد والقى القبض على (آرخان) عندما كان يحاول الفرار واعدم بعد أن حوكم أمام محكمة اسماعيلية التفت هذه الغاية ، ووقعت معاهدة مع خلف (آرخان) منح بموجبها للاسماعيلية بعض الامتيازات المحلية وسلمت اليهم قلعة (دامغان) كتعويض عن قتالهم وممتلكاتهم ، وفي عهد هذا الامام أغار (هولاكو) التتري على مدينة بغداد فاحتلها واستباح جيشه القتل والنهب ، لمدة اربعين يوماً ، والقى القبض على الخليفة العباسي المستعصم بالله ، وقتله شر قتلة ، ولما استقر هولاكو في مدينة بغداد نادى بالأمان وأعاد المياه الى ما كانت عليه في السابق ، ووقع معاهدة

صداقة وعدم اعتداء مع الامام علاء الدين محمد وعين بموجبها العلامة نصير الدين الطوسي وزيراً أولاً لهولاكو التتري ، كما سملت اكثر المراكز العسكرية في جيشه للقادة الاسماعيليين. وضع الامام علاء الدين محمد دستوراً خاصاً للاسماعيلية حظر فيه على الاسماعيلي ارتكاب الموبقات والمعاصي ، وشدد في حضور الصلاة اليومية ، والاجتماعات الخاصة التي تلقى فيها الدروس المذهبية ، وعين لهذه الغاية دعاء اكفاء تتفاوت درجة ثقافتهم ومقدرتهم العلمية حسب الدروس التي يلقونها .

والخلاصة فقد أدخل هذا الامام اصلاحات كثيرة وتعديلات كبيرة على المدارس الاسماعيلية وعلومها حتى أضحت في وقت قليل تضاهي أعظم الجامعات العلمية في العالم .

وبما ساعد على هذه النهضة الثقافية ما أخرجته الدعوة الاسماعيلية من مؤلفات قيمة تبحت في جميع العلوم والفنون ، أمثال الشيخ محي الدين العربي ، والداعي شمس الدين الطيبي ، ونصير الدين الطوسي ، والشاعر ابن الفارض وغيرهم . توفي الامام علاء الدين محمد سنة ٦٥٣ هجرية ودفن في آملوت .

الامام ركن الدين خورشاه بن الامام علاء الدين

ولد الامام ركن الدين خورشاه بن الامام علاء الدين محمد سنة ١٢٩ هجرية في قلعة (آلموت) واصبح اماماً بعد وفاة أبيه سنة ٩٥٣ هجرية .
في عهده وقعت معاهدة سرية بين هولاكو التتري وأهالي قزوين
الغيت بموجبها معاهدة الاسماعيليه والتتر .

علم الوزير الاسماعيلي الأول نصير الدين الطوسي بهذه المعاهدة فتواري
عن الانظار والتجأ الى قلعة آلموت حيث عرض الأمر على الامام ركن
الدين خورشاه ، فأمره أن يشرف على استعدادات الجيوش الاسماعيليه
لمقابلة الجيش التتري الذي سيفزر القلاع الاسماعيليه ، وسير الامام عائلته
ونسائه بصحبة ولده الاكبر وولي عهده شمس الدين محمد إلى أذربيجان .
أرسل هولاكو التتري جيشاً بقيادة (بوكيان التتري) لاطراف
(كوهستان) لمحاربة الامير ناصر الدين أمير تلك المقاطعة الذي كان يقيم
في قلعة (سرخوست الاسماعيليه) .

وأرسل جيشاً آخر لحصار بقية القلاع الاسماعيلية ، واقد استمر ذلك الحصار مدة ستة أشهر نفدت بعدها مؤونة الاسماعيليين ، ففتحوا ابواب قلاعهم واشبكوا مع التتر في معارك قوية طاحنة قتل فيها اثني عشر ألف اسماعيلي وثلاثون الف تتر ، واحتلت الجيوش الغازية جميع القلاع الاسماعيلية ودمرتها عن بكرة ابيها فجعلتها قاعاً صفصفاً ، والقي القبض على الامام ركن الدين خورشاه مع ولده الاصغر مظفر الدين وابن اخيه سيف الدين وبعض دعاة وأخذوهم الى الخليفة في بغداد .

وفي طريق العودة بينما كانت الجيوش التتارية تعبر نهر (جيحون) توفي الامام ركن الدين خورشاه وكانت وفاته سنة ٦٥٤ هجرية ودفن على ضفة ذلك النهر اليمني .

اما بقية الاسرى فسلموا لهولاكو الذي أمر باعدامهم جميعاً والتمثيل بجثثهم ، ولم تستمر إمامة ركن الدين سوى عاماً واحداً قضاه في الحروب والحصار ، وبانتهاء عهده ودعت الأئمة الاسماعيلية بلاد (آلموت) لتستقر في أذربيجان .

الامام شمس الدين بن ركن الدين

ولد الامام شمس الدين محمد بن الامام ركن الدين خورشاه سنة ٦٣٢ هجرية في قلعة (آلموت) ولقب بـ (اقا شمس) جلس على اريكة الامامة سنة ٦٥٤ بعد وفاة ابيه ، نقل مقر الامامة الى مقاطعة اذربيجان حيث امها آلاف الاسماعيلية الذين ظلوا على قيد الحياة بعد فاجعة آلموت والقلاع الاسماعيلية الاخرى .

تولى رئاسة الدعوة في عهده العلامة الفيلسوف الاسماعيلي الكبير جلال الدين الرومي فقام بتحقيق المشاريع العلمية وتأسيس الانظمة التي من شأنها النهوض بالاسماعيلية ، ولقد انشأ المدارس وأمر الدعاة بالتدريس والقاء المحاضرات الفلسفية التي تبحث في اصول المذهب الاسماعيلي ، ووزع عدداً ضخماً من الدعاة في بلاد الهند ، والصين ، وسوريا ، والعراق وتركيا ، وايران .

واعتنق حاكم الهند (برهان نظام شاه الدكني) المذهب الاسماعيلي واصبح من اكبر المؤيدين والدعاة له ، وبذلك اتسعت رقعة البلاد التي

يقطنها الاسماعيلية وتجدد نشاطهم بقوة في الاقطار التي حلوا فيها .
 كان الامام شمس الدين محمد مثالا يقتدى به لما يتمتع به
 من اخلاق كريمة وعلوم غزيرة وصفات حميدة قلما تحلى بها غيره ، وكان
 مقدراً ومحترماً لدى جميع الطوائف على السواء عاش اكثر ايامه
 زاهداً في الدنيا وما حوته من لذائذ وأطايب ، يلبس ما خشن من اللباس
 ويأكل ما تيسر من الطعام ، يقضي الليالي ساهراً ساهداً لرعاية مصالح رعيته
 وللإشراف على شؤونهم واموالهم الخاصة .

وكان دأب التنقل من منطقة لاخرى لارشاد ابناءه الاسماعيلية .
 في عهده عاشت الطائفة الاسماعيلية بسلام وطمأنينة ، وكان يتولى
 رئاسة الدعوة في سورية شيخ الجبل الرابع سيدنا العلامة الجليل
 موسى بن حسن القصار .

وهذا الداعي تلقى علومه في بيت الدعوة الاسماعيلية في قلعة
 (آلموت) وتثقف على ايدي معلمين من مدرستها وظهر نبوغاً عجبياً
 في الفلسفة والفقه الاسماعيلي ، وأبدع في علم التأويل وأصول
 المذهب الاسماعيلي .

أوفده الامام شمس الدين محمد عندما كان في اذربيجان ليتولى
 رئاسة الدعوة الاسماعيلية في سوريا وجعل مقره في مدينة حلب .
 عمل هذا الداعي العظيم على جمع شمل الاسماعيلية في سوريا بعدما
 انتابهم من تفرقة والانحلال فنظم شؤونهم وانشأ لهم المدارس ودور العلم
 كما استقدم لهم الدعاة والمدرسين ، وعمل على تأسيس جيش قوي من
 الاسماعيلية واعاد الى الوجود الفرقة الفدائية ، فاستعملها لتنفيذ
 اغراضه السياسية ، وعقد معاهدة صداقة مع السلطان الظاهر بيبرس
 الذي اعترف باستقلال الاسماعيلية في المناطق السورية على ان تصان
 حرياتهم الدينية وتحترم معتقداتهم ، وسمح لهم أن يرفعوا على مراكز

دعوتهم وحصونهم العلم الاسماعيلي المؤلف من (الأخضر والأحمر) واختار من علماء وفقهاء الاسماعيلية وزراء وقضاة لدولته ، وفرض على الاسماعيلية تقديم المساعدات والتضحيات والجنود لمساعدة السلطان بيبرس في حروبه مع الصليبيين وعين حرس السلطان الخاص من شباب الفدائية الاسماعيلية وجرى توقيع تلك المعاهدة عام ٦٦٠ هجرية .

قام الاسماعيلية بتنفيذ بنود تلك المعاهدة وارسلو سبعين مقدماً من جيشهم يرأس كل منهم ألف مقاتل اسماعيلي وتولى منصب الوزارة صاحب مصيف (آغاشاهين) و (علاء الدين حسن) وعز الدين ايك واستندت قيادة الاسطول للقائد الاسماعيلي (محمد البطرني) وأوفد السيد بدر الفقير ليمثل السلطان لدى الامبراطورية الرومانية في روما .

واقعد ساعد الاسماعيلية الملك الظاهر في امتلاك ساحل طرابلس ، وشنوا هجوماً عاماً عليه سنة ٦٦٤ هجرية بقيادة ابراهيم بن حسن الحوراني وسعد بن دبل ، واسماعيل ابو السباع وطردوا الصليبيين من كافة البلدان الساحلية السورية ، وهكذا قد انقذ العالم الاسلامي من براثن الصليبيين الذين عاثوا في البلاد فساداً وكانوا خطراً يهدد العالم الاسلامي في كل وقت .

توفي الامام شمس الدين محمد في مقاطعة اذربيجان سنة ٧١٠ هجرية ودفن هناك ولا يزال ضريحه مزاراً مشيداً ومعتنى به يزوره الاسماعيليون من جميع انحاء العالم (١) .

(١) تقول بعض المصادر التاريخية بان الامام شمس الدين محمد قد قطن (قونية) في آخر ايامه ودليلهم على ذلك ان السلطان محمد الفاتح عندما حارب الهجوم على القسطنطينية ، اشار عليه احد قواده وهو من الاسماعيليين ان يذهب الى (قونية) ليستشير الامام بالامر فعلاً ذهب السلطان وقبل ان يصل الى الامام بخطوات قال له الامام شمس اذهب فقد فتحت القسطنطينية .

الامام

قاسم شاه

ولد الامام قاسم بن الامام شمس الدين محمد في مقاطعة أذربيجان سنة ٦٩٠ هجرية ، وأصبح إماماً بعد وفاة أبيه سنة ٧١٠ هجرية بموجب النص عليه حسب الشروط المتبعة في المذهب الاسماعيلي .

وجه اهتمامه لتنظيم الدعوة الاسماعيلية في مختلف الاقاليم ، ووزع الدعاة الاكفاء ذوي المقدرة العلمية على الاقطار التي لم تصل اليها التعاليم الاسماعيلية بعد . وأوفد الداعي شاه نزاری الى وسط الهند ، والداعي بهاء الدين زكريا الى بلخشان والتيبك وكشمير ، والداعي شمس الدين علي في ملتان والمناطق المجاورة لها .

وعين اخيه الاوسط مؤمن شاه داعياً وممثلاً له الى بلاد فارس وقزوين ، وأخيه الاصغر كيا شاه داعياً لمنطقة آلموت والبلاد القريبة منها حتى حدود كيلان واستقر في بلدة (مآهيان) وبعد فترة وجيزة من الوقت أتته رسائل اولئك الدعاة تبشره بنجاح دعوتهم وأن الاقبال على اعتناق المذهب الاسماعيلي منقطع النظير ، ووصلته معلومات اخرى خطيرة

تقول بأن أخيه مؤمن شاه داعي بلاد فارس قد ادعى الامامة لنفسه وتمكن من استمالة بعض اهالي قزوین وایران ، فارسل الامام قاسم شاه الكتب مع دعائه المخلصين وطلب منهم ان يتجولوا في جميع البلدان الاسماعيلية ، ويعلنوا للناس بان اخيه مؤمن شاه قد انتحل الامامة بدون حق ، اذ لا يمكن أن يصبح إماماً الا صاحب النص الشرعي ، وانه يحظر على كافة الاسماعيلية اتباعه وتصديق دعواه .

وبالرغم من هذا بقي اتباع مؤمن شاه مخلصين له ولابناءه من بعده حتى اخرهم (الشاه محمد طاهر) الذي توارى عن الانظار ، ولقب اتباع مؤمن شاه (جون دهرميہ) او (المؤمنية) ويستدل من المعلومات التاريخية التي بين أيدينا بأن هذه الفرقة بقيت محافظة على التعاليم الاسماعيلية وقد لعبت دوراً هاماً في تاريخ ايران والمناطق المجاورة ، ولا يزال قسم صغير من هذه الفرقة حتى الآن وهم يعيشون بقرب الحدود الروسية الايرانية وفي المناطق الروسية ، وامامهم من سلالة مؤمن شاه لا يزال مستوراً ومتواري عن الانظار غير معروف عنه شيء .

في عهد هذا الامام توفي داعي سوريا وشيخ الجبل سيدنا موسى حسن القصار ودفن في مدينة حلب باحتفال مهيب ، وسار وراء نعشه عشرون الف فدائي اسماعيلي ، وبانتهاء حياة هذا البطل العظيم زال نفوذ الاسماعيلية وسيطر عليهم الخول والكسل فتفرق شملهم وانتابتهم المصائب والهن من كل صوب ، وتآلب عليهم الجوار فأذاقوهم الويلات واستبيحت دماؤهم وقتلوا ايما وجدوا ونهبت ممتلكاتهم واحتل السلطان قسم كبير من بلادهم ، كل هذا حدث لهم بعد وفاة الظاهر بيبرس وتولى السلطان المنصور قلاوون الحكم ، الذي مزق المعاهدة الاسماعيلية وهاجم قلاعهم بجيوش جرارة فاستولى على قسم منها بعد قتال مرير ،

وبعد هذه الفاجعة المؤلمة غادر اغلب الاسماعيلية قلاعهم الحصينة وتوغلوا مستترين في المدن السورية .

وهكذا ضعف مركز الاسماعيلية في سورية وتعرضوا للاخطار بينما ازداد النفوذ الاسماعيلي في بقية الاقطار .

كان الامام قاسم شاه عالماً من العلماء قضى اكثر حياته متجولاً يتفقد شئون أتباعه ويعيش عيشة الزاهد المتقشف .

توفي سنة ٧٧١ هجرية ودفن في مدينة (قائم اباد) من بلاد ايران بعد ان نص على امامة ولده اسلام شاه .

الامام اسلام شاه

ولد الامام اسلام شاه بن الامام قاسم شاه سنة ٧٤٥ هجرية في مدينة (قائم أباد) وجلس على أريكة الامامة بعد وفاة ابيه سنة ٧٧١ هجرية .

جعل مقره موزعاً على ثلاث من المدن الاسماعيلية في بلاد ايران ، فكان ينتقل من (بابل) الى (كوهك) ثم الى (الديشة) ليشرف على ادارة شؤون الاسماعيلية .

وجه عناية خاصة لتنشئة الشبيبة الاسماعيلية تنشئة صالحة تمكنهم من السير بخطى سريعة نحو الرقي والازدهار . وجعل من قصوره الثلاث مراكز علمية يؤمها طلاب العلم والمعرفة من مختلف البلدان الاسماعيلية ، للارتقاء من الفلسفة الاسماعيلية التي كان يشرف على تدريسها الامام بنفسه عدا عن الدعاة الذين اظهروا مقدرة علمية فائقة في مناظراتهم ومحاضراتهم الفلسفية ، ووزع المتخرجين من تلك المدارس على المناطق النائية البعيدة من الهند ، وكشمير وبنجاب والسند ، وخصص الامام

الاموال الطائلة لانشاء المدارس والمساجد ودور العبادة الخاصة ومراكز الاجتماعات ، والدور الواسعة لايواء الفقراء والمعجزة من ابناء جميع الطوائف على السواء .

ومد يد المساعدة للاسماعيلية في سوريا الذين تأخروا عن موكب التقدم الاسماعيلي واصبحوا في حالة تهديم بالانحطاط والانقراض السريع. وقد كانت تتوافد اليه الاسماعيلية من جميع اقطار الارض في يوم عيد توليه الامامة ليقدّموا له الهدايا والتحف ويساموا بالاحتفالات العلمية والمناظرات الفلسفية العظيمة التي كان يجريها الدعاة تحت اشراف الامام وتوزع الاموال والهدايا على المتفوقين والفائزين في تلك المناظرات. وتوفي الامام اسلام شاه سنة ٨٢٧ هـ جريه في مدينة (كوهك) ودفن فيها ولا يزال ضريحه حتى الان مزاراً يرتاده المخلصون من ابناء الاسماعيلية .

الامام

محمد بن اسلم شاه

ولد الامام محمد بن اسلم شاه سنة ٧٧٢ هجرية في مدينة (بابل)
الارانية وتولى الامامة بعد وفاة ابيه سنة ٨٢٧ هجرية .

واقضى اثر ابيه فوزع الدعاة على المناطق والاقاليم السقي يقطنها
الاسماعيلية وعين لهم المراتب الفخمة وشيد لهم دوراً ليدرسوا فيها
اصول فقه الفلسفة الاسماعيلية وعين الداعي (تاج الدين صدر الدين)
كبيراً لدعائه فأحسن القيام بالمهمة الملقاة على عاتقه ، وبذل أقصى
جهوده لتوسيع رقعة البلاد الاسماعيلية وقدم المساعدات الكثيرة للمناطق
الاسماعيلية المتأخرة وخاصة سوريا .

وقد اصبح الاسماعيليون في سوريا على وشك الاحتضار ، وسيطرت
التفرقة على صفوفهم وخيم عليهم البؤس والشقاء فلتشتت شملهم وتفرقوا في
انحاء البلاد ليعيشوا بالشر والكتان .

أراد الامام أن ينشر دعوته في السند فأرسل كبير دعائه (تاج الدين

صدر الدين (ليتولى رئاسة الدعوة فيها ، وتمكن هذا الداعي بوقت قليل من استمالة اكثر سكان تلك البلاد واقبلوا للاستماع الى ارشاداته القيمة وللارتشاف من معينه الغزير وعلومه الواسعة ، كان الامام محمد بن اسلام شاه تقياً عالماً عارفاً في اصول المذاهب جميعها متعمقاً في دراسة كافة علوم الاديان السماوية عالماً بالفلسفات الشرقية والعربية .

وكانت تأتية الناس افواجاً يعرضون عليه مشاكلهم واختلافاتهم الدينية كما يأتية العلماء والفلاسفة ليفصل بينهم في اختلافاتهم العلمية . في عهده وصلت الاسماعيلية الى درجة علمية عظيمة جعلتها تحتل المكان العلمي الاول في بلاد الهند والسند وكشمير ويران . توفي الامام محمد بن اسلام شاه سنة ٨٦٨ هجرية ودفن في مدينة (بابك) .

الامام

المستنصر بالله (ثاني)

هو الامام علي شاه بن الامام محمد بن اسلام شاه كانت ولادته سنة ٧٠٦ هجرية في مدينة بابك لقبه (المستنصر بالله) تولى الامامة بعد وفاة أبيه سنة ٨٦٨ هجرية

وجه اهتمامه لترقية العلوم الاسماعيلية وادخل تجديدات كثيرة على النظام التعليمي في المدارس الاسماعيلية وقدم المساعدات المادية لطلاب العلم والمعرفة من الاسماعيلية ، وافرد في قصوره غرفاً خاصة لتلقى فيها الدروس الفلسفية والفقهية على جمهور المستجيبين ، وخصص يوماً واحداً من كل اسبوع لعقد المجالس التأويلية والمناظرات الفلسفية بين دعاة وعلماء المذهب الاسماعيلي ، واختار الدعاة ذوي المقدرة العلمية الفائقة وبعثهم الى الهند وكشمير وشرقي ايران فزخروا المذهب الاسماعيلي .

كان الامام المستنصر بالله حجة في العلوم الفلسفية والفقهية ، تفتدي به جميع الطوائف الايرانية والهندية ، ويأتيه العلماء من مختلف البلدان للاستماع الى احاديثه الذهبية ومحاضراته العلمية النادرة .

في عهده ازدهرت الدعوة الاسماعيلية وازداد نفوذها في كل من ايران والهند وكشمير ، أما في سوريا فقد انتابها الضعف والانحلال نتيجة للنكبات والاضطهادات الكثيرة التي المت باسماعيلية سوريا .

ولقد اهتم الامام بهذه الامور الحيوية ، وامر كبير دعااته محمد نور حسن ليذهب الى سوريا ويدرس وضع الاسماعيلية فيها ثم يعود مستصحباً معه وقدأ منهم يمثل مختلف الطبقات ليعرضوا قضيتهم أمام الامام . عاد هذا الداعي من رحلته مستصحباً معه بعثة اسماعيلية سورية قوامها ثمانية أشخاص ، فرحب بهم الامام ، وعرضوا قضيتهم عليه ، وهي تتلخص بثلاثة اشياء :

١ - إن السلطات المسؤولة في سوريا تحاول بكل قواها القضاء على الاسماعيلية اينما وجدوا ، وتمنعهم من مزاوله نشاطهم الديني ، حتى باتوا يعيشون بالستر والكتان .

٢ - كثرة الاختلافات بين صفوفهم لتولي المشيخة او بالأحرى رئاسة الدعوة .

٣ - ضعفهم المادي لعدم وجود رؤوس الاموال بين أيديهم .

أخذ الامام قضية الاسماعيلية السوريين بعين الاعتبار ووعدهم بالتوسط لدى المسؤولين في سورية ليمنحهم كامل حريتهم وحقوقهم في اقامة شعائرهم الدينية ، وقدم لهم الامام الأموال اللازمة وأوفد معهم بعض الدعاة ليحاولوا فض النزاع وتجديد النشاط الاسماعيلي في البلدان السورية والخلاصة كان الامام المستنصر بالله يحتل مركزاً علمياً لا نظير له ، صنف كتاباً علمياً سماه (نصائح الجوان مرديه) وزعه على جميع الطبقات الاسماعيلية في العالم ، وهذا الكتاب عبارة عن دستور للمذهب الاسماعيلي

كما كان يتمتع بمكانة سياسية عظيمة كان لها اكبر الاثر في تسيير شؤون ايران وكشمير والهند الداخلية والخارجية ، وكان موضع اعجاب وثقة واحترام واجلال وتقدير جميع الطوائف والمذاهب على السواء .
توفي الامام المستنصر بالله (ثاني سنة ٨٨٠ هجرية ودفن في مدينة (بابك) الايرانية .

الامام عبد السلام شاه

هو الامام محمود بن الامام مستنصر بالله كانت ولادته سنة ٨١٤ هجرية في مدينة (بابك) لقب بـ (عبد السلام شاه) لأنه كان محباً للسلام ، أصبح إماماً بعد وفاة ابيه سنة ٨٨٠ هجرية واقتفى أثر اجداده وأبائه الصالحين ووزع على أتباعه الاسماعيلية توجيهاته القيمة وارشاداته القويمة .

ولقد وجه اهتمامه بصورة خاصة للناحية العلمية فكرس لها جهوده وخصص لها الاموال الطائلة واجرى بعض التعديلات على نظام الدعوة الاسماعيلية كابدال اسم (وكيل) ومرشد بكلمة (مكي) وناظر المالية (بكامريا) الخ . . . ، وكانت تأتيه الاموال والتحف والهدايا من جميع انحاء الهند والاقاليم الاسماعيلية ، وقدمت له الزكاة وخمس الاموال لجنسة من كبار رجالات الدعوة الاسماعيلية وتقدم للامام في يوم عيد جلوسه على مسند الامامة من كل عام ، وكانت توزع هذه الاموال بواسطة لجنة خاصة لتنفق على المشاريع الحيوية والفقراء والمساكين وابناء السبيل .

انتشرت في عهده الاسماعيلية في مناطق وبلاد جديدة كبورما ومدغشكر ، وازداد عدد الاسماعيلية في مقاطعتي (ديز أباد وقاسم أباد) وتحسنت علاقاتهم مع الجوار فماشوا بإخاء ومحبة . وكان الامام يتمتع بمنزلة خاصة في نفوس جميع سكان ايران ، وخاصة الملوك الصفويين الذين كانوا يستشيرونه ويطلبون ارشاداته في جميع مشاكلهم السياسية والاجتماعية . كان الامام عبدالسلام شاه عالماً أديباً وشاعراً ذو موهبة خاصة ، أتحف المكتبة الاسماعيلية بمؤلفات قيمة لا تزال تتمتع بمركزها اللائق في نفوس وقلوب الاسماعيلية ، ومن تلك المؤلفات التي يعتز ويحرص عليها الاسماعيليون كتاب (مدائن الأسرار) وكتاب (العقائد الاسماعيلية) وديوان شعر من قصيدة واحدة اسمه (القصيدة) ويتألف من ٢٠٠ صفحة . في عهده عاشت الاسماعيلية برخاء وبحبوحه في جميع الأقطار التي يقطنونها ، وتحسنت أوضاع الاسماعيليين في سوريا بعد أن تلقوا المساعدات والارشادات من الامام ، ومع هذا عاش أغلبهم بالستر والتقية دون أن يجرؤوا على التظاهر بمعتقداتهم خشية بطش الأعداء الذين كانوا لهم بالمرصاد ، وازداد نشاطهم في جهات حلب والحواشي والقدموس ومصيف واسكندرون وتوابعها .

وفي سنة ٨٩٩ هجرية توفي الامام عبدالسلام شاه ودفن في مدينة (بابل) الايرانية .

الامام

غريب ميرزا

هو الامام عباس بن عبد السلام شاه كانت ولادته سنة ٨١٥ هجرية في مدينة بابل الايرانية اشتهر وعرف (بغريب ميرزا) تولى الامامة بعد وفاة ابيه سنة ٨٩٩ هجرية نقل مركز إمامته الى بلدة (نجدان) من مقاطعة (كاشان) وتقع هذه البلدة على سفح جبل ، تحيط بها السهول المنبسطة والحدائق الغناء والمزارع الخصبة الجميلة من كل الجهات ، وتبعد عشرون ميلا عن بلدة (محلات) ، وأغلب سكان تلك المقاطعة يمتنعون الزراعة ويعيشون في البساطة والعبادة والانقطاع (الدروشة) .

لم يكد يبرز نجم الامام في تلك المنطقة حتى قدم المساعدات الكثيرة للمزارعين وانشأ لهم القرى الحديثة الأنموذجية ، وشيد أبنية عديدة واسعة لتصبح ملاجئ للمتعبدين المنقطعين عن العالم (الدراويش) الذين اموا تلك المقاطعة ليعيشوا بجانب امامهم المعصوم ، وكان يشرف على اموالهم بنفسه ويقدم لهم المساعدات والارشادات القيمة ، وكان أخيه الاصغر

الأمير (نور الدين) يساعده بذلك فسميت تلك الملاجيء « نور أباد »
تيمناً به .

في عهده حصلت حروب كثيرة وثورات داخلية هامة أضرمتهما
القبائل التي كانت تقطن في غربي ايران وشرقيها ، وشتت قبائل التركمان
غاراتها على البلاد وأشعلت الثورات في انحاءها .

أما الاسماعيلوية فلم يمسا بسوء وعاشوا في مقاطعتهم بعيدين عن
المشاكل والسياسة ، وأم بلدة « نجدان » وفود الاسماعيلوية من جميع
الاقطار ليقدموا الزكاة والاحماس بين يدي الامام الذي بات يحبهم بعطفه
ويخصص لهم الهبات والعطايا للمشاريع الاصلاحية التي تحتاجها بلادهم .

لم تستمر إمامته سوى ثلاثة اعوام قضاها في الاشراف على تنفيذ
المشاريع الحيوية والاصلاحات الضرورية .

وفي عهده بدأت الاسماعيلوية في سوريا تنهض من كبوتها بفضل الداعي
الكبير القاضي ابو النصر الديلمي ، وبفضل المساعدات الكثيرة التي قدمت
لهم من بيت الدعوة في (نجدان) .

انتابت الامام عوارض مرضية توفي على اثرها سنة ٩٠٢ هجرية
ودفن في مدينة (نجدان) ولا يزال ضريحه حتى الآن مزاراً يأتيه
الاسماعيلوية من الهند وايران والباكستان واذربيجان للزيارة ولا يزال
أغلب سكان تلك المقاطعة من الاسماعيليين المخلصين للامام الحاضر الموجود
في كل الوجود .

الامام ابو ذر علي

هو الامام نور الدين ابن الامام غريب ميرزا كانت ولادته سنة ٨٤٢ هـ . في مدينة (نجدان) لقبه (ابو الذر علي) جلس على أريكة الامامة الاسماعيليه بعد وفاة أبيه سنة ٩٠٢ هجرية ، وكانت ايران كلها على فوهة بركان بالنظر لقيام الثورات الداخلية وانبعاث الاضطرابات . عمل الامام متوسطاً لانهاء الخلافات التي كانت واقعة بين الامراء والقبائل الايرانية وعمل ايضاً على تقوية الروابط الودية فيما بينها .

وتزوج بالأميرة (صابره حانوت) وهي من العائلة الصفوية المالكة لبلاد ايران ، وبذلك ازداد التقارب بين الاسماعيليه والصفويين وأصبح الامام بعد هذا التقارب يسيطر على شؤون ايران السياسية وأعاد الأمن والنظام والطمأنينة إلى البلاد التي عاشت بسلام مدة وجيزة من الزمن .

ومن جهة ثانية قدم المساعدات لاتباعه الاسماعيليين وقوى دعوته في جميع البلدان ووزع الأموال والعطايا على المناطق الفقيرة ، وأرسل بعض الدعاة إلى البلاد السورية لتفقد أمور الاسماعيليه التي كانت قد تحسنت أحوالهم في عهد هذا الامام ، وكان يتولى رئاسة الدعوة في سوريا العالم الاسماعيلي الكبير (ابو الفوارس) المولود في قلعة المينقه سنة ٨٩١ هجرية . أعلنت وفاة هذا الامام سنة ٩١٥ هجرية ودفن في مدينة (نجدان) ولا يزال ضريحه حتى الآن مشيداً في وسط روضة غناء تحف بها الزهور والأشجار الجميلة ويؤمه الاسماعيليون للزيارة والتبرك .

الإمام مراد ميرزا

ولد الإمام مراد ميرزا ابن الإمام أبو ذر علي سنة ٨٦٨ هجرية في مدينة (نجران) الإيرانية وجلس على أريكة الإمامة بعد وفاة أبيه سنة ٩١٥ هجرية .

وجه اهتمامه لتحسين وضع الاسماعيلية وتقويتهم في جميع البلدان التي يقطنونها ، وقد وزع عليهم الارشادات القيمة مصحوبة بالدعاة الأكفاء ذوي المقدرة العلمية والخبرة الفلسفية ليقودوهم الى شاطئ المعرفة السكية لأصول المذهب الاسماعيلي ، وعمل على زيادة عدد المؤسسات العلمية وخاصة في البلدان النائية التي أدخلت اليها الاسماعيلية حديثاً ، وقد سبطر هذا الإمام سيطرة تامة على شؤون إيران السياسية وأصبح المرشد الأول لملوك إيران الصفويين الذين يمتنون اليه بصلة النسب من ناحية والدته «خواله» وأصبح الجيش الإيراني يضم بين صفوفه نخبة ممتازة من القواد والجنود الاسماعيلية ، وعمل على تعيين بعض العلماء الاسماعيلية في مناصب عالية ومراكز ممتازة في المملكة الإيرانية .

في عهده نشطت الحركة الفكرية في جميع البلدان الاسماعيلية وازدهرت التجارة والصناعة فأصبح الفرد الاسماعيلي في مدة وجيزة من أغنى التجار وأمر الصناع في البلاد التي يقطنها .

وكان ذلك كله بفضل إرشادات ومساعدات الإمام الذي لا يفتأ ساهراً على اتباعه المؤمنين الموحدين المخلصين له والمتفانين في سبيل عقيدتهم المثلى وهدفهم الأكمل ، أما النشاط الاسماعيلي في سوريا فقد كان يدعو إلى القلق نتيجة للاختلافات والاضطرابات التي حصلت بين الصفوف اثر وفاة الداعي السوري « ابو الفوارس » وعدم اتفاق المشائخ في تعيين خلف له .

ذهب وفد من الاسماعيلية السوريين لمقابلة الإمام وعرض هذا الخلاف عليه ولما مثل الوفد بين يدي الإمام قدموا له بعض الهدايا والتحف النادرة ، وقيل حملوا معهم بعض الكتب السرية التي كان يملكها الإمام وفي احمد ، وبقيت في بيت الدعوة بمصياف ، مع ما تجمع لديهم من أموال الزكاة والخمس . سر الإمام سروراً عظيماً بتلك المؤلفات ووزع عليهم بعض الهدايا ومنحهم الرتب والألقاب وأعاد لهم الأموال لتنفق في بلادهم على المشاريع الاصلاحية والحركة العلمية ، ولمساعدة فقراء الاسماعيلية الذين يعيشون في المدن السورية ، وعين لهم الداعي ابو يزيد السرديني ليتولى رئاسة الدعوة خلفاً للداعي الفقيد (ابي الفوارس) وبما ان هذا الداعي كان يتمتع بثقة الجميع ومشهور بعفته وحياده التام فقد لاقى تعيينه التأييد التام من الجميع فعادوا من لدنه شاكرين تلك النعمة العظيمة .

كان الإمام مراد ميرزا من ألمع السياسيين في ذلك العصر وأقدر العلماء يتمتع بمقدرة علمية فائقة ، محباً للخير والسلام يقضي لياليه ساهراً يرعى قبايعه ويرشدهم إلى طريق الخير والفلاح والنجاح .

وكانت تأتيه آلاف الاسماعيليه من جميع أنحاء العالم ليقدّموا بين يديه
الأموال والهدايا فيزودهم بالارشادات والتعاليم التي من شأنها أن ترفع
مستواهم العلمي والصحي والاجتماعي .

أصيب الإمام بمرض شديد توفي على أثره في السابع من ذي القعدة
عام ٩٢٠ هجرية ودفن في بلدة (نجدان) ولا يزال ضريحه هناك تحيط
به روضة غناء وتحف به بساكنة نضرة .

الامام ذو الفقار على

هو الامام علي بن الامام مراد ميرزا كانت ولادته سنة ٨٨٦ هجرية في مدينة (نجران) الايرانية ولقبه (ذو الفقار) جلس على اريكة الامامة سنة ٩٢٠ هجرية بعد وفاة ابيه .

أشرف بنفسه على تنظيم المعاهد العلمية الاسماعيلية المنتشرة في نواحي ايران ، والهند ، والسند ، وكشمير ، واذربيجان ، واحضر الاساتذة والمدرسين ذوي الاخلاق الفاضلة والمقدرة العلمية الفائقة وخصص الاموال الطائلة لتنفق على شراء المؤلفات القيمة التي تبحث في جميع العلوم ولتحقيق المشاريع الاصلاحية والاجتماعية في البلاد .

اما الاسماعيلية في سوريا فقد حلت بهم الويلات واذيقوا انواع العذاب والاضطهادات من قبل الحكام فاستتروا عن العيون مدة من الزمن حتى هوجمت سوريا من قبل السلطان سليم الأول فهبوا لمساعدته وقضوا على جيوش (قانصوه الغوري) وكان لهم الفضل الأول في دحر جيوشه

واغمد أحد الفدائية خنجره في صدر (قانصوه الغوري) ثم قذفوه بين
سنايك الخيل ، وولت جيوشه الادبار .

دخل السلطان سليم الاول سوريا . وما كادت قدماء تطأ ارض حماه
حتى عرج على (بعرين) حيث يقيم شيخ الاسماعيلية وكبير دعائهم محمد
الرفني فقدم له الشكر الجزيل للمساعدات القيمة التي قدمها الاسماعيليون
لجيوشه ، وعرض على هذا الداعي مبالغ كبيرة من الأموال فرفضها بإباء
وعزة نفس قائلاً له انما فعلنا واجبنا يا بني ، ليس لي عندك الا مطلب
واحد ، هو عندما تطأ قدماك ارض دمشق سوف يقف جوادك بمكان
فيها ويأبى المسير ، فاحفر موضع قدميه تعثر على ضريح العلامة الاسماعيلي
الكبير الشيخ محي الدين العربي فأوليه عنايتك لأنه قد قدم خدمات علمية
عظيمة للعالم الاسلامي ، فانحنى على يديه السلطان مقبلاً وانصرف .

دخل السلطان سليم دمشق ووقف جواده على سفح جبل الصالحية
ورفض المسير بعد كل المحاولات التي بذلت لاقتناعه بالعدول عن قراره ،
ذكر السلطان سليم وصية ذلك الشيخ فأمر أتباعه بأن يحفروا في موضع
قدمي الجواد فعثروا على بقايا ذلك الجسد الطاهر فوضع ضمن نعش عظيم
وأمر السلطان ان يهدم ضريح يزيد وتنقل جميع محتوياته لتوضع على
ضريح الشيخ محي الدين ، وشيد بقرب الضريح جامعاً عظيماً لا يزال قائماً
حتى الآن .

اعتقد الاسماعيليون بأن السلطان سليم سوف يمنحهم كامل حريتهم في
مزاولة شعائهم الدينية ، وسوف يعيد لهم بعض القلاع التي فقدوها
ويعوضهم عن ممتلكاتهم التي فقدوها ، ولكن السلطان سليم ما لبث بعدما
استقر به المقام واستتب له الأمن في البلاد أن جرد الحملات على الاسماعيلية

٣٠٠ تاريخ الدعوة الاسماعيلية

القاطنين في القلاع واذاقهم الويلات ، فتواروا عن الانظار واستتروا عن
العيون متفرقين في البلاد .

اهتم الامام بأخبار الاسماعيليين السوريين وسمى لدى السلطان سليم
طالباً منه أن يمنحهم كافة الحريات ويعوض عليهم عما اصابهم من نكبات
ومصائب نتيجة تهجمات الجيوش العثمانية عليهم .

أظهر السلطان سليم بعض الموافقة على تلك المطالب وأمر أن يمنح
الاسماعيلية قليلاً من الحرية لمزاولة شعائرهم الدينية ، فتحسنت حالهم
قليلاً ، غير أنه ما لبث طويلاً حتى نقض عهده بعد وفاة الامام .
وتوفي الامام (ذوالفقار علي) سنة ٩٢٢ هجرية في شهر ذي الحجة ودفن
في مدينة (نجدان) الايرانية .

الإمام

نور الدين شاه

هو الإمام نور الدين ابن الإمام ذو الفقار علي ، كانت ولادته سنة ٨٩٣ هـ في بلدة (نجدان) . جلس على مسند الإمامة بعد وفاة أبيه سنة ٩٢٢ هـ لقبه (حق زمان) .

وجه اهتمامه لتحسين احوال الاسماعيلية في جميع البلدان التي يقطنوها ، وأمن لهم الرخاء والرفاهية ، وأغدى الأموال الطائلة لتحقيق المشاريع الاجتماعية والعلمية ، واعتنى عناية خاصة بالأخبار التي كانت تصله عن احوال الاسماعيليين في سوريا ، الذين اضحوا بحالة يرثى لها من الفقر والعوز والحرمان ، عدا عما يلاقونه من الاضطهادات ، وكان الإمام يمدحهم بالأموال والارشادات القيمة .

أما بقية المناطق الاسماعيلية فقد سارت بتقدم مستمر نحو الرقي والازدهار ، واصبحوا يدعون لمذهبهم جهراً بدون خوف أو وجل . كان الإمام نور الدين شاه عالماً متمتعاً في دراسة أصول الفلسفة الرومانية مبال لإجراء المناظرات والمناقشات العلمية مع أتباعه ودعائه .

أولى الثقافة والعلوم جل اهتمامه ، ووزع ما يأتيه من أموال وهدايا على دور العلم ، وإنشاء مكتبة عامة في قصره يرتادها جميع الناس ، وقيل أنها كانت تحتوي على ستين ألف مجلد جميعها تبحث في الفلسفة والأدب والاجتماع .

انتابت العلاقات التي تربط الامام مع ملوك ايران بعض الفتور ، واعتكف الامام ببلدته (نجدان) لا يغادرها إلا عندما يقوم بجولة لتفقد أحوال اقباعه الاسماعيليين وليزودهم بالنصائح والارشادات التي من شأنها أن تؤمن لهم السعادة في الدارين .

وعلى الاجمال فقد كانت أحوال الاسماعيليين في عهده تدعو الى الراحة والاطمئنان ، وكانوا يعيشون برغد ، وعلاقاتهم مع جميع الجوار كانت ودية ، وأمر الإمام بأن تشيد المساجد الاسماعيلية في الهند ، واذربيجان ، وكشمير ، ومحلات من ايران .

ولقد مدح الإمام نور الدين شاه بقصائد الشاعر الاسماعيلي (الخاكي الخراساني) أثارت حسد ونقمة ملوك ايران ، فأمروا بالقبض على ذلك الشاعر بتهمة (نشر عقائد لا تتفق مع عقائد الدولة) فالتجأ إلى معقل الإمام وعاش في كنفه يتغذى من علومه الفريدة وإرشاداته النيرة ، فجادت قريحته العامرة بأشعار خللت الاسماعيلية أبد الدهر . توفي نور الدين شاه سنة ٩٥٧ هجرية ودفن في مدينة (نجدان) الإيرانية .

الإمام خليل الله علي

ولد الإمام خليل الله علي ابن الإمام نور الدين سنة ٩٣٢ هجرية في بلدة (نجدان) وأصبح اماماً بعد وفاة أبيه سنة ٩٥٧ هجرية .
وجه اهتمامه لتنظيم الدعوة الاسماعيلية وأدخل بعض التعديلات الطفيفة على لباس موظفي الدعوة الاسماعيلية وأجبرهم على ارتداء الجبة الخضراء والعمامة الحمراء ، وخصص لهم الرواتب ووزع عليهم الأموال لتصرف بمعرفة لجنة خاصة على نشر الدعوة الاسماعيلية وتقوية مركزها في البلدان .
وأوفد العلامة الاسماعيلي الفيلسوف (داود الحسني) وكيلاً عنه إلى بلاد السند وملحقاتها ، يعاونه الداعي (الياوا هاشم) برتبة مرشد ديني .
عمل هؤلاء على نشر الدعوة الاسماعيلية في تلك البلاد فأقبلت الجماهير عليهم اقبالاً يبشر بسرعة الانتشار ، وغصت اماكن الاجتماعات بالاف المستمعين الذين حضروا من كل صوب لاستماع الوعظ والارشاد والاستفادة من الدروس والمحاضرات الفلسفية التي تبحث في اصول المعتقدات الاسماعيلية وكان يحكم تلك المقاطعة الأمير (محمد سمرة) فشمر بأن

الدعوة الاسماعيلية قد أوشكت أن تكتسح البلاد وبسات
 خطرها يحيق بامارقه ، فدبر مكيدة للانقاع بالدعاة الاسماعيلية ،
 ولكنهم تواروا عن الانظار ووزع هذا الأمير على الأهليين المناشير
 يحذرهم من حضور الاجتماعات التي يعقدها الاسماعيلية ، وشدد في البحث
 عن الداعين داود الحسني والياوا هاشم فغادروا البلاد عائدين الى
 مقرهم ليعرضوا عليه الأمر .

وارسل الامام عدداً آخر من المرشدين الى الأقطار النائية من الهند
 والخالصة من العمران وزودهم بالأموال والارشادات ، فتوغلوا في تلك
 المناطق الخالية من العمران وشيدوا فيها القرى والمزارع النموذجية ،
 ونشروا دعوتهم هناك بكل نشاط واخلاص .

أما الاسماعيليين السوريين فقد كانت اخبارهم تتوارد الى بيت الدعوة
 مبشرة بسوء حالهم ، وكيف ان التفرقة عادت الى صفوفهم ففرقتهم على
 المدن السورية ليعيشوا مستورين عن أعين الأضداد ، وانقسموا على أنفسهم
 فرق عديدة تبعت كل منها أحد المشائخ الذين كانوا ولا شك أسباب
 اضمحلال وتفرقة الاسماعيليين السوريين وذلك لاختلافهم بين بعضهم على
 تولى المشيخة والزعامة ، وبنتيجة حبهم للأناية وصلت الاسماعيلية في سوريا
 الى ما وصلت اليه من تأخر وانقراض ، ولولا تلك الزعامات الزائفة
 والخزعبلات الكاذبة لبقيت الاسماعيلية في سوريا مثلاً رائعاً في الاخلاص
 والمحبة والصدق والوفاء والتضحية ، ولكن هكذا اقتضت الارادة العلوية
 التي لا مرد لقرارها .

وكانت اموال الزكاة والخمس تنقل الى مقر الامام من مختلف المناطق
 الاسماعيلية فتصل جميعها في يوم عيد جلوس الامام على أريكة الامامة ،

وكان يأمر بتوزيعها وانفاقها على المشاريع الحيوية بمعرفة لجان خاصة مؤلفة من كبار رجالات الدعوة ويشرف عليها الامام بنفسه .
وعلى الاجمال فقد كانت اصلاحات وخدمات هذا الامام كثيرة متعددة استفادت منها الاسماعيليه افادات جمة .

وبما انه كان يتمتع بشخصية علمية سياسية عظيمة فقد ازداد نفوذ أتباعه وقويت شوكتهم وانتشروا في الاقطار النائية البكر فعمروها وبذلوا جهوداً مشكورة لتحسين حالة سكانها الأصليين وترقيتهم اجتماعياً ،
وتأمين الغذاء والكساء لهم فعاشوا بخير واطمئنان .

توفي الامام خليل الله علي في ١٥ شعبان سنة ٩٣٣ هجرية ودفن في بلدة (نجدان) في مقبرة الأئمة الاسماعيليه ولا يزال ضريحه باقياً حتى الآن تؤمه الاسماعيليه من جميع انحاء البلاد للزيارة والبركة .

الامام شاه نزار

ولد الامام نزار ابن الامام خليل الله علي سنة ٩٧٢ هجرية في مدينة (نجدان) وجلس على أريكة الامامة سنة ٩٩٣ هجرية بعد وفاة ابيه . كان عهده زاهياً برزت فيه التقدمية التي مرت فيها الدعوة الاسماعيلية خلال كفاحها الطويل الذي تهدف من ورائه لخدمة البشرية وتأمين الخير والطمأنينة لجميع الشعوب .

رأى الامام نزار أن يشيد مدينة حديثة يحملها مقراً لامامته ومركزاً رئيسياً لدعوته ، فوق اختياره على مرجة خضراء بقرب جبل (بندي) تحيط بها السهول السندسية المنبسطة من جميع الجهات وأمر ان تبنى على تلك البقعة الطيبة مدينة تتسع لآلاف الاسماعيليين وتستوعب عدداً ضخماً من الابنية الحديثة لتكون مؤسسات علمية واجتماعية وامساكن للاجتماعات العامة ، وأن يشيد في الضاحية الغربية منها قصراً منيعاً ليكون مقراً للامام وعلى مسافة بضعة أمتار منه تبنى المكتبة الاسماعيليه العامة ، ونخصص لتلك المشاريع الاموال الطائلة .

وبعد أن شيد القصر انتقل الامام ورجال دعوته اليه وسميت تلك البلدة (الكهك شاه نزار) ووجه الامام نزار عنايته للمناطق الحصبة التي تحيط بمدينةته ، وأمر ان تبنى المزارع الحديثة والحداثق الفنية الغناء ، وجلب اليها الاغراس الجيدة من مختلف البلدان ، فأضحت بعد مدة وجيزة روضة غناء تحتوي على مختلف انواع الفاصكة والخضراوات. ، وعمم الزراعة بين أتباعه فتعاطوا هذه المهنة وخدموها باخلاص فدرت عليهم الخيرات والأمول الطائلة ، وسميت تلك المقاطعة بحداثقها وبساتينها ومزارعها (نزار آباد) أو (باغ تحت) وجلب الامام المدرسين واستقدم العلماء و الفقهاء من جميع الأقطار ، وحشدتم في الجامعة الاسماعيلية التي بناها في تلك المدينة ليدرسوا مختلف العلوم والفنون .

فأم تلك المدينة الحديثة آلاف التلاميذ وطلاب المعرفة ، وكانت تلقى عليهم المحاضرات والمجالس الدينية يوميا في قاعة المكتبة العامة من قبل المرشدين والدعاة وكان الامام نزار نفسه يلقي محاضرة واحدة في كل اسبوع يعالج فيها النواحي الفكرية والاجتماعية والدينية .

وبالحقيقة كان عهد الامام من أرقى العهود التي وصلت اليها الاسماعيلية بعد انتقال دعوتهم من مصر ، ذلك ما ساعدهم على توسيع نطاق دعوتهم فازدادت انتشاراً في الهند ، والباكستان ، وكشمير ، وسيلان ، وايران ، كما تحسنت اوضاعهم وعظمت مكانتهم في الاقاليم والبلدان نظراً لما كان يتمتع به امامهم من منزلة سياسية واجتماعية وعلمية في مختلف الأقطار ، ونبغ من الاسماعيلية شعراء وأدباء وعلماء كان لهم الفضل في تكوين النهضة الأدبية في إيران وما جاورها من المناطق ، نذكر منهم

(الشاعر الفيلسوف قاسم أميري - والعلامة الشهير عبد الغني الحسن)؛
والامام نزار بحد ذاته كان عالماً لا يحارى وفقهياً لا يشق له غبار، تعمق
في دراسة كافة العلوم واطهر نبوغاً عجبياً فيها جميعاً .
أولى الدعوة الاسماعيلية في سوريا اهتمامه وأوفد بعض الدعاة مزودين
بالامدادات الكثيرة والأموال لمساعدة الاسماعيليين السوريين .
توفي الامام نزار سنة ١٠٣٨ هجرية في مدينة (الكهك شاه نزار)
ودفن جسده الطاهر في روضة غناء تحف بها الأشجار من جميع الجهات
ولا يزال ضريحه الكريم باقياً حتى الآن يزوره سنوياً آلاف الاسماعيلية
ويوزعون الصدقات والهبات للفقراء والمساكين بهذه المناسبة الكريمة .

الامام

شاه سيد علي

هو الامام اسماعيل آغا حسن شاه ابن الامام شاه نزار كانت ولادته سنة ١٠١٥ هجرية في مدينة (كوهك شاه نزار) اشتهر وعرف بـ (شاه سيد علي) وجلس على أريكة الامامة الاسماعيلية بعد وفاة ابيه سنة ١٠٣٨ هجرية .

كان الامام شاه سيد علي عالماً تقياً وسياسياً عظيماً . وقد كان له تأثير عظيم على شؤون ايران الداخلية ، لما يتمتع به من مركز ممتاز ومنزلة خاصة لدى ملوك ايران ، وبعد ان توفي ملك ايران اصبح الامام شاه سيد علي نجل الملك شاه عباس الثاني .

وقد تمكن بوقت قصير من السيطرة على شؤون ايران السياسية ، وبذل جهوده لانقاذ البلاد مما كانت تعانيه طوال قرون عديدة ، وشكل لجنة شعبية مهمتها سن الانظمة والقوانين الحديثة لخلق ايران جديدة بقوانينها وانظمتها . ومؤسساتها وحياتها الاجتماعية ، ووجه عناية خاصة لمساعدة الطبقة الفقيرة وهي الاكثرية الساحقة في البلاد فأوجد المشاغل والحرف ووزع الغداء واكسأ

على افراد الشعب البائس المعدم . وسن قانوناً خاصاً شيدت بموجبه الملاجىء
لتضم المعجزة والمشردين وذوي العاهات ، وخصص الاموال للاعتناء بالصحة
العامه ولبناء المستشفيات والمؤسسات الصحية .

وهكذا نرى بأن الامام الاسماعيلي كان يسيطر سيطرة تامة على
شؤون ايران الداخلية والخارجية ، واصبحت للاسماعيلية دولة قوية
يحانب المملكة الايرانية ، فازداد نفوذهم وعلت كلمتهم واصبح الجيش
الايراني يضم بين صفوفه الأغلبية الساحقة من الاسماعيليين ، لأن الامام
قد جهز فرقاً عديدة من الشباب الاسماعيلي المشهورين بخبرتهم الواسعة
ومقدرتهم العظيمة في فنون الحرب والقتال ، وأصبح أكثر رؤساء المقاطعات
والسفراء والوزراء والموظفين من الاسماعيلية الذين ضحوا براحتهم
وارواحهم عاملين ليلاً نهاراً لانقاذ الشعب الايراني وتخليصه مما هو فيه ،
وفعلوا تمكنوا من النهوض بالشعب الايراني وايصاله الى درجة عظيمة من
الرقى ، ووجه الامام شاه سيد علي عنايته الخاصة لاتباعه الاسماعيليين في
جميع اقطارهم ووزع عليهم الاموال التي كانوا يقدمونها له وامر
بانفاقها لتحسين أوضاعهم ، وكانت تأتيه تلك الاموال الى مقره وتسلم
اليه باحتفالات عظيمة يساهم فيها الاسماعيليون من جميع أنحاء العالم وتستمر
تلك الاحتفالات اسبوعاً يقدم خلالها للامام المؤلفات الاسماعيلية الحديثة
التي ظهرت خلال العام والأدباء الاسماعيليين الذين اظهروا تفوقاً ونبوغاً
خلال العام المنصرم ، وكان الامام محبوبهم بمطفه ويفدق عليهم الهبات
والعطايا ، وكانت المناظرات العلمية تجري طوال مدة الاحتفالات تحت
اشراف ورعاية الامام ، وتختتم الاحتفالات بخطاب قيم شامل يتحدث
فيه الامام عن جهود الاسماعيلية في العام الفائت ويزودهم بالتعاليم
والنصائح والارشادات ليحملوها معهم الى اخوانهم ، ولكتون عوناً لهم في

العام القادم ، وكانت البلاد الايرانية تستفيد افادة عظيمة من هذا الموسم .

حاول الامام شاه سيد علي أن ينهض بالاسماعيليين السوريين بعد أن جاءته وفودهم ، فأغدى عليهم الأموال وزودهم بالدعاة العلماء والمؤلفات القيمة ، وأمرهم أن ينفقوا تلك الاموال على المشاريع العلمية والصحة والاجتماعية ، وما تبقى من الاموال يوزع بمعرفة لجنة خاصة على الفقراء والمعوزين .

وتوسط لدى السلطان العثماني طالباً منح اتباعه السوريين كامل حريتهم الدينية وان يُعفوا من الضرائب بضع سنوات كتعويض عن ممتلكاتهم ، وقد تمكن الامام من انهاء النزاع المزمع حول رئاسة المشيخة وعين الشيخ خضر بن يوسف بن أحمد ، وهذا الشيخ كان من الموثوق بهم ومشهور بفزارة علمه وسعة اطلاعه وإخلاصه وتفانيه في خدمة الدعوة الاسماعيلية ، وقد لاقى هذا التعمين والقبول والتأييد من الجميع ، وعلى الاجمال فقد كانت الاسماعيلية في عهده تعيش برخاء وبجبوحية يسيطر عليها الحب والوفاء ، وقد بلغوا درجة عظيمة من الرقي والتمدن بفضل سهر الامام المتواصل على شؤونهم هذا ما جعلهم يتقدمون بخطى سريعة في جميع الحقول ليحتلوا المكان اللائق بهم كأمة تؤمن بالقيم الروحية .

توفي الامام شاه سيد علي سنة ١٠٧١ هجرية ودفن في مدينة (كرمان شاه) من مقاطعة كرمان .

الامام

حسن علي

ولد الامام حسن علي ابن الامام شاه سيد علي سنة ١٠٤٢ هجرية في بلدة (كوهك شاه نزار) وتولى الامامة الاسماعيليه بعد وفاة ابيه سنة ١٠٧١ هجرية .

في عهده راجت الدعوة الاسماعيليه رواجاً عظيماً في الهند على ايدي دعاة علماء كان لهم شأن عظيم في انشاء الروح الفلسفية الاسماعيليه وتحبيبها لاهالي تلك البلاد ، فشغفوا بجميع التعاليم الاسماعيليه وأقبلوا يعبون من ينبوعها الزاخر ويرتشفون من علومها السامية غذاءً روحياً نافعاً ، فحلّقوا بأفقه الشاسع وسمائها الرحبة .

كان الامام حسن علي عالماً فاضلاً يحب السياسة ويتقن بتفوق جميع أساليبها ويتمتع بمكانة سامية لدى شاه ايران ، ولقد بسط نفوذه على الاقاليم التي يقطنها الاسماعيليون وخاصة منطقة كرمان التي استقلت استقلالاً ادارياً عن جهاز المملكة الايرانية ، يدير شؤونها اسماعيليون مخلصون ويشرف عليهم الامام حسن علي بنفسه ، ولقد تقدمت هذه

المنطقة تقدماً مطرداً في جميع النواحي ، وخصص الامام الاموال لتنفق على المشاريع الاصلاحية ، ومد يد المساعدة لاصحاب الحرف والتجارة وزودهم بما يحتاجونه من اموال للمضي في حركتهم التقدمية هذه .

ووجه اهتمامه الزائد لمعالجة الوضع الاسماعيلي في سوريا وتخليص الاسماعيلية مما يعانونه ، فزودهم بالتماليم والارشادات ومد لهم يد المساعدة المالية فكانت بمثابة بلسم لجراحهم فغادر بعض منهم المدن والتجأوا الى قلاعهم ومعقلهم وازداد عددهم فيها ، وظهروا شجاعة عظيمة وتفوقاً اعظم في فنون الحرب والتضحية والبذل ، وكانت دائماً الحملات التي تغزوها تعود مدحورة مكسورة ، وكم من مرة مزقوا شمل الغزاة العثمانيين واحاطوا بالعصابات (النصيرية) التي كانت تغزوها للنهب والسلب والاجرام .

وهكذا تنسم الاسماعيليون الزجاء ونهضوا من كبوتهم التي طال أمدتها ؛ فاشتد نفوذهم ، عادت اليهم اغلب قلاعهم بالتدريج ، كل هذا كان بفضل رعاية وارشادات الامام حسن علي ، وبفضل سهر المشايخ المتواصل على راحة اتباعهم المخلصين .

أمّ القلاع الاسماعيلية السورية آلاف الاسماعيلية قادمين من مختلف المدن السورية تخلصاً من الظلم وهرباً من الاضطهادات ، فغصت بهم تلك القلاع ولم تعد تكفي لاستيعاب حشودهم المتدفقة كأمواج البحر ، فتوسعوا قليلاً باتجاه نهر الخواري وشيدوا القرى والمعقل الحصينة من غارات العصابات المجاورة التي كانت تهاجم في كل وقت وتعود عنهم

وبصورة اوضح فقد كان النهوض الاسماعيلي عاماً شاملاً لجميع الاقاليم والمناطق الاسماعيلية ، وكان الامام حسن علي يشرف بنفسه على سير الاسماعيلية التقدمي ويزودهم بالاموال والنصائح والارشادات ويدير شؤونهم بيد حديدية .

توفي الامام حسن علي في مقاطعة كرمان شاه ودفن في (نجف شاه) ولا يزال ضريحه مشيداً حتى الآن تحج اليه الاسماعيلية من جميع انحاء المعمورة .

الامام قاسم علي

ولد الامام قاسم ابن الامام حسن علي سنة ١٠٩٠ هجرية في مدينة (كوهك شاه نزار) وجلس على أريكة الامامة بعد وفاة أبيه سنة ١١٠٥ هجرية باحتفال مهيب وافراح عظيمة عمت جميع الاقطار الاسماعيلية .

كان الامام قاسم علي يتمتع بمنزلة علمية وسياسية عظيمة جعلته يحتل مكاناً خاصاً في قلوب ملوك وامراء ايران ، وسيطر على شؤون البلاد السياسية واصبحت له الكلمة الأولى في تسير أمورهما ، واضحت اكبر وظائف الدولة بيد الرجال الاسماعيلية الذين اظهروا مقدرة علمية وادارية في المناصب التي آلت اليهم ، واظهروا تفوقاً في سلك الجندي والتعليم ، وكان أغلب اساتذة ومعلمي المعاهد الايرانية من علماء وفلاسفة الاسماعيليين .

واوجد العلماء الاسماعيليون بالتعاون مع العلماء والفقهاء الايرانيين الأنظمة والقوانين المشتقة من الفقه الجعفري ، ولا يزال يعمل فيها أغلب

المحاكم والمؤسسات الحقوقية والقانونية في ايران .
كان الامام قاسم علي يتولى بنفسه ادارة شؤون مقاطعة كرمان ،
واختار لادارتها الرجال الأشداء من اتباعه ومريديه ذوي المقدرة العلمية
فنظموا شؤونها الداخلية حتى أصبحت من اجل واحسن المقاطعات
الايرانية ، و اضاف الامام من ماله الخاص لميزانية تلك المقاطعة على ان
تنفق تلك الاموال لتأمين رفاهية وراحة الشعب وتحسين اوضاعه .

اما فيما يتعلق بشؤون الاسماعيلية عامة فقد وجه اهتمامه لتنظيم
الدعوة ، وارسل المرشدين والمبلغين الكفاء الى المناطق الهندية المتأخرة ،
وكانت تأتيه اموال الزكاة والخمس بصحبه الدعاة المرشدين ، وكان يوزع
قسماً منها لينفق على المشاريع الحيوية بمعرفة اللجان ، وعمل على
زيادة التخصصات للاسماعيلية السوريين والتحفهم بالتعليمات والارشادات التي
كان لها الفضل الاكبر بتقوية مركزهم ، فعاشوا حقبة من الزمن
مرفوعي الرأس وافري الكرامة يسيطر عليهم الحب والاخلاص ،
وكانوا يمارسون معتقداتهم بكل حرية وامان دون أن يتعرضوا الى
احتجاجات الولاة العثمانيين .

في عهد الامام قاسم شاه ثارت القبائل (الفجارية) بوجه ملك
ايران الصفوي يقودها شاه نادر الانشاري واستولوا على المملكة الصفوية
وطردوا الملك .

وكان نادر شاه هذا من أعز واحب أصدقاء الامام قاسم علي
فخطب نادر شاه وده ولاقى تأييده .

توفي الامام قاسم علي سنة ١١٤٣ هجرية ودفن في مقاطعة (كرمان)
ولا يزال ضريحه مشيداً ومعتنى به حتى الآن .

الامام ابو الحسن علي

ولد الامام ابو الحسن علي ابن الامام قاسم علي في مدينة (كوهك شاه نزار) سنة ١١١٥ هجرية وجلس على مسند الامامة سنة ١١٤٣ هجرية بعد وفاة ابيه ، ونقل مركز إمامته الى بلدة (قيان) الواقعة بقرب (دركان) و (جنجيران) .

كان الامام ابو الحسن علي محباً للسياسة ، مولعاً بالتنقل بين اتباعه الاسماعيليين ليشرف على شؤونهم ويتفقد احوالهم عن كثب ، أجرى تمديدات طفيفة على نظام الدعوة الاسماعيلية ، واطلق على الداعي او المرشد (لقب) بادا ، ووجه اهتمامه لتوسيع نطاق الدعوة الاسماعيلية في بلاد الهند وأوفد (البادا علي شاه) لرأس الدعوة في الهند وزوده بالتعاليم والارشادات .

في عهده اندلعت نيران الحروب والثورات الداخلية بين القبائل الايرانية عقب وفاة نادر شاه ، واخيراً تم النصر للأمير (كريم خان) فاستولى على الملك وشرع يستأصل المفاصل والثورات من الجذور ، وكريم

..خان هذا ينتسب الى العائلة الذندية المريقة بالشجاعة والاقدام والمشورة بحبها وميوها للاسماعيليين ، حتى ان كريم خان عندما اضحى ملكاً على ايران كان يقول للناس انا لست الا عبداً مخلصاً اميناً لمولاي حاضراً امام ابي الحسن علي ، وقد أجرى كريم خان تعديلات كثيرة في نظام الحكم الايراني ووجه عنايته لأصلاح شؤون البلاد ولتقوية ورفع مستواها الاقتصادي والاجتماعي والصحي ، وكانت ارشادات الامام عوناً له في مهمته الشاقة الصعبة ، وتمكن بمدة وجيزة من النهوض بالشعب الايراني فازدهرت البلاد وخيم عليها الرخاء ، اما الاسماعيليون فقد عاشوا بطمأنينة ترعاهم ارشادات الامام ابو الحسن علي ، وساهم هذا الامام مساهمة فعالة بتقوية الاسماعيليين السوريين ومد يد المساعدة لهم ، وعلى الاجمال نجحت الاسماعيلية في عهده نجاحاً لا بأس به وانتشرت بقوة في كل من الهند وكشمير وايران

توفي الامام ابو الحسن علي سنة ١١٩٢ هجرية ودفن في وادي السلام بالنجف الاشرف .

الامام شاه خليل الله علي

ولد الامام شاه خليل الله علي ابن الامام ابو الحسن علي سنة ١١٥٣ هجرية في بلدة كرمان شاه ، وأصبح إماماً بعد ابيه سنة ١١٩٤ هجرية . كان محباً للعلم كريماً ، قضى حياته بعيداً عن غمار السياسة مخصصاً اوقاته للسهر على مصالح اتباعه ، ووزع جميع ما يقدم اليه من أموال الزكاة والخمس لتنفق على المشاريع الاصلاحية وعلى المستشفيات ودور العلم ، اشتهر بكثرة تنقله بين اتباعه ومريديه ، وبزهدہ وتقشفه ، كان ميالاً لدراسة العلوم الدينية متعمقاً في اصول الفلسفة الاسماعيلية .

تزوج من ابنة عمه الأميرة (بي بي سركار) كريمة الأمير مرزا محمد باقر خان ، وكان يكبرها بعامين ، وبعد وفاتها تزوج ثانية من الأميرة (يمن) ورزق منها اربعة ذكور وبنيتين هما شاه حسن علي ، ومحمد تقی خان ، ومحمد ابو الحسن ومحمد باقر خان ، والأميرة (شاه بي بي) والأميرة (كوهار تاج بيكم) .

في عهده اشتعلت الفتن والثورات الداخلية في البلاد ، وبينما كان

يشتغل حسب عادته بين أتباعه ، دبرت مؤامرة لاغتياله من قبل حاكم (يزد) فهوجت دار الامام من قبل الملا حسين وكان الامام اثناء الهجوم يلقي محاضرة دينية في اتباعه العزل من السلاح ، فجرت بينها موقعة حامية استشهد خلالها الامام وقتل عدد من أتباعه المخلصين .

اهتمت السلطات المسؤولة بالأمر وبجهاز الشاه فتح علي ملك ايران جيشاً قوياً لتعقيب المجرمين ، فالقي القبض عليهم واعدوا جميعاً .

بعد تلك الحادثة اشتعلت نيران الغضب بأفئدة الاسماعيلين واشعلوا الثورة في البلاد وهاجموا مقاطعة (يزد) للشار لامامهم الشهيد ، غير أن الشاه فتح علي الفاجاري تدارك الأمر واتصل بولي عهد الامامة الاسماعيلية الذي اصبح إماماً بعد استشهاد ابيه عارضاً عليه التمويضات ويرجوه بنفس الوقت أن يهدىء أتباعه حرصاً على سلامة البلاد ، وكان استشهاد الامام في شهر شعبان سنة ١٢٣٣ هجرية ، ودفن في النجف الاشرف .

الامام شاه حسن علي

هو الامام حسن علي ابن الامام خليل الله علي ، كانت ولادته في بلدة محلات الايرانية سنة ١٢١٩ هجرية وجلس على أريكة الإمامة بعد استشهاد أبيه سنة ١٢٣٣ هـ . لقبه (آغا خان الأول) تزوج من كريمة الشاه فتح علي القاجاري ملك ايران الاميرة (سررجهان بكم) كان عمره أربعة عشر عاماً عندما لقب (بالشاهان آغا خان) .

ونقل مقره الى مدينة محلات فاصبحت مركزاً للإمامة يؤمها الاسماعيليون من مختلف الاقطار ليقدموا بين يديه الزكاة والخمس .

كان الأمام آغا خان الأول يتمتع بمنزلة سياسية عظيمة جعلته يبسط نفوذه على شؤون ايران السياسية متداخلاً في كل شاردة وواردة ، هذا ما جعل وزير المملكة الايرانية (الاقاسي) يخاف ان يقصيه الامام عن الحكم ، فسعى لدى الشاه مراراً يخوفه من مداخلات الامام في شؤون المملكة ومحظراً إياه بأن عاقبة تلك المداخلات ستكون خطراً على العرش ، لأن آغا خان قد أصبح يحتل منزلة عظيمة في قلوب الشعب الإيراني نظراً لخدماته العظيمة في جميع الحقول ، فخاف الشاه على عرشه

وكتب كتاباً الى الامام آغاخان يطلب منه أن يعتزل السياسة ويبقى مستقلاً في منطقة محلات ولا يبدى أي تدخل في شؤون الدولة . وهكذا توترت العلاقات بينها وحدثت بعدها عدة اصطدامات بين الاسماعيليه وجنود الشاه ، وأخيراً قرر الامام أن يغادر البلاد الايرانية ؛ لأنها لم تعد مكاناً صالحاً له واصبح وجوده فيها يشكل خطراً على حياته وسلامة أتباعه ومريديه .

ارتحل الامام شاه حسن علي نحو الهند وقد لاقى في طريقه المشقات واعترضته العقبات والمصاعب ؛ فتغلب عليها وسار حتى وصل إلى (بلوچستان) واستقبل استقبالاً حاراً من قبل الجميع ، ومكث فيها عدة أسابيع للراحة والاستجمام ثم غادرها الى (السند) وكانت بريطانيا تحكم تلك المقاطعة وهي بحالة حرب مع قبائل وامراء تلك المقاطعة ، طلب الحاكم البريطاني رسمياً من الامام شاه حسن علي أن يتوسط لانهاء الخلاف بين بريطانيا وامراء قبائل السند ، وقبل الإمام أن يتدخل بالأمر ، وعقد اجتماعاً مع امراء السند في (كلكتا) وبعد هذا الاجتماع انتهى الخلاف ووافقت بريطانيا على مطالب الامراء .

عرضت بريطانيا على الامام أن يبقى في السند ولكنه اعتذر عن قبول هذا العرض وارتحل الى الهند فوصل (كنج) و (كاتياوار) ومكث في الاخيرة مدة شهرين ، اجتمع خلال هذه المدة مع أتباعه ومريديه الذين قدموا اليه من جميع الجهات وأخيراً اتخذ الامام قراراً جعل بموجبه (بمباي) مقراً له ومركزاً لدعوته .

دخل الامام شاه حسن علي مدينة (بمباي) واستقبل من قبل حاكم تلك المدينة ورجال السلك السياسي وممثلي الدول ومختلف طبقات الشعب ، ومنحته المملكة البريطانية لقب (صاحب السمو) وأرفع وسام في المملكة للسلام .

وما كاد يستقر به المقام في مدينة (بمباي) حتى بدأ يزاول نشاطه السياسي المعروف وتداخل في قضايا الهند العامة وتوسط لدى ملك بريطانيا ليمنح الشعب الهندي بعض الحرية وليقدم له المساعدات لرفع مستواه الصحي والعلمي والاجتماعي .

كان الامام (آغاخان الأول) عالماً مديراً وفيلسوفاً كبيراً يتقن اغلب اللغات الحية محباً للسلام ، سياسياً لا يشق له غبار ، قضى اكثر ايامه في الاعمال الانسانية يسهر الليالي الطوال لتأمين حاجات الشعب الهندي بصورة عامة واتباعه الاسماعيليين بصورة خاصة وبعد عهده ازهى وأعظم العمود التي مرت بها الدعوة الاسماعيلية بعد (مصر) لما أحرزته من تقدم وسرعة انتشار .

أما الاسماعيليون السوريون فقد سيطرت عليهم التفرقة من جديد وحلت بهم المصائب والنكبات من جميع الجهات فتفرق شملهم وتأخرت حالهم ، وشنت عليهم الغارات من العشائر المجاورة واشتعلت نيران الحروب فيما بينهما ، وقد هوجمت مدينة مصياف من قبل عشيرة (الرسالة النصيرية) فانخرجوا الاسماعيليين منها .

ولما علم الامام (آغا خان الأول) بما اصابهم توسط لدى السلطان العثماني الذي أمر بدوره والي دمشق ليرفع الحيف عن الاسماعيليين ، وأرسل الجيوش لاجلاء النصيرية عن مصياف واعادتها للاسماعيلية ، وبعد فترة من الزمن هاجم حاكم مقاطعة طرابلس القلاع الاسماعيلية بجيوش جرارة واحتل قلعة الكهف وقبض على ثمانية من الامراء الاسماعيليين فعلقهم جميعاً على أعواد المشانق ، ونتيجة لتلك الحوادث الدامية ضعف النفوذ الاسماعيلي وخبا نجمهم وزالت دولتهم فغادروا قلاعهم والتجؤوا (٢٢)

الى بعض المدن السورية ليعيشوا بالستر والثقة .
واجمالاً كانت الاسماعيلية في العالم تتمتع بالحرية التامة وتحتل مكاناً
لائقاً في عالم الفكر والادب . توفي الامام بعد أن خلف أربعة أولاد
وهم : آغا علي شاه ، وآغا اكبر شاه ، وآغا جهان كير شاه ، وجنكي
شاه . وكانت وفاته سنة ١٢٩٨ هجرية الموافق ١٨٨١ ميلادية ودفن في
مدينة (مجكاؤن) ولا يزال ضريحه قائماً فيها حتى الآن تحيط به روضة
غناء تعرف (بحسن آباد) .

الامام

علي شاه

ولد الامام علي ابن الامام حسن علي سنة ١٢٤٦ هجرية في مدينة محلات وجلس على مسند الامامة بعد وفاة ابيه سنة ١٢٩٨ هجرية .
اشتهر وعرف (بصاحب السباحة علي شاه آغا خان الثاني) وكان محباً للعلم والعلماء ، له ميول سياسية جعلته يحتل مركزاً سياسياً عالياً في الهند ، واصبح ينطق بلسان جميع الطوائف الاسلامية ، وعمل على تأليف جمعية الاتحاد الاسلامية وانتخب رئيساً لها ، ومهمة هذه الجمعية تقوية الروابط بين الطوائف الاسلامية حتى يتشكل فيها بينها اتحاد اسلامي يهدف الى رفع مستوى جميع المسلمين ليتمكنوا من السير مع موكب الحضارة والتقدم .

وكان مولعاً بالصيد والرحلات الخطرة وركوب الخيل ، ويحسن استعمال الاسلحة بمهارة وتفوق وحاز الامام علي شاه على ثقة ومحبة وتقدير جميع سكان الهند ، لما كان يقدمه لبلاده من تضحيات جسيمة واعمال عظيمة ، ولقد انفق اموالاً كثيرة خصصها لتشييد المدارس

والمستشفيات والمؤسسات الاجتماعية ، وقدم المساعدات المادية والمعنوية للطبقات الفقيرة من أبناء الهند وعين حاكماً سياسياً لمنطقة (بمباي) وممثلاً للمملكة الايرانية لدى الحكومة البريطانية .

تزوج الامام علي شاه خمس نساء رزق منهن ثلاثة اولاد ، ولدت الأميرة شمس الملوك كريمة ميرزا أعلى محمد خان بن نظام الدولة بن عبدالله خان ابن حج محمد حسين خان سياتي الاصفهاني ، سلطان محمد شاه ، وولدت النساء الباقيات ، شهاب الدين شاه ، ونور الدين شاه .

وفي احتفال مهيب ضم آلاف الاسماعيلية الذين قدموا الهند لتقديم الزكاة والخمس للامام أعلن الامام علي شاه بأن نجله الاكبر سلطان محمد شاه قد أصبح ولياً للعهد وسيكون إماماً من بعده .

في عهده عاشت الاسماعيلية برخاء وطمأنينة وانتشرت في بلاد بكر جديدة كافريقيا وبورما وسيلان وغيرها من المناطق النائية ، وامتد أغلب الاسماعيلية التجارة فاصبحوا من اكبر اغنياء تلك المناطق ، ووصل الهند وفد من الاسماعيلية السوريين قدموا ليطلبوا من الامام المساعدات والارشادات وليقدموا بين يديه اموال الزكاة والخمس .

اجتمع بهم الامام مطولاً وعرضوا عليه جميع مطالبهم فوافق عليها ووعدهم بأنه سوف يسعى لرفع مستواهم وتأمين مصالحهم ، وعين لهم المخصصات لتنفق على تحسين اوضاعهم .

وهكذا تنسم الاسماعيلون في سوريا الرجاء وأثروا الى معاقلمهم من كل حدب وصوب فضاق بهم المقام ، وتقدموا بطلبات الى السلطان العثماني راجين فيها ان يمنحهم مكاناً يقطنون فيه بعد ان ضاقت بهم معاقلمهم ، فأجاب السلطان طلبهم هذا وأصدر أمره الى والي دمشق ليسمح للاسماعيلية بأن يختاروا مكاناً ليشيدوا فيه مساكن لهم شريطة ان يعفوا من الضرائب

والجندية ، تجمع الاسماعيليون بزعامة الامير اسماعيل وذهبوا باتجاه المنطقة الشرقية حتى وصلوا الى سهول السامية فقرروا ان يعيدوا تأسيس مدينة السامية التاريخية بعد ان دمرتها الحروب وهكذا كان وستحدث عنها بالتفصيل في نهاية هذا الكتاب .

والخلاصة نهضت الاسماعيلية نهوضاً عاماً شاملاً وانتشروا في جميع البلدان وازدهرت اعمالهم التجارية واصبحوا من ارقى الشعوب ، كل هذا بفضل اخلاصهم وتفانيهم وطاعتهم العمياء لامامهم المعصوم الذي يسهر دائماً على مصالحهم ويؤمن لهم السعادة والرخاء . توفي الامام علي شاه سنة ١٣٠٢ هجرية ونقل جسده الطاهر الى مدينة كربلاء ودفن بجوار اجداده الطاهرين .

الامام

سلطان محمد شاه علي

على رابية جميلة تكتنفها الاشجار الباسقة الوارفة الظلال تحيط بها سهول منبسطة تنساب بين جنباتها الانهار والسواقي الرقراقة ، وفي خصلة من منعطفات تلك السلسلة من الهضبات المخضار الواقعة في الجانب الشرقي من مدينة (كراتشي) عاصمة الباكستان ، هناك في ذلك المكان الجميل الذي اصبح محجاً للزائرين والسياح الوافدين اليه من جميع انحاء العالم ، ولد الامام سلطان محمد شاه علي الشهير (بآغا خان الثالث) ابن الامام علي شاه وكانت ولادته يوم الاربعاء في الثاني من تشرين الثاني سنة ١٨٧٧ ميلادية الموافق الخامس والعشرون من شوال سنة ١٢٩٤ هجرية في (منزل شهر العسل) في محلة القمة المحمدية ، وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً في مدينة (كراتشي) تخللته الحفلات والمهرجانات الشعبية الرائعة ، ولم تقتصر الحفلات والمهرجانات على مسقط رأسه فحسب بل امتدت الى كافة المناطق التي يقطنها الاسماعيليون ، واهيئت الزينات والحفلات واستبشر الناس خيراً بمولد هذا الامام العظيم ، واقبلت الجماهير تتدافع

نحو المكان (المقدس) حيث انبثق منه ذلك النور السرمدي الوهاج الذي
 شع على العالم فانسار ظلمات القلوب وبعث الحياه في النفوس
 المهذبة الضعيفة .

وما كاد يسير على رجله حتى اظهر اهتماماً كبيراً بمختلف الالعب
 وحباً بالغاً للحيوانات فاعتاد ان يطعم بيديه الطباء ، والوعول ، والخيول
 الموجودة في حديقة منزله ، وكان يُسر سروراً عظيماً عندما يمتطي
 صهوة جواده ، وهذا الشعور جعله فيما بعد يقتني احسن خيول العالم ،
 ولما بلغ الخامسة من عمره المديد توفي جده كما توفي والده بعد ذلك
 بثلاث سنوات .

لقد كانت حياة هذا الامام سلسلة من الاعمال الخيرية والاصلاحات
 المتعددة ، فمنذ اللحظة التي بدأ بها مسؤوليته كزعيم روحي للاسماعيلية
 وهو في الثامنة من عمره ظهرت عليه امائر النجابة والذكاء والجهد
 والنشاط ، وبينما كان معظم اترابه من الاطفال يلتحقون بالمدارس
 الابتدائية كان يتربع على عرش الامامة ليدبر شؤون اتباعه بحكمة ناجحة
 تبهر العقول وتحير الافكار بالنسبة لمن هم في سنه .

شغف منذ صغره بالتنقل فلا يكاد يستقر في مكان حتى ينتقل الى
 آخر ، وكانت هوايته المفضلة هي ان يجمع اكبر عدد ممكن من التماثيل
 واللوحات الفنية وتربية الحيوانات بأنواعها وخاصة الخيول الجميلة فأنشأ
 لها اصطبلًا صغيراً يشرف عليه ويهتم به بنفسه .

وكما نوهت سابقاً كان شديد الولع بالرحلات والتنقل ويرى ان
 لافائدة للانسان اذا لم يحتك بغيره ويختبر الحياة على نطاق واسع ولو
 كلفه ذلك عناء ومشقة كبيرين ولا يهدف من وراء ذلك الا خدمة ابناء
 قومه والسهر على مصالحهم والاحتكاك بهم والاصغاء الى شجونهم ومعرفة

كل صغيرة وكبيرة من احوالهم الخاصة والعامة ، وكان هدفه الاكبر ان يرى ويشاهد اتباعه الاسماعيليين يتطورون ويتقدمون في جميع نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، لذلك خصص قسماً كبيراً من اوقاته ليوجه ويدرس عن كثر احوال اتباعه في شتى انحاء العالم ، في مصر ، وسوريا ، وافريقيا ، وايران ، وافغانستان ، والهند ، وروسيا ، وهولندا ، آملًا ان يوافق لجعلهم يشعرون بانهم يعيشون تحت سقف واحد وعلم واحد وقيادة واحدة تربطهم الرابطة الروحية الاسماعيلية وتدعمهم العقيدة المثلى وهي الهدف الاعلى لكل اسماعيلي يتطلع الى الغاية النبيلة ليرى الخير والسلام والطمأنينة تعم الانسانية جمعاء .

قضى الامام سلطان محمد شاه الشاب الجدي العملي النشط سني شبابه في التأمل والتفكير بالطريق الذي سيشرقه لاتباعه ليتقدموا ويتبوأوا مركزهم اللائق في العالم وليؤدوا رسالتهم المقدسة لتحرير الانسانية من الخوف والجهل والفقر والعوز ، ووجه اهتمامه الكلي لتنشئة وتعليم الجيل الجديد الذي يعتقد فيه الخير والفضيلة ، فشرع بتأسيس دور الحضارة ودور الايتام والجمعيات الخيرية ، ورأى بان لا فائدة من النظريات والآراء اذا لم تدعم بالعمل والانتاج وان لا حياة لأمة اذا لم تعب من منهل الحضارة العذب وتسير مع عجلة الزمن بسرعة نحو التطور والرقى ، وكانت الناحية الهامة في نظره هي تنشئة جيل صغير مدرب خير تدريب على حمل المسؤوليات والشعور بالواجب ، وذلك بتشجيع الفرق الكشفية وروابط الطلبة وجمعيات رعاية الطفولة وانشاء أندية خاصة للصغار يتمرنون فيها على سلوك انجع الطرق الكفيلة بنجاحهم واسعادهم ، وأخذ سموه يوجههم توجيهاً علمياً ويدعوهم لتعاطي التجارة الحديثة وطرق ابواب الاقتصاديات بأنواعها مشجعاً الهجرة الى افريقيا والعالم ، فبدأ سيل المهاجرين

الاسماعيلية يتدفق من الهند الى باقي اقطار العالم ، هذا ما نشط الحركة التجارية فأُسست البنوك والمصارف الصناعية والزراعية وهكذا لم تنض فترة من الزمن حتى أصبحت الاسماعيلية في طليعة الطوائف الهندية بفضل جهود وتوجيهات الامام الساهر على مصلحتهم والخلص الوفي المرشد لأبنائه الروحانيين .

إن اهم ما يتميز به عهد هذا الامام هو ذلك التطور السريع في حياة الاسماعيلية التي قفزت سريعاً نحو الامام فازدهرت ازدهاراً شاملاً في جميع المرافق حتى أصبحت مثالية في كل شيء ، في نظامها الاجتماعي والتعاوني والاقتصادي والثقافي ، كيف لا وزعيمها المرشد كان مثالياً وانموذجاً في حياته وسلوكه . وعدا عن كل هذا كان يفتدق على أتباعه الاموال والتبرعات للفقراء والمعوذين ولتنمية المشاريع الخيرية ، كما ساهم مساهمة فعالة في بناء كثير من المساجد الاسلامية والكنائس المسيحية والمعابد الهندوسية في العالم .

وامتاز سمو آغا خان بشخصيته الممتازة وحججه القوية ومداركه الواسعة وارادته الحديدية واعصابه القوية الفولاذية وعقله الجبار ، وهو سياسي عالمي في رؤوس أصابعه تاريخ التطورات السياسية والاقتصادية في كل امة عظيمة تنشد الرقي والازدهار في عالمنا الفسيح الرحب ، وظهرت عظمة الامام الحاضر وعرف كقائد عظيم عندما حصل النزاع الكبير بين الهندوس والمسلمين في الهند في الحادي عشر من آب سنة ١٨٩٣ ميلادية وكان سموه لا يتجاوز السادسة عشرة من عمره وكان هذا النزاع قد حصل من أجل (بقرة) فحصلت مجازر كبيرة في مدينه بمباي قتل خلالها عدد من الاسماعيلية وخادمين من خدم الامام داخل بوابة منزله في حي (مازكان) وكان سموه يقيم في ذلك الوقت في مدينة (بونا)

فأرسل تعليماته لاتباعه في بمباي يأمرهم بوقف الخصام ليساعدوا السلطات في فض هذا النزاع ، فأوقف النزاع وفض الخصام وقدم الاسماعيلية جميع التسهيلات والمساعدات لآخوانهم الهندوس .

وبعد مرور أربع سنوات على تلك الحادثة اجتاحت مدينة بمباي جماعة كبرى فساهم الامام آغا خان لتخفيف المصيبة عن الشعب وانشأ على نفقته الخاصة مخيمات أقيمت في مدينة بمباي ليطعم فيها آلاف مؤلفة من الشعب الهندي بغض النظر عن جنسهم ومذهبهم وعنصرهم وكانت يرسل المساعدات المستورة الى منازل من لا يودون الظهور في تلك المجتمعات ، نظراً لمكانتهم المعروفة ونسبهم العريق وألقابهم الفخمة ، ولما انتهت الجماعة أمر بتوزيع البذار على المزارعين الذين يستحيل عليهم ايجاد البذار لزراعة اراضيهم ، ولم يكتف بما قدمه من مساعدات بل انشأ قصراً كبيراً في مدينة (بونا) سماه (يرودا) ليكون ملجأ للفقراء والبائسين والمنكوبين المعوزين العاطلين عن العمل .

وما عثم أن انتشر الطاعون بصورة فظيعة فذهب بآلاف مؤلفة من الناس ، ولأجل إيقاف هذا الوباء أوفدت الحكومة الانكليزية العالم الجراثيمي المشهور البرفسور (هافكاين) ليعمل على تلقيح الاهلين وليقضي قضاءً مبرماً على هذا الوباء ، غير أن هذا العالم قد اصطدم باحتجاجات صاخبة كانت ترسلها الجماهير الفقيرة معلنة بأن التلقيح بهذا المصل ليس إلا (مجزرة) بشرية ومؤامرة دبرها المستعمر للقضاء على الشعب الهندي وهنا تدخل الامام (آغا خان) ووقف على شرفة قصره ليخطب في الجماهير المحتشدة معداً فوائد هذا اللقاح ولأجل أن يطمئن الشعب طلب البرفسور الطبيب أن يكون هو أول من يلحق بهذا المصل ، وأمر اتباعه ان يقتدوا به كما وهب قصره وجعله مخبراً لاعداد المصل بكيات

كبيرة ، وبذلك تمكنت البعثة الصحية من القضاء على هذا الداء الوييل .
وفي سنة ١٨٩٩ ميلادية قام الامام (آغا خان) بزيارة مناطق مختلفة
في (زنجبار) حيث درس أحوال أتباعه عن كثب وقام برحلة الى
اوروبا فزار المانية وقابل الامبراطور مقابلات عديدة وعرض عليه أن
يمنح الاسماعيليه الموجودين في المستعمرات الالمانية الحماية وامتيازات خاصة
ونتيجة لذلك استوطن آلاف الاسماعيليه في افريقية الشرقية الالمانية ،
وعاد سموه الى الهند فاستقبل من مختلف الهيئات وتقرر أن تقام
الاحتفالات والمهرجانات الشعبية في مساء ذلك اليوم إلا أن حادثاً
طائفاً قد وقع في المدينة فسبب مقتل ثلاثة اشخاص . هذا ما جعل
سموه يأمر بإلغاء الاحتفالات ، وتفصيل الحادث ان شاباً اسماعيلياً
متحمساً أقدم على اغتيال ثلاثة اشخاص كانوا قد تركوا الاسماعيليه
ليلتحقوا بفرقة أخرى تناوىء الامام آغا خان واعتقد القاتل بأن
الامام سوف يسر لما اقترفته يدها ، ولكن ما عثم أن خاب ظنه
لأن الامام (آغا خان) قد أمر فوراً بطرده من الاسماعيليه وعدم
التعامل معه وحرمانه من أن يدفن في المقابر الاسماعيليه ، وعلى الأثر
عقد اجتماعاً عاماً للاسماعيليه ، وعرفهم بعبارات صريحة ، بأن من يحترم
القوانين والانظمة في البلاد يكون من اتباع الاسماعيليه اما من يحاول
العيب بالانظمة والقوانين والنيل من كرامات الناس والعيب بأرواحهم
وممتلكاتهم فاننا منه براء وسنكون خصوما له الى يوم الدين .

بدأ الامام سلطان محمد شاه منذ ١٩٠٢ يتدخل في شؤون الهند
السياسية ، وانشأ الهيئه الاسلاميه الهنديه سنة ١٩٠٦ ميلادية كما انشأ
جامعة (عليكره) سنة ١٩١٠ ميلادية ولما انتهت الحرب العالميه
الاولى وتقاسمت الدول الاوروبيه تركيا أعلن نفسه متطوعاً لحماية تركيا

من اليونان وتوسط لدى الحكومة البريطانية طالباً انقاذ تركيا البلد الاسلامي مما وصلت اليه ، فكانت النتيجة ان عقد ووقعت معاهدة (لوزان) التي استفاد منها الاتراك واعيدت لهم حقوقهم المهضومة ، وقدم سموه المساعدات القيمة لجرحى الحرب العامة من الشعب التركي وامن له التداوي والعيش وساهم مساهمة فعالة في ترميم المسجد الأقصى . وبرزت شخصية (آغا خان) السياسية عندما ترأس عصبة الامم سنة ١٩٣٧ ميلادية حيث أدلى بتصريح شامل عن احوال تركيا المهددة آنشد بالاحتلال الاجنبي ، وقال ان اربعمئة مليون مسلم في العالم يقفون بالمرصاد لكل دولة تسول لها نفسها بالاعتداء على أي دولة اسلامية وندد بالعواقب الوخيمة التي تنتظر الدول الاستعمارية اذا ما تجاهلوا آماني ورغبة الشعوب الاسلامية .

واما في السياسة العالمية فله مواقف عظيمة هامة كانت تظهر كلما تأزمت الحالة الدولية ، ولقد أدلى بحديث خطير في اوائل الحرب الثانية عندما كان العالم يعتقد بأن روسيا ستتعاون مع المانيا لمحاربة الحلفاء قال (ان روسيا لن تحارب الحلفاء) فادهش العالم بهذا التصريح الخطير في وقت تنقسم روسيا و المانيا الغنائم .

وقام سموه بدور الوسيط بين الحلفاء و المانيا وقابل هتلر مقابلة طويلة خرج على أثرها بتصريحه المعروف (ان المانيا محبة للسلام وهي تريد أن يتسع مجالها الحيوي) ولها مطالب يجب أن ينظر فيها بعين الاعتبار . وأضاف بأنه قد أعجب بنظام المانيا الاقتصادي وخاصة بمشروع الخمس سنوات الذي أظهره للوجود الدكتور (شخت) .

إن الامام آغا خان يحب الحياة المنزلية وقد تزوج أربع مرات، رزق ابنان : الأمير علي خان وهو ولي عهده والأمير صدر الدين ، وكان زواجه

الاول عام ١٨٩٨ م من ابنة عمه ، وأقيمت المهرجانات والاحتفالات في مدينة بونا حضرها (٦٠٠٠٠٠) إسماعيلي جاؤوا من مختلف البلدان الاسماعيلية ، وبعد وفاتها تزوج من الاميرة (ثديا ماجليانو) الايطالية سنة ١٩٠٨ ميلادية طبقاً للتقاليد الاسماعيلية وأعلنت الاميرة أنها اعتنقت المذهب الاسماعيلي وأنجبت له ولدين توفي أحدهما وهو صغير ، أما الثاني وهو الأكبر الأمير علي خان ولي عهد الامامة الاسماعيلية . ثم توفيت الاميرة في كانون الاول سنة ١٩٢٦ ميلادية بعد مرض قصير في إحدى المستشفيات في مدينة باريس ، وفي سنة ١٩٢٩ م تزوج من السيدة (أندشي كارون) فولدت عام ١٩٣٣ الأمير صدر الدين ، وفي عام ١٩٤٤ م قابل سموه الانسة (إيفيت لابروس) وتزوج منها بعد أن اعتنقت المذهب الاسماعيلي .

واعترافاً بفضل هذا الامام العظيم قررت الطائفة الاسماعيلية أن تحتفل بيوبيله الذهبي في عام ١٩٣٦ م وتضمن برنامج الإحتفال وزن سموه بالذهب وكان ذلك في تمام الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين من يوم التاسع عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٦ ميلادية ، وقبل أن يبدأ الإحتفال استأذن السيد (جولي مالي مير تشاند) بصفته رئيساً للجنة اليوبيل الذهبي من سموه أن يقبل هذا الذهب كدليل على حب وولاء ، وشكر أتباعه الاسماعيلية له لما قدمه من ارشادات وتعاليم قيمة إبان فترة امامته في الخمسين سنة الاخيرة وقد أجاب سموه على ذلك بقوله (انني اقبل بسرور عظيم هذا الذهب من أبنائي الروحيين وأهديهم حبي وبركاتي الروحية ، وقد قررت أن استعمل هذا الذهب لرفع شأن ابنائي الروحيين لذا اعين لجنة لينفق بمعرفتها هذا الذهب وهم ، السيد (جوليا مالي) والسيد (رحيم تولا) والسيد (تامالي مانجي) والسيد

(محمد علي مكلوي) والسيد (اسماعيل جعفر) فعليهم ان يختاروا أحسن وأنجع الطرق لاستخدام دخل هذا الذهب في رفع مستوى الاسماعيلية عن طريق منح المساعدات للنازحين من المقاطعات المكتظة بالسكان ولمساعدة الأطفال وغير ذلك من المشاريع الخيرية والحيوية ، وأعيد وزن سموه ثانية بالذهب في زيروبي سنة ١٩٣٧ م . وفي سنة ١٩٤٦ .

احتفل بيوبيل سموه الماسي في مدينة (بمباي) وفي مدينة (دارالسلام) بأفريقيا ، قد حضر هذا الاحتفال عدد كبير من الاسماعيليين قدموا إلى مدينة بمباي من مختلف أنحاء العالم ، وكان وفد الاسماعيلية السوريون مؤلفاً من السادة الامير ميرزا مصطفى وكييل سمو آغا خان في سوريا والامير غالب سليم مكي عن الطائفة الاسماعيلية في سوريا والامير محمد ملحم ناظر الدعوة الاسماعيلية في سوريا والسادة حسين القطريب ، مصطفى ورده ، اسماعيل عزيز عجبوب ، اسماعيل الحايك ، علي القصير ، عبد الله النظامي ، الشيخ أحمد سلمان ، والشيخ أحمد الحاج ، وعادوا بعد تلك الاحتفالات مزودين بالارشادات العظيمة والأموال الكثيرة لتنفق على المشاريع الحيوية في سوريا كما سمح سموه بأمواله لمدة عشر سنوات لتنفق على بناء المدارس والمساجد الاسماعيلية في سوريا .

ولا بد لنا من القول بأن الامام آغا خان قد هيا وأعد بنفسه جميع الوسائل والأسباب الكفيلة بنهوض الشبيبة الاسماعيلية علمياً وخلقياً واجتماعياً فعمل على تشجيع الجمعيات الخيرية والاجتماعية والاقتصادية والدينية . وعندما عقد المؤتمر الاسلامي في تموز سنة ١٩٤٦ ميلادية بمدينة (مومباسا) برئاسته قرر أن تنشأ جامعة اسلامية في مدينة (تانغانيك) على غرار الجامعة الامريكية في بيروت .

وقد تجلت عظمة الامام (آغا خان) في معاضدته للثقافة والتعليم ولم

يكتف بمساندة المؤسسات الاسلامية فحسب بل تبرع ووهب المبالغ الطائلة للمؤسسات الهندية والمسيحية في الهند ، وقدم المساعدات الكبيرة للمدارس والمؤسسات الثقافية المنتشرة في الهند والتي أنجبت جيلاً جديداً من الفتيان والفتيات الذين ينتسبون للطائفة الاسماعيلية ، وقد أعار الناحية الاجتماعية جل اهتمامه فقبوات الاسماعيلية بفضل مركزاً اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ممتازاً في الهند والعالم أجمع ودأب على تشجيع الزواج المبكر لخلق جيل قوي يحسمه ومؤمن بعقيدته المثلى .

أما في الحقل الديني فأعماله أكثر من ان تحصى أو تعد ، فهو أول من فكر بإيفاد بعثة تبشيرية اسلامية لليابان ، وبالفعل قد فاتح المرحوم الشيخ محمد المرابي في سنة ١٩٣٩ قبل نشوب الحرب الثانية بأمر إرسال بعثة إلى اليابان يكون الامام والشيخ على رأسها وتكون مهمتها الاتصال (بالميكادو) وأن يعرض عليه لقب خليفة مقابل اعلان اسلامه ، ولكن هذا المشروع لم يتحقق بسبب نشوب الحرب وانقطاع المواصلات ، ولسموه كثير من المؤلفات الضخمة التي تبحث في شتى نواحي الحياة في لغات متنوعة منها كتاب (قضية الهند) وكتاب (الاسلام وأوروبا) وكتاب (نور مبين حبل الله المتين) وغيرها من الابحاث الشيقة والمقالات المتنوعة في الاقتصاد والاجتماع والثقافة والسياسة .

وسموه يجيد اللغات الشرقية والغربية من الهندية والفارسية والعربية والتركية ، والانكليزية والفرنسية والاطالية ، والالمانية وغيرها من اللغات العديدة كل هذا بدون أن يدخل أي مدرسة أو يتلقى علومه في أي معهد ، وقد تلقى تعليمه الأول على أيدي والدته التي علمته تعليماً صحيحاً فجعلته يتقن اللغات الاوروبية والعربية والفارسية ثم الانكليزية والفرنسية وتلقن تاريخ بلاد فارس على يدي والده كما انمى فيه الرغبة

في الاطلاع على تاريخ وانتاج كبار الشعراء والادباء والفلاسفة والعلماء ،
وتلك الرغبة جعلته يميل لدراسة الأدب الشرقي ، وأول كتاب طالعه
وهو في السنين الأولى من حياته كتاب (تاريخ ازماننا) لمارك كارني ،
ودرس كتابات أبلغ المؤرخين وأشهر الروائيين والفلاسفة الغربيين والشرقيين
وشغف بالدراسات التاريخية المتعلقة بالخلفاء المسلمين الاقدمين ، وتعمق في
دراسة الفلسفة وعلم اللاهوت والفقه ، وسوف يستغرب القارئ هذه
الأقوال ويقول اذن ما السر في إجادته كل هذه اللغات والعلوم ؟
وهل من المعقول أن يصل اليها انسان بدون مدرسة ؟ اننا نجب على
هذا السؤال بقصة نرويها لعلها تعطي القارئ فكرة عن هذا السر !

في حفل عظيم ضم نخبة من كبار عظماء العالم في قصر (بنغهام)
ويوم تتويج الملك (جورج الخامس) وكانت بين الحاضرين والدة سمو
(آغا خان) الاميرة شمس الملوك وولدها الامام آغا خان فتقدم الملك
البريطاني من الأميرة الوالدة ووجه اليها السؤال التالي :

ايتها الاميرة انني معجب بذكاء وثقافة ولدك ، أين تلقى علومه
وكيف تسنى له إجادة معظم لغات العالم كأبنائها ؟

فابتسمت الأميرة وقالت : ان ولدي قد تعلم ودرس في مدرسة
الزمن العالمية

نعم أيها القارئ الكريم لقد تعلم الامام آغا خان واختبر الحياة فعلم
باطنها وظاهرها وتوصل الى معرفة ما تشكو منه البشرية .

وزار الامام آغا خان مجلس العموم البريطاني في ذلك الوقت وقد
حدثت تلك الزيارة ضجة كبرى في الصحف البريطانية وخطب رئيس
المجلس مرحباً بسموه فقال : إن مجلس العموم البريطاني يرحب بزائره
سمو السلطان محمد شاه (آغا خان) ويقدر خدماته العظيمة في جميع

الحقول ويحفظ له أسمى الشكر والتقدير لما يقدمه من خدمات عظيمة للهند وللبنشيرية جمعاء .

أن الإمام (آغا خان) واحدٌ من أولئك القادة الذين عرفوا الأهمية التي تتركز عليها (جمع وتنظيم المسلمين الهنود) في هيكل سياسي قوي وقد كرس جهوده لتحقيق هذه الفكرة وكانت النتيجة أن شكلت جمعية اسلامية مثلت فيها جميع الطوائف الاسلامية الهندية ، والجمعية الآن بحاجة الى قائد حكيم يعرف كيف يقودها في وسط هذا الخضم من العواصف والتيارات السياسية العالمية ، وكان اذا ما دأبتهم ازمة يتلفتون دائماً الى صاحب السمو (آغا خان) ويسألونه ان يقبل تولياتهم ويرأس جميع الجمعيات الهندية الاسلامية ، وقد تمكن سموه من رفع مستوى هذه الجمعيات وقدم لها المساعدات الكبيرة والارشادات العظيمة ، وسموه لا يألو جهداً في سبيل توطيد العلاقات ما بين الهندوس والمسلمين ، وكان ينوي أن يجمعهم على صعيد واحد ، وتوفق كثيراً في هذا المضمار حتى انه أدخل عدداً كبيراً من الذين ينتسبون الى الطائفتين في دور الائتام وفي المؤسسات العلمية والاجتماعية والصحية .

ووجه الامام سلطان محمد شاه اهتمامه الزائد للعناية بشؤون أتباعه الاسماعيليين في سوريا بعد أن تأخرت احوالهم وسيطرت عليهم التفرقة لما لاقوه من ظلم واستبداد في عهد الولاة العثمانيين الذين اذاقوهم الويلات وشردوهم في مختلف المناطق السورية بعد أن حرموا عليهم مزاولة شعائرهم الدينية ، وصودرت اموال الزكاة والخمس في مدينة طرابلس الشام بينما كانت بطريقها الى بيت الدعوة الاسماعيلية في مدينة (بمباي) الهند ، واتهم الاسماعيليون بالتآمر على سلامة الدولة العثمانية

والقي القبض على كبار رجالات الدعوة في سوريا ومشائخها ونقلوا جميعاً الى سجون دمشق ليحاكموا في التهمة المنسوبة اليهم ، وأغار الجنود العثمانيون بمساعدة أحد الخونة من سكان السلمية على المدينة فنهبوا المنازل واغلقوا بيوت العبادة وحظر على الاسماعيلية (إقامة الصلاة) واستولوا على خزائن مال الخمس والزكاة واخذوها مع جميع ما فيها من أموال الى مدينة حماه حيث فككوا اقفالها وبعثوا محتوياتها حسب أهوائهم .

توسط الامام دولياً وطلب من السلطان العثماني أن يعيد الأموال المسلوقة وان يمنح أتباعه الاسماعيليين كامل حريتهم لمزاولة شعائرهم الدينية ، وان تفتح مساجدهم بأسرع وقت ممكن .

وافق السلطان العثماني على هذه المطالب واعدأ بمنح الاسماعيلية جميع الحقوق التي فقدوها ، أما بشأن الاموال التي صودرت منهم فقد ادعى بأن والي دمشق قد أنفقها على بناء المدرسة الزراعية في السلمية .

ومع هذا لم ينفذ السلطان وعوده فلبث الاسماعيليون في سوريا يقاسون الظلم والاضطهاد العثماني حتى زالت الدولة العثمانية من الوجود .

وبعد ان وضعت الحرب اوزارها تنفس الاسماعيلية السوريون الصعداء واستبشروا خيراً الا ان الاسماعيليين الذين يقطنون الجبال السورية الغربية (القدموس - الخوابي) قد تعرضوا لهجمات النصيرية عام ١٩١٩ ميلادية ونهبت مواشيهم واضرمت النيران في منازلهم ، وبالرغم من ان الاسماعيلية كانوا عزل من السلاح فقد دافعوا دفاعاً قوياً وتمكنوا من دحر تلك العصابات المجرمة وردهم على أعقابهم خاسرين ، وفي ٢٨ آب ١٩١٩ م. تدخلت السلطات الفرنسية الموجودة في اللاذقية لفض هذا النزاع وعقدت اجتماعاً بين المتخاصمين في قرية (الشيخ بدر) ونتيجة

لذلك الاجتماع شكلت لجنة خاصة لتقدير الخسائر التي لحقت بالاسماعيلية ولكن تلك اللجنة عجزت عن اعادة أي شيء للاسماعيلية ، وفي ١٢ آذار سنة ١٩٢٠ ميلادية هاجمت العصابات النصيرية التي يقودها الشيخ صالح العلي مدينة (القدموس) وحاصرها عدة أيام أظهر خلالها الاسماعيلية بأنهم يستحقون بحدارة أن يكونوا احفاداً للحسن بن الصباح وسنان راشد الدين لما اظهروا من تضحية جسيمة في الدفاع عن مدينتهم ، وأخيراً نفذت ذخيرتهم ومؤناتهم فاضطروا للاستسلام ، وما كادت تلك العصابات تحتل البلدة حتى عملت فيها نهباً وسلباً وتقتيلاً ، وغادر النساء والاطفال الاسماعيلية المدينة حفاة عراة باتجاه السامية ، وبعد ان دخل الشيخ صالح العلي قدموس واحتل قلعته أمر أفراد عصابته أن يأتوه بجميع ما يملكون عليه من مؤلفات اسماعيلية أثناء تفتيش المنازل ، وأمر بأن تجمع المؤلفات وتحرق حتى لا يستفيد منها أحد وهكذا قد قضي على المكتبة الاسماعيلية السورية قضاءً مبرماً .

وفي ١٧ نيسان سنة ١٩٢٠ ميلادية تجمع الاسماعيليون من كل حذب وصوب وهاجموا مدينة القدموس وتمكنوا من احتلالها واجلاء العصابات عنها ومطاردتهم حتى اعتصموا في الجبال والمعاصي الصعبة المسلك .

وأخيراً انتهت تلك الحوادث الدامية اثر دخول الجيوش الفرنسية الى البلاد فاستتب الأمن وعاش الجميع بسلام ووفقاً ، وقد منحت الاسماعيلية كافة الحريات التي فقدوها ابان الحكم العثماني وافتتحت مساجدهم واصبحوا يزاولون شعائرهم الدينية بدون خوف أو وجل ، لأن دستور البلاد قد صان للجميع حرية المعتقدات الدينية وكفل للفرد حق التعبير عن ارائه ومعتقداته ضمن القانون .

وشكّل وفد من رؤساء الدعوة الاسماعيلية في سوريا ، ذهب الى الهند

ومثل بين يدي الامام الحاضر وعرض عليه اوضاع الاسماعيلية في سوريا ، وقد استقبلهم الامام استقبالا حاراً وأخذ مطالبهم بعين الاعتبار ودرسها دراسة وافية ، ثم زودهم بتعاليمه وارشاداته ونصائحه وخصص لهم المبالغ الطائلة لتنفق على تنفيذ المشاريع الحيوية التي أمرهم أن يوجدوها في بلادهم ليتمكنوا من النهوض من كبوتهم التي طال أمدها واللحاق بركب الحضارة المسرع .

عاد الوفد يحمل تعاليم وارشادات ومشاريع كثيرة كانت اكبر عوناً له في اداء مهمته ، وقد شكلت لجنة خاصة للاشراف على تسيير أمور الاسماعيلية في سوريا ولتنفيذ المشاريع التي أمر بها حاضره امام . وتلك التعاليم تكفل للفرد الاسماعيلي حق التعلم والمداواة على حساب صندوق الطائفة . وشيدت عدة مدارس في منطقة السامية بالاضافة للمدرسة الزراعية التي بليت بأموال (اغا خان) وتأسست في الخواي المدرسة الحمديدية الكبيرة وبدأ التدريس فيها سنة ١٩٣٠ ميلادية ، وهكذا تحسنت اوضاع الاسماعيلية بفضل رعاية وارشادات حاضره امام وتعاليمه القيمة التي كفلت لهم مستقبلاً زاهراً وتقدماً مستمراً ، وكان دائماً يرسل لهم الأوامر والتعاليم بواسطة (الفرامانات) بصحبة نجله الأكبر الأمير علي ولي العهد الذي كان يزور سوريا لتفقد شؤون أتباعه من حين لآخر .

وفي برهة وجيزة اصبحت المدارس الاسماعيلية منتشرة بكثرة في منطقة السامية والخواي ، واقم في السامية بناء حديث على انقاض المدرسة الابتدائية السابقة ليكون مدرسة تجهيزية كبرى تستوعب اكبر عدد ممكن من الطلاب وبذلك نشطت الحركة العلمية وأقبل طلاب المعرفة على ارتياد المدارس المنتشرة في جميع القرى الاسماعيلية ، فازداد عدد المتعلمين وتحسنت

اوضاع الشعب ، ونشطت الزراعة والتجارة والصناعة ، واصبحت منطقة السلية في حركة دائمة تعج بعدد ضخم من الطلاب والعمال والمزارعين الوافدين اليها من مختلف البلدان السورية . ووجهت اللجنة الاسماعيليه العناية الزائدة (لدور العبادة) فأسست المساجد الكثيرة في كل بلدة وقرية اسماعيلية ، وقد بنيت تلك المدارس والمساجد على أحسن طراز وبأموال سمو حاضره إمام سلطان محمد شاه ، ولا تزال المشاريع والمؤسسات في السلية والخواري تزداد يوماً بعد يوم وسنة بعد أخرى وكل ذلك بفضل ارشادات وتعاليم وحنو وعطف الامام الروحي . والحركة الاسماعيليه على العموم تتمتع بمنزلة سامية في الشرق والغرب ، وسمو حاضره إمام يغذيها دائماً بنصائحه وارشاداته القيمة ويشرف بنفسه على كل صغيرة وكبيرة من شؤونهم وينصف المظلوم ويعاقب الظالم بروح العدل والمساواة ، وقد تمكن بارادته الحديدية ونظرته البعيدة ان يحرر العقول من وهدة الجهل والجمود ، فكانت قيادته ووحيه سبباً في اشعال نار ثورة فكرية تقدمية تتلاءم مع روح العصر واصبح كل اسماعيلي محباً للخير والسلام والتضامن بعيداً عن التعصب الطائفي والعرقى ، كيف لا والعقيدة الاسماعيليه عقيدة المثالية في العالم ولا بد لنا من الاتيان على ذكر بعض الاختلافات الداخلية التي حدثت بين صفوف الاسماعيليه السوريين نتيجة للتطورات السياسية ولانغماس بعض الرؤساء في التيارات الحزبية السياسية ، وسرعان ما فض ذلك النزاع عندما شرف الى سوريا حاضره إمام في الساعة الثانية عشرة والنصف من يوم الثلاثاء في الثامن والعشرين من شهر شباط سنة ١٩٥١ ميلادية ، ولبت في مدينة دمشق ضيفاً على الحكومة السورية خمسة أيام درس خلال اقامته اوضاع اقباعه الاسماعيليين وزودهم بتعاليم وارشادات كان لها أكبر الاثر في دعم نهضتهم الحديثة،

ومن اقواله في اليوم الاول عندما شاهد الجموع المحتشدة أمام فندق الشرق بانتظار مشاهدته : انني سعيداً جداً برؤيتكم وبهذه الحفاوة التي استقبلتموني فيها وآمل أن اجتمع بكم في مكان فسيح ظهر هذا اليوم لاتيكن من تزويدكم بنصائحي وبركاتي الأبوية .

وفي تمام الساعة الخامسة اجتمع بأتباعه الاسماعيليين في الملعب البلدي بدمشق ، وبعد أن باركهم جميعاً ألقى فيهم الكلمة التالية :
ابنائى الروحانيين المخلصين : تجردوا عن المعاصي ، واتبعوا طريق الحق ، واسلكوا السبل القويمة ، وتجنبوا البغضاء والحسد والتنافس والغيبة والنميمة والضغينة والتواكل ، واطيعوا حكومتكم واخلصوا لها ؛ فالاسماعيليون في جميع البلدان التي يقطنونها سباقون لكل عمل صالح ، ويسرني جداً ان تكونوا في هذه البلاد على أحسن حال من التقدم في العلم والصدق في العمل ، واعلموا ان لا نجاح لكم الا بالتقيد بالأوامر الحقيقية التي تصدر عنا ، وإياكم والكسل في اداء فروض العبادة الواجبة عليكم وعلى الموظفين الدينيين ان يعملوا باتحاد واخلاص سوية لصالحكم ولمنفعتكم .

ابنائى كنت قد سمحت لكم باموالى لمدة عشر سنوات وسأصدر اليكم اوامر جديدة بهذا الشأن ، أطيعوا الحكومة واخلصوا لها ، وابذلوا دمائكم في سبيل المحافظة على سلامة ارضكم . انتم جميعاً اولادي وانا ابوكم الروحي ادعو لكم بالخير والبركة والسعادة في الدارين .

وبعد ان ختم خطابه الكريم طاف على الجموع مباركاً ، وامرهم ان يحضروا لنفس المكان في تمام الساعة العاشرة من اليوم الثاني ، وفي المساء سمح لبعض رؤساء الطائفة الاسماعيلية بمقابلة خاصة دامت ما يقارب الاربع ساعات ألقى خلال هذا الاجتماع ، بعض النصائح والتعليقات التي من شأنها أن تضع حداً للخلافات السياسية المستعصية ، ولقد وعدوا

سموه بانهم قد تناسوا الماضي بكامله ، غير ان سموه اصر على ان يتقدموا اليه في اليوم الثاني مع جميع اعضاء اللجنة الاسماعيلية العليا وذلك في تمام الساعة العاشرة صباحاً . وفي الوقت المعين اجتمع سموه برؤساء الدعوة في سوريا وبلغهم التعليمات والارشادات التالية : بدأ سموه يتحدث ويتدفق كالسيل ، وانطلقت العبارات الروحية من فمه المقدس ترده صداها القلوب المؤمنة والنفوس المنتشية بنشوة الروح وشرع القول :

انني آمل بأن لا تكون زيارتي هذه الزيارة الأخيرة لبلادكم وأعدكم بأنني سأزوركم في مناسبة أخرى ، وقد آلمني واحزنني تفرق صفوفكم وتبعثر كلمتكم واعتقد بأنكم تجهلون التنظيمات ، والتقسيمات المتبعة عند اخوانكم في افريقيا ، والهند وبقية بلدان العالم ، والشرط الاساسي لرقيكم هو تطور اللجنة العليا وبعثها من جديد لكي ترافق ركب الحضارة الذي يسير قدماً نحو الازدهار ويجب ان يعمل كل منكم بروحه وقلبه مخلصاً لعمله ، وعقيدته ، وطائفته و اذا لم نعمل من قلبنا وروحنا ، لا نستطيع ان نجاري العالم المتمدد ، ونبقى متأخرين ، واعلمكم بأن التنظيمات الدينية تختلف من حيث القيمة والجوهر عن التنظيمات السياسية ، فالتنظيمات الدينية بحد ذاتها وضعت على اساس خدمة الامام ، ويجب ان تبقى بمعزل عن التيارات السياسية والا يكون هنالك أي تباين في وجهات النظر فلا تتعرض للتهديم والتحطيم ، واذكركم بالاعمال الجليلة التي قام بها آباؤكم واجدادكم رغم الاضطهادات والتشريد الذين تعرضوا لها ابان الحكم العثماني ، ومع هذا فقد بقوا محافظين على عقائدهم مخلصين لبعضهم متضامنين ، فكيف الآن والحكومة حكومتكم وقد اصبحت الحرية مصونة ومحترمة ، تدعها أنظمة وقوانين عالمية ، وأهيب بكم بأن تتمسكوا بالمبادئ السامية المستقاة من العقائد الاسماعيلية وتعلموا

لتطبيقها بحذافيرها وتؤمنون بها واعلمكم بأنني قد عفوت عن الماضي وساحاسبكم عن كل خطيئة او هفوة ترتكبونها في المستقبل ، ويجب ان تبعثوا من جديد وتعملوا متفانين بروح جديدة لرفع مستواكم الاجتماعي العلمي الاقتصادي وعلى اللجنة العليا الآن ان تقدم استقالتها واعتبرها مستقيلة ، واوكل الى الموظفين الدينيين الشرقيين والغربيين أمر انتخاب أعضاء اللجنة من جديد على أساس اللوائح ، على ان تقدم تلك اللوائح في مساء هذا اليوم^(١) . وبعد انتهاء هذا الاجتماع تشرف بمقابلته مؤلف هذا الكتاب فتحدث اليه حديثاً طويلاً عن الشؤون العربية الاسلامية فقال :

ان الأهمية الكبرى التي اعلقها على اتخاذ دولة الباكستان قرارها الهام بجعل اللغة العربية لغتها الرسمية ، وقال ان هذا القرار يوثق الصلات الفكرية ، والثقافية والاجتماعية والسياسية بين هذه الدولة الاسلامية الكبرى وبين العالم العربي الاسلامي ، ومن رأيي ان تتخذ جميع الدول الاسلامية من اللغة العربية لغة رسمية لها .

وتحدث عن الثروات المعدنية التي تنطوي عليها المناطق العربية فقال : ان من واجب حكام البلدان العربية تقدير الثروات البترولية الضخمة في بلدانها وانتهاز الفرصة السانحة ، فرصة حاجة العالم الغربي لهذه المادة الضرورية في جميع مرافق الحياة ، وعدم السماح بتبديدها بما لا يدعم النواحي الاقتصادية والصناعة الوطنية في سبيل انعاش البلاد وزيادة الانتاج الصناعي ورفع مستوى الشعب المعاشي والاجتماعي . وان هذه الفرصة ربما لا تسنح في المستقبل بسبب اتجاه العالم الحديث لاستعمال الطاقة

(١) من كتاب آغا خان في سوريا ص - ١٠ - ١١ - ١٢ تأليف مصطفى غالب .

الذرية في تسيير البواخر والطائرات والمصانع ووسائل النقل مما يجعل البترول يفقد قيمته ، واما الثروات الطبيعية في البلاد العربية فبالامكان انشاء سدود جبارة ما بين النهرين (دجلة والفرات) للاستفادة منها في الري وتوليد الطاقة الكهربائية التي تستخدم للتشوير وتحريك المصانع وتسيير القاطرات ، وان منطقة ما بين النهرين كانت تسد حاجات ثمانين مليوناً من البشر ، وانتقل سموه الى الحديث عن الأوضاع العربية فرحب بكل اتحاد يجمع كلمة العرب وقال ان الوحدة العربية لا تتعارض مع أهداف الوحدة الاسلامية واني شخصياً من دعاة الاتحاد الاسلامي ، والوحدة الاسلامية ليس معناها فرض دين معين على جميع السكان أو التفريق في المعاملة بين المسلمين وغير المسلمين ووضح بأن الطوائف الأخرى في ظل هذه الوحدة يجب أن تتمتع بجميع حرياتهما ، وانهى حديثه بأن نصح الدول العربية ان تتحد فيما بينها قبل كل شيء وان تعمل على تقوية نفسها في الناحية العسكرية ودعم اوضاعها الاقتصادية والمالية ورفع مستوى المعيشة وتعميم التعليم ، ومتى تحقق ذلك أمكنها ان تكون من القوة في الوسط الدولي بحيث تضمن مصالحها وتعزز مكانتها ، وفور انتهاء هذا الحديث مثل بين يديه وقد يمثل الطلاب الاسماعيليين وقد زودهم بالارشادات التالية :

أيها الطلاب ، انتم أمل الطائفة وعلى عواتقكم تقع مسؤولية انقاذ الطائفة ورفع مستواها العلمي والفكري واهيب بكم ان تتعمقوا في دراسة التاريخ الاسماعيلي والعقائد الاسماعيلية ، وامي ان يكون لدى الطائفة الاسماعيلية ، في سوريا جيل جديد يعمل في جميع نواحي حياتها ؛ واني لأحب ان تتوجهوا بكميتمكم الى دراسة المواد السطحية الفارغة كالحقوق مثلاً بل عليكم ان تدرسوا المواد العلمية كالزراعة ، والاقتصاد

والهندسة ، والعلوم ، والسياسية ، والتاريخ ، وان السبب الرئيسي لتأخر الاسلام عن الغرب هو اتباع التقليد السطحي ، والتمسك بالقشور دون الجوهر ، وان من واجب المسلمين في هذا الوقت اذا ما ارادوا السير جنباً الى جنب مع موكب الحضارة المسرعة في تقدمه ونموه ان يعملوا هدفهم الابتكار والتفوق العلمي والاجتماعي ، فبالعلم الصحيح وحده تنهض الامم .

وفي الساعة الحادية عشر قبل ظهر يوم الجمعة قصد سموه الى الملعب البلدي (المرج الأخضر) بدمشق وبعد ان بارك الجموع المحتشدة القى فيهم الكلمة التالية نقلها مرافق سموه نائب الطائفة الاسماعيلية في سوريا المغفور له الأمير عبدالله التامر قال :

أبارك الموظفين والجماعات ، انكم تحبونني كما يحب الولد ابيه وانا احبكم كما يحب الوالد ولده بل اكثر مما تحبونني وأبارك الأولاد والاطفال جميعهم الذين هم اولادي وانا مسرور جداً لوجودي بينكم .

وهنا من الصعب على كل شخص منكم ان يقبل يدي ولكن في الزيارة القادمة سأمكن الجميع من تقبيلها ، ومن اجل مستقبلكم سامي لكم مجلساً دينياً غير سياسي ، وهذا المجلس يفيدكم في الدنيا والآخرة بشرط ان تخلصوا في عملكم وتطيعوا اوامر هذا المجلس ، وان كان الآن في دور الطفولة الا انه سينمو حتى يصبح اكثر قوة من هذا (الجبل الاسم) وأشار الى جبل الصالحية ، وكتجربة اعدتها في هذه السنة قد قررت ان تبقى الاوضاع كما كانت عليه سابقاً ويضاف الى اللجنة ناظراً كان قد رفع اسمه وهذا المجلس الذي اعيد الى ما كان عليه اعطى الفرصة مجدداً لمدة سنة واحدة فعلى اعضائه ان يبرهنوا على الحافز الجديد الذي يدفعهم الى العمل المثمر المنتج وليبرهنوا ايضاً على ان الروح

الجديدة غير تلك الروح التي رافقتهم طوال هذه المدة ، ويجب ان تكون الالفة والمحبة سائدة جميع اعماله ، واللجنة المكلفة بحماية اموال العشر هي المسؤولة عن رفع المستوى الفكري والثقافي في هذه المنطقة وتشكل من المكي الأمير غالب سليم والطاهر الأمير أحمد ميرزا ويضاف اليهما الشيخ محمد مقصود ، وهذه اللجنة تنحصر مهمتها بحماية الأموال وايداعها في احد المصارف وتنفق منها على نشر الثقافة ورفع المستوى الاجتماعي باسمي وتحت اشراف المجلس المحلي الأعلى ، واني واثق بانها ستؤدي عملها بكل نزاهة وامانة وستكون المدارس تحت اشرافها وتنفق عليها ويتألف المجلس الأعلى من السادة :

الوكيل : الأمير ميرزا مصطفى

الوارث : الأمير سليمان العلي

المكي : غالب سليم

الكامريا : الأمير احمد ميرزا

المكي : الشيخ احمد الحاج

الكامريا : الشيخ أحمد سليمان

الناظر : الأمير محمد ملحم

الناظر : الأمير مصطفى التامر

الناظر : السيد مصطفى ورده

الناظر : محمد أسعد طهور

عضو : السيد محمد علي ناصر

عضو : السيد عبد الكريم شرابا

عضو : السيد علي أمين الجندي

ويجتمع هذا المجلس بكافة أعضائه ويعتبر اجتماعه رسمياً اذا وجد

نصف الأعضاء أي أن باستطاعته أن يتخذ القرارات^(١) ويطلع الجماعات عليها بعد كل اجتماع . وهذه الطريقة ستستمر عشر سنوات وسيضعف التوفيق سنة بعد سنة .

وهذا الاسلوب غير مبتكر ولا جديد بل هو موجود منذ عشرين عاماً في افريقيا الشرقية والباكستان وبورما وآسيا الوسطى ويران والصين وقد لاقت الجماعات هنالك نجاحاً باهراً بواسطته ، ويحق لهذا المجلس أن يجتمع مرة واحدة في كل شهر ويستطيع أن يجتمع عشرات المرات لينمكن من انجاز أعماله وعلى الكاتب أن يسجل جلسات هذا المجلس بسجل خاص ، فاذا سرتم في تطبيق هذه الخطة ، ستلاقون نجاحاً كبيراً وستبلغون ما تريدونه وتطمحون اليه ، وبذلك تكونون قد أطعتم أوامرنا ؛ فتلاقون البركة في هذه الدار وفي دار الآخرة ، وعلى اللجنة والمجلس اتخاذ التدابير الآتية :

- ١ - الاعتناء بالمساجد لتظل أهلاً لما وضعت من أجله .
 - ٢ - التعليم الديني من اناث وذكور مع لمحة عن التاريخ الاسماعيلي .
 - ٣ - انشاء المدارس وتعميرها للذكور والاناث .
 - ٤ - إيفاد البعثات العلمية على نفقة بيت المال من اناث وذكور وسيكون ذلك بطريق الامتحان لا بطريق الانتقاء .
- ثم قال : أيها المؤمنون الموحدون .

تجنبوا التواكل والكسل وتمسكوا بالتعاليم والارشادات واعتنوا وحافظوا على صحتكم عن طريق رفع المستوى الصحي وان يكن بالنسبة لما شاهدته انكم لستم بحاجة الى طبيب ، الكل بصحة جيدة ، ساعدوا المعجزة واليتامى

(١) من كتاب آغا خان في سوريا تأليف مصطفى غالب ص ١٦ - ١٧ .

الذين لا معيل لهم لأن من واجب الاسماعيليين أن يعيل من لا معيل له ، ويجب أن لا يغرب عن بالكم بأن هذه المشاريع لا يمكن أن تتحقق ولا يكتب النجاح لهذه النهضة الاصلاحية الا إذا دفعت ضريبة العشر ، والعشر هذا توضيحية جزئية واجبة على كل اسماعيلي يعتقد ولايتنا ويخلص لنا .

وبعد أن أنهى تعاليمه وارشاداته تقدم مؤلف هذا الكتاب وطرح على سموه الاسئلة التالية :

س : لقد أمرتم بتعليم المرأة وتثقيفها فكيف يتلاءم هذا مع وضع المرأة الاسماعيلية المحجبة ، وهل يتفق الحجاب مع العلم ؟

ج - ان الحجاب يتعارض والعقائد الاسماعيلية ، واني أهيب بكل اسماعيلية أن تنزع نقابها وتنزل إلى معترك الحياة لتساهم مساهمة فعالة في بناء الهيكل الاجتماعي والديني للطائفة الاسماعيلية خاصة والعالم الاسلامي عامة وان تعمل جنباً إلى جنب مع الرجل في مختلف نواحي الحياة أسوة بجميع النساء الاسماعيليات في العالم ، وآمل في زيارتي القادمة أن لا أرى أثراً للحجاب بين النساء الاسماعيليات ، وآمرك أن تبلغ ما سمعت لعموم الاسماعيليات بدون ابطاء .

وقبل أن يغادر سموه سوريا قال : لقد كنت مسروراً جداً من زيارتي لأقدم عاصمة في التاريخ ، فدمشق مدينة الاسلام ومنبع الحضارة وحجة كل مسلم وعربي . وقبل أن يستقل الطائرة التي تقله إلى مصر تقدم رئيس مجلس الوزراء السوري وقلد سموه أكبر وسام في الدولة السورية وهو (وشاح أمية الأكبر) بين التصفيق والهتاف .

رأي الامام آغا خان في قضية المرأة :

كان سمو آغا خان ممن طالبوا بمنح المرأة حقوقها التامة والمساواة في المعاملة مع الرجل كما حدث على رفع منزلتها واعتبر المرأة أهم من الرجل من الناحية الطبيعية ، وفي كتاباته وخطبه أظهر بأن التجارب قد أكدت بأن للمرأة تأثير في المجتمع كونها تجلب الخير والبركة لمملكتها (البيت) إذا توفرت لها الحرية والمساواة ، ولها تأثير أعلى ومثالاً أنبل في الدولة . إذن فالمطلع على أحوال المجتمع الاسلامي عن كثب يعرف بأن حياته الروحية العالية تدين كثيراً للمرأة ، وان الوقت قد حان لكي تساعد الحكومات والمجتمعات الاصلاحية المرأة لتنال حقوقها التامة . وقال سموه في تعليم المرأة :

ان المسلمين لن يتقدموا اذا لم تتعلم المرأة تعليماً صحيحاً وقال : لو كان لي أنا شخصياً ابن وابنة ولم يكن بمقدوري ان أعلم أكثر من واحد منها لعلمت الابنة التعليم العالي .

وسمو آغا خان يملك قصوراً كثيرة في جميع أنحاء العالم وطائرات حديثة من أفخر طراز وعدداً كبيراً من أحدث اصطبلات الجياد في العالم ويحتفظ بفصيلة جياد (هاراث) التي تملكها أسرته منذ زمن بعيد ومنها ينتج أحسن خيول السباق المعروفة ، وقد نتج منها أخيراً الجواد المشهور (ركس) و (مالا ف) و (افرنجر) وقد ربحت هذه الخيول أكبر الجوائز العالمية لسباق (دربي) .

والامام آغا خان يعد من أغنى أغنياء العالم إذ يقدر إيراده السنوي بمبلغ يتراوح بين ٦٠٠ الف و ١٠ ملايين دولار ، وقد قدرت مجموعة الجواهر التي يملكها بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار . وعلى الاجمال فقد هيأ الامام

سلطان محمد شاه بنفسه جميع الوسائل والاسباب الكفيلة بنهوض الأمة الاسماعيلية علمياً واجتماعياً واقتصادياً وصحياً ، وعمل على تشجيع التعاونيات الريفية وانشاء الجمعيات الخيرية والصناعية ، وشرع سموه بارسال كثير من البعثات العلمية إلى انكلترا وامريكا وفرنسا ، وأسس لهم هناك بيوت الطلبة والنوادي الاجتماعية التي تقوي فيهم الروح التعاونية وتبعث فيهم الحيوية والنشاط ، ولا بد لنا قبل الانتهاء من حديثنا عن سمو آغا خان من أن نقدم للقراء هذه القصة الطريفة التي تدل على عطف سموه وعفته للحيوانات .

حدث مرة ان أهدها أحد اصدقائه عصفورين من نوع نادر وضعها في قفص صنع من الفضة الخاصة ، وبعد عدة أيام ذهب مرسل الهدية إلى منزل سموه ليزوره فوجد ان هديته قد وضعت في مكان الشرف من حجرة الاستقبال ، وسره ذلك فذهب لمشاهدة العصفورين في قفصها ولكنه صعد عندما وجد في القفص الفضي عصفوراً واحداً بدلاً من عصفورين فصاح الزائر متسائلاً ولكن أين العصفور الآخر يا صاحب السمو ؟

فابتسم الامام سلطان محمد شاه وقال :

لقد طار يا عزيزي ، فدهش مقدم الهدية وقال طار ؟ وكيف كان ذلك ؟ ففتح سمو (آغا خان) باب القفص واخرج العصفور الاخير ثم قال للزائر انظر هكذا طار وطار العصفور الثاني ، واسمو آغا خان نصائح وارشادات مشهورة فرضها على اتباعه الاسماعيليين فاصبحت بمثابة دستور لهم ومنها قوله :

— عليكم بالاقتصاد في شؤون دنياكم فما عال من اقتصد واني افرض عليكم الاقتصاد في معيشتكم .

- اكلوا من اكل الفواكه والخضار وقللوا من اكل اللحوم .
- تجنبوا الدخان والمشروبات الروحية لأنها تتلف المال وتنفث السم في الصحة .
- استبقوا شيئاً من معيشتكم ووفرُوا المال للمستقبل المجهول ولأيام العوزة والشدة .
- إقتنوا الاملاك والأراضي واستخدموا ثروتكم فيما يجلب اليكم المنافع مع مراعاة سلامة تلك الاموال .
- فكروا مرتين قبل أن تنفقوا قرشاً واحداً من مصاريفكم اليومية .
- لا تصرفوا شيئاً على طقوس الأموات والزواج ، وازهدوا في لذائذ الحياة الدنيا وادخروا شيئاً من نفقاتكم الشهرية وابتاعوا بها سندات شركات التأمين وأوراق الدولة المالية .
- على الاسماعيليين أن يمارسوا المهن الحرة ويسموا لترقيتهم بنشاط وجد واجلاس في العمل .
- اذا اقتصدتم في نفقاتكم بقصد التوفير عشتُم سعداء أعزاء كرماء محترمين .
- مارسوا التجارة ولو بالقليل وامهروا فيها واحرصوا على الفرص للتوسع فيها فالظروف عصيبة .
- الصدق والدين والايان بالله تعالى من دعائم الدنيا ولا قيمة للدنيا اذا فقدت احدى هذه الدعائم .
- أيها الاسماعيليون أنتم جنودي وأبنائي الروحيون فلا تضعوا من قدر أنفسكم ، لأن أبوكم الروحي الافضل إمام الوقت .
- قنافسوا في التمسك بتعاليمه وارشاداته والائثار بأمره وأطيعوا إمام زمانكم واخلصوا له أشد من حبكم لأبنائكم واعملوا وفق أوامري تفلحون وتكون لكم السعادة في الدارين .

— التربية الدينية للانسان تصلحه والدين هو الفارق بين الانسان والحيوان ، لا تدخروا وسعاً في جعل الدين محبباً إلى قلوبكم وقلوب الناشئة من أبنائكم .

— الاسلام دين الاخوة والمساواة والصدق والصبر والمدنية ، ولولا التمدن الاسلامي لكان نصيب الدنيا البؤس والشقاء ، إن الدين الاسلامي وحده قد خول للفقراء والبائسين من أبنائه ان يقفوا في صفوف الأغنياء المتعجرفين .

— إذا كان لاحدكم ولدان أو اكثر فليختار لهم مكاسب شتى ولا يحشدهم في عمل واحد ، ودعوهم أن يكتسبوا الخبرة عن طريق الوظائف قبل ان يشتغلوا بالاعمال الحرة ، تمسكوا بما أثلوه عليكم فإنه يفيدكم ويسعدكم .

— التآخي والاعتماد على النفس من مزايا ديننا الذي ينظر الى الغني والفقير والابيض والأسود والعربي والعجمي بنظرة واحدة .

— إعتنوا أيها الاسماعيليون اعتناء تاماً في تهذيب بناتكم ، ان تعليم البنات اهم واعظم من تعليم البنين ، يهتم بعض الاءاء في تعليم أبنائهم طمعاً في الحصول على الغايات المادية البحتة من ورائهم ، وتهمل امور بناتهم لانهم لا يرجون من وراء تعليمهم شيئاً ، وهذا خطأ فظيع ، وجريمة لا تغتفر ، أهيب بكم وأحشكم على تعليمهن وتهذيبهن وتدريبهن على الاعمال الرياضية والصحية ، واخرجوا بهن الى الهواء الطلق ، انا أبوكم الروحي أبارك بناتكن ؛ فعملوهن حتى يبلغن الرابعة عشر من عمرهن اذا استحال عليكم ان يكملوا علومهن .

إن هذا الزمان زمان تنازع في مرافق العيش ، والاليتق هو

الذي يعيش سعيداً فأوصيكم ان تسيروا مع الوقت جنباً لجنب وتكيفوا مع الزمن ولا تقرثوا منها قطعتم من مراحل في التقدم والازدهار .

أبنائي الاسماعيليين يجب ان تتنور قلوبكم بنور الايمان ويسود صفوفكم السلام ، وتتوثق فيما بينكم أواصر المحبة والاخاء ، تلتطفوا مع الجار ولو جار واحسنوا اليه ولو أساء ، عيشوا كراماً ولا تلتطخوا ثوب عزكم بالعار وادروا عن انفسكم المذلة مجتمعين بكل ما أوتيتم من حول .

— أيها الاسماعيليون جدوا واجتهدوا في طلب العلم ومنها نلتهم من شهادات عالية لاتدعوها تحول بينكم وبين النجارة والزراعة .

— إن اعظم خطر يهدد كل مواطن مسلم هو تناول المشروبات الروحية التي برهنت الايام والحوادث على انها تضر بالروح والصحة ، وما حرمت عليكم الا لانها تحمل الشرور والمضار وخاصة لطائفة مثلكم ، وانتم في هذه البلاد لا تستطيعون الاستغناء عن واحد منكم مهما كان الثمن لذا أحرم عليكم المشروبات الروحية فاجتنبوها تضمنوا متانة مركزكم الصحي والاجتماعي والديني .

— إن العوامل الرئيسية في تفرقة الشعوب البشرية هي النعرات الطائفية التي نراها قد انتشرت في بلادنا وبدأت نتائجها تظهر .

— حبوا وطنكم وجاهدوا في سبيله .
وهذه بعض التعليمات والارشادات التي خص بها ابناءه الروحانيين في سوريا .

— على جميع الاسماعيليين السوريين ان يعملوا جنباً الى جنب متضامنين لاجل عقيدتهم التي تهدف بهم الى الوصول للهدف الاكمل والغاية المثلى .

— يجب ان تظل العقيدة الاسماعيلية بمعزل عن التيارات السياسية .
— لأن المناهج السياسية شتى ومختلفة وان اتباعها لا يقود الى

البغضاء والتنافر والتفرقة ، وهي وجدت لخدمة المواطنين كما هو الحال بين الأمم والجمهوريات الديمقراطية ؛ ولا أرى مانعاً من اتباع المناهج السياسية بشرط ان يظل الرباط الروحي جامعاً لكافة الاسماعيليين .

— يجب ان تنفق اموالي التي وهبتها لكم في سبيل الثقافة والصحة والعمرات ولتحقيق المشاريع الخيرية .

— على الاسماعيليين ان يتناسوا تراثهم ، ويتركوا اثنيتهم واختلافاتهم الثقافية ، ويتعدوا عن الروح التعصبية الذميمة .

— المذهب الاسماعيلي مذهب المثالية في العالم ومن اراد منكم ان يكون مثالياً فليتبّع هذا المذهب .

والآن نقدم بعض ما كتب عن سمو آغا خان :

نشرت مجلة (برافوا) الفرنسية حديثاً هاماً لسمو (آغا خان) بقلم الكاتبين الشهيرين جيروم وجان تاروا وذلك في السابع من كانون الثاني سنة ١٩٣٠ ميلادية الموافق ٧ شعبان سنة ١٣٤٩ هجرية ، قال الكاتبان :

كنا نعرف الامير (آغا خان) معرفة جيدة قبل ان نقابله ذات يوم في (باريس) فقد شاهدنا صورته الكبيرة مراراً عديدة لدى الاسماعيليين ابان زيارتنا الاخيرة الى سوريا ، ولا تزال نذكر تلك الصورة الكبيرة المحاطة باطار جميل ومعلقة في غرفة عبادة الاسماعيليين الذين يسرون على مذهب خاص ويعتبرون (آغا خان) إماماً لهم ومولاهم الكبير ، وقد اعتاد هؤلاء ان يجتمعوا في بيوت العبادة لاقامة شعائهم الدينية ويدفعون خمس ارثهم وخمس مواردهم ، واذا ولد لهم ولد يتقدرون بانفسهم ما يجب ارساله لبيت المال ولم تبق صحيفة في العالم الا ونشرت الاخبار المفصلة عن زواج آغا خان الجديد ، آغا خان هذا الرجل

السمائي المحترم المقدس (ويسرنا كثيراً ان ننشر اليوم على صفحات (برافوا) حديثاً لم يتصل بإحد من قبل اليوم وهو الحديث الذي حدث به آغا خان زوجته الافرنسية في صباح اليوم الذي قرر ان تقيم به حفلة زواجهما وهذا ما قاله لها بالضبط :

إبنتي العزيزة ..

انت لا تجهلين ولا ريب بأني أمير شرقي كبير . وأعتقد بأنك تجهلين بأن آلاف وآلاف من البشر يعتقدون بأن الاله متجسم في تقريبا . نعم ان هذا الأمر لا أهمية له هنا وأما في الهند وسوريا وإيران والباكستان وبورما وسيلان وأفريقيا له أهمية كبرى ، ونأمل ان نقوم سوية بزيارة قريبة لتلك البلاد لقضاء شهر العسل فيها وسوف تتأكدين بنفسك من ذلك .

وأرى من الضروري ان اذكر لك شيئاً عن مذهبنا الاسماعيلي ، ولو اني لا أود أن اخرجك عن دينك الذي اعتقد بانه هو الآخر سام . إذن فاعلمي قبل كل شيء بأنني منحدر من علي ، وهذا الاسم لا يعرفك بشيء الآن ، آسفاً - آسفاً آه ما اكثر الامور التي يجب أن أوضحها لك ولا اعلم من أين أبتدىء .

إن علياً قد تزوج منذ مئات السنين من ابنة عمه فاطمة بنت محمد الوحيدة ، ومحمد هو نبي الله ، وبعد ما مات العم (اي محمد) فكر أغلب المسلمين ان يبايعوا علياً من بعده فيصبح زعيماً للمؤمنين ، ولكن آه من الانسان ما أعماه ، فان الرجال لم ينظروا ويختبروا سجايا علي وأهليته للقيادة أو الخلافة ...

إن الخيرات والبركات التي جلبها علي لهذا العالم لم يستطع أي انسان ان يجلبها له .

ان علياً يا عزيزتي كان الشعر والحلم بعينيها عالماً بالسر الذي يوضح وجود هذا العالم ، ان علياً كان يعلم معنى رحيه السامي الخفي ومسح هذا فقد قتله اولئك الجانين ، ولكن الوحي الذي جاء به لم يتوقف بل سار في الخفاء حتى وصل إلي ، وهذا العلم الخفي لا نذيعه الا شيئاً فشيئاً بالتفاهم المتوالي لان من واجب الحقيقة ان نحذر دائماً من المكائد وليس في وسع احد غير مؤمن ان يفهم الحقيقة في تركيبها السامي التام .
أما انت يا عزيزتي (اندريه) فأستطيع ان اخبرك بكل شيء .
اذن فاعلمي بأن الاله لا يوصف ولا يدرك فلنتركه على جنب الآن ، والذي يهمنا هو ان يظهر لنا باحدى صفاته ، صفة العلم بكل شيء ذلك الذي خلق نفس العالم ، تلك التي اتخذت شكل النفس الخاصة ، ولا أدري اذا كنت اجيد تفهيمك أم لا ..
إن في قولي هذا ذكرى للآراء الافلاطونية .

ان الروح والمادة تتعاونان دائماً مع النفس ولا يمكن لهذين المبدئين اللذين يؤلفانها أن يصلابها إلى ما يسميه شركاؤنا في الاعتقاد .. (الطبقة الجاهلة منهم) الجنة والتي هي في الحقيقة وفي (رأي العقلاء المدركين) حالة النفس البالغة كما المعرفة الحقيقة .

فالارض ليست سوى مقام للنفوس التي لم تتوصل إلى هذه المعرفة العظيمة ، أما الأنبياء فعندهم هذه المعرفة والادراك والتأمين ، ودورهم الوحيد في هذه الدنيا هو ارشاد المخلوقات إلى دار السلام .

وفي هذا العالم على الدوام ممثل له بكل شكل معروف او مجهول مرئي أو غير مرئي ونحن نسمي هؤلاء المقربين من السماء أنبياء أو أئمة .
وحياة هؤلاء كحياة سوامم من البشر زائلة ولكنهم يظهرون تارة هنا وتارة هناك وأنا نفسي أيتها العزيزة من هؤلاء ... وعندما وصل سموه

إلى هذا الحد من حديثه ، أرخت الآنسة كارون جفنيها بلطف فابتسم سموه ابتسامة فيها شيء من الحلم الإلهي ، وقال : أطلع هذه الحسناء الباريزية على أسس الاسماعيلية ، وهذا يكفي . هيا بنا يا عزيزتي لنذهب .

خطاب سموه في مجلس اللوردات^(١)

في الثالث من نيسان سنة ١٩٣٠ ميلادية حضر سموه اجتماعاً عقد في مجلس اللوردات البريطاني للنظر في قضية الهند ، وبعد أن خطب الخطباء وتكلم أكثر زعماء الطوائف الهندية ورجالاتها وقف سموه آغاً خان وقال :

أيها السادة !

لقد سمعتم رأي جميع الطوائف والاحزاب الهندية ، وأما إذا أردنا أن نبحث وندقق في جميع تلك الآراء لقلنا بأنهم قد أجمعوا على المطالبة بنظام كامل للحكم الذاتي في بلاد الهند .

ونحن نطلب منكم باسم الشعوب الهندية أن تعدونا بوضع إطار لهذه الصورة التي رسمناها لكم . وإذا كانت مطالبنا لا تدعو إلى ارتياح بعض الأقليات الضئيلة أو لا ترضي بعض الأمراء أو أي فئة ضئيلة بالنسبة للجميع ، نعدكم بأننا سنحاول في المستقبل أن نرسم لكم صورة غير هذه الصورة ، وسنظل نحاول ونختبر حتى تظهر للجميع شيئاً يحوز على رضاهم وقبولهم وارتياح الرأي العام ، وأنا قبل سواي أود أن تكون الصورة التي نرسمها بشكل يكفل رضاء كل أقلية في الهند وخاصة العنصر التجاري البريطاني بأن مصالحهم قد أصبحت مصانة ومحفوظة ومؤمن عليها .

(١) نشر هذا المقال في جريدة فتى العرب ، بتاريخ ٥ نيسان سنة ١٩٣٠ ميلادية ، العدد

ولا أدري ما هي الأسباب التي تحول دون الشروع في وضع نظام للحكم الذاتي التام ما دام بالإمكان الوصول إلى نظام اتحادي يسر الامراء ويرضي الهندوس والمسلمين والأقليات الصغرى وترتاح منه جميع المصالح التجارية المشروعة ، والسلام .

خطاب سموه في مؤتمر نزع السلاح^(١)

وقف الأمير آغا خان وناشد مندوبي الدول باسم الشعوب الهندية الذين يرون وسائل العنف والقوة في مقدمة الفضائل البشرية ، أن يدروا نكبة دولية لا بد من وقوعها إذ لم يبادروا إلى انقاذ المؤتمر ، فأعرب بذلك عن حقيقة لا ريب فيها وهي أن فشل هذا المؤتمر يطلق للدول المقيدة بمعاهدات الصلح حريتها فتسرع إلى تعزيز تسليحها استعداداً للطوارئ ، ويكون عملها هذا فاتحة الشر في أوروبا ، ولذلك لا نكون مبالغين إذا قلنا ان تأجيل خطر الحرب يتوقف على مؤتمر نزع السلاح .

الجامعة الإسلامية^(٢)

يخلو لبعض الباحثين أن يخلط بين الجامعة الإسلامية كظاهرة دينية وروحية وبين الحركات السياسية في دنيا الاسلام . فالجامعة الإسلامية بمعناها الوضعي هي الشعور الديني العميق الذي يشد المؤمنين بعضهم إلى البعض الآخر ، وهي قديمة قدم الاسلام نفسه ، وقد

(١) نشر هذا الخطاب في جريدة العهد الجديد في ٣١ آذار سنة ١٩٣٣ ميلادية ، العدد رقم (٧٤٥) .

(٢) بحث لسمو « آغا خان » نشر في كتاب أوروبا والاسلام ص : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .

سبق لي ان ذكرت في كتابي (تطور الهند) ان هناك جامعة اسلامية عادلة ومشروعة ينتمي اليها كل مسلم صادق الإيمان ، عنيت الاخوة الروحية والوحدة بين اقباع الرسول ، ذلك ان الوحدة الاسلامية الحقيقية هي حالة روحية يشعر معها المسلمون بأنهم أعضاء في اخوة واحدة ، وانه ينبغي لهم أن يتحدوا لصون وحدتهم الروحية والدينية ، وقد قامت الجامعة الاسلامية خلال اربعة عشر قرناً من نشوء الاسلام على مؤسستين عظيمتين هما الحج إلى بيت الله الحرام والخلافة ، فالحج هذه الفريضة الدينية المقدسة توثق الروابط والتضامن المعنوي بين المؤمنين ، وعندما يلتقي الوف الحجاج في مكة المكرمة يقيس الاسلام مدى قوته وشموه ويزداد استمساكاً بوحدته .

أما الخلافة فقد مثلت دوراً تاريخياً غاية في الأهمية ، وكانت مهمة الخليفة هي في الاصل الحفاظ على الشريعة وصون مصالح المسلمين . وقد ظلت ، على كونها مؤسسة دينية (الرمز الخارجي) للوحدة الاسلامية خلال بضع قرون . وكان في رأس المهام الموكولة إلى خليفة المسلمين الدفاع عن الأمة ضد العدوان الخارجي ، الا أن صلاحياته لم تكن مطلقة كما هي الحال في الكاثوليكية حيث يتمتع البابا بسلطة روحية غير محدودة ، وبعد سقوط بغداد بأيدي المغول فقدت الخلافة أهميتها ولم يفعل سلاطين بني عثمان بعد انتقال السلطة اليهم ، شيئاً مذكوراً في سبيل تعزيز هذه المؤسسة ، فاضحت ثانوية إلى جانب السلطنة ، وصار المتربع على العرش يلقب نفسه بالسلطان ابن السلطان والحاقان ابن الحاقان خليفة المسلمين وامير المؤمنين ، وطغت سياسة الفتح على ما عداها واوشكت الجامعة الاسلامية أن تتسم بطابع توسعي صريح لو لم تهب اوروبا للوقوف في وجه التيار العثماني وتوفق إلى صده .

وفي اواخر القرن التاسع عشر دخلت الامبراطورية العثمانية في طور الانحطاط فحاولت بعث الجامعة الاسلامية على أساس سياسي رغبة منها في تعويض ما فقدته ، فانبرى السلطان عبد الحميد الثاني لتمثيل دور الخليفة واحباط خطط الاوروبيين في الامبراطورية المتفسخة بانارة الشعور الديني ، الا ان الرأي العام لم ينخدع بهذه اليقظة المتأخرة ، وكانت قد تهيأ لتقبل الافكار الحديثة التي اخذ يبثها اصلاحيون متقدمون كجمال الدين الافغانى واقطاب (جمعية الاتحاد والترقي) .

وفي الحرب العالمية الأولى أعاد سلطان بني عثمان الكرة محاولاً بعث الجامعة الاسلامية على أساس سياسي ، ففئت محاولته بالانخفاق لأن الجامعة اذ تنقلب سياسية تنحرف عن غايتها الاساسية وهي توثيق عرى الوحدة والاخوة بين المؤمنين في الحج والزكاة ، وقد قابل بادرة السلاطين في اواخر القرن الماضي ومطلع هذا القرن حركة اصلاحية شاملة تهدف من جهة إلى رفع شأن الشعوب الاسلامية وتجديد شباب الاسلام كقوة روحية عظيمة ، وترمي من جهة اخرى إلى زيادة إمكانيات البلدان الاسلامية في الحقل الاقتصادي باعتماد أساليب الغرب الفنية والعلمية ، وتزعم هذه النهضة الاصلاحية الشيخ محمد عبده في مصر وسيد احمد خان في الهند ودعا كلاهما إلى الاقتباس من الغرب ما يتفق وتعاليم الاسلام ، وحارب الجمود والخنول والبدع ، وفي روسيا تزعم اسماعيل غاسبرنسكي حركة النهضة الثقافية الاسلامية ، وقال بوجوب تغيير الارضاع الاجتماعية لأنها تحول دون تطور المسلمين تطوراً يتيح لهم مجاراة الغربيين وقصد اقترح غاسبرنسكي في جريدته (ترجمان) عقد مؤتمر اسلامي عالمي بتولى وضع منهاج اصلاحي شامل .

وكانت حركة الكمالية في تركيا فادى الغناء الخلافة إلى احداث

فراغ في دنيا الاسلام لأن المؤسسة الملقاة كانت على ضعفها في عهد السلاطين ، رمز الجامعة الاسلامية ، وقد سعى الاصلاحيون منذ ذلك في سبيل احياء الجامعة ، وتعددت المؤتمرات الدورية للغرض نفسه ، واتخذ بعضها شكل عصبة امم محمدية تعمل على جمع شمل المؤمنين روحياً ورفع مستواهم الثقافي والاقتصادي والنهضة بهم دينياً واجتماعياً ويتضح مما تقدم ان الجامعة الاسلامية مؤسسة مبنية على مبدأ الايمان والرابطة الروحية ، وانها تختلف اختلافاً بيناً عن الجامعتين الجرمانية والصقلبية اللتين تقول كلناهما بموحدة العنصر واللسان والجنس مما يتنافى ومبدأ الكلية في الاسلام ، هذا الدين الذي لا يؤثر جنساً على آخر . ولا يقيم وزناً للعنصرية ، تهدف الجامعة الاسلامية في الدرجة الاولى الى تمكين الاواصر التي تشد المؤمنين بعضهم الى بعض ، وليست تهدف الى التوسع الاقليمي والسيطرة على الاقوام ، لهذا لا يجوز للغرب ان يوجس خيفة منها ، انما ينبغي له ان يعتبرها عاملاً من عوامل الطمأنينة والاستقرار والازدهار الاقتصادي والاجتماعي في عالم منقسم على نفسه ، تتجاذبه تيارات متضامنة وتتنازع المطامع .

إن الاسلام كقوة روحية ومعنوية ، لعللى اتم استعداد لمساعدة اوروبا الجريح في محاولتها انشاء عالم ما بعد الحرب ، ويرجو أن ترد اوروبا على هذه المبادرة بالاعتراف للشعوب الاسلامية بحقوقها في الحرية والعدالة وفي تحقيق مطامحها المشروعة ذلك بأن المسلمين ، في أي مكان وجدوا ، خليقون بأن يتولوا مقدراتهم بانفسهم وان يساهموا مساهمة فعالة في تهيئة اسباب التقدم للبشرية جمعاء .

عشر دقائق مع الأمير آغا خان ^(١)

وآغا خان علم من اعلام السياسة الدولية ، فقد كان رئيس مؤتمر عصبة الامم في سنة ١٩٣٧ كما انه زعيم من ابرز زعماء العالم الاسلامي واقوام نفوذاً ، ولهذا رأينا ان يتحدث الينا عن رأيه في بعض الشؤون السياسية والاسلام .

وذهبنا الى فندق مينا هاوس قبل الموعد المحدد للمقابلة ، وانتظرنا في صالون الفندق فرأيناه ينزل السلم في نشاط ورشاقة رغم تقدم سنه ، وصحبناه الى حديقة الفندق حيث اخذ يحدثنا عن السنين الطويلة التي امضاها في سويسرا منذ دخل الالمانيان باريس في يونيو سنة ١٩٤٠ ميلادية ولم يغادر باريس الا في اللحظة الأخيرة ، والتجأ الى سويسرا حيث ظل بها الى ان غادر اوروبا أخيراً ، ثم تطرق الحديث الى مؤتمر سان فرنسيسكو وهو يمثل الهند فيها كما مثلها في مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ ميلادية .

فقال لنا انه لا يريد ان يعود الى ميدان السياسة الدولية لأنه مهم الآن بمشاريع اجتماعية واصلاحية تستنفد كل وقته وجهده ، ولكنه يعتقد ان مؤتمر سان فرنسيسكو سيؤدي الى قيام هيئة تؤدي ما عجزت عنه عصبة الامم ، وهو المحافظة على السلام والقضاء على الحروب ، والمحافظة على حقوق الشعب على قدم المساواة بين قويا وضعفها ، وسألناه عن مشروعاته الاصلاحية فقال انه يقوم الآن بإنشاء جامعة كبيرة في شمال الهند ، لتعليم ابناء المسلمين بمستواهم المادي والاجتماعي ، فيدرس فيها

(١) مجلة الاثنين عدد ٣٤٧ سنة ١٩٤٣ .

الطب ، والهندسة ، والزراعة والكيمياء ، بدلاً من أن تدرس فيها الآداب ، والاديان والقوانين ، لأن الشرق ليس في حاجة الى نظريات وافكار قدر حاجته الى العلوم العملية التي يقيم عليها نهضته القادمة . ومن الامتيازات التي منحتها الحكومة البريطانية لسمو آغا خان أن يطلق له احدى عشر مدفعاً عند مقدمه إلى الحفلات الرسمية التي تقيمها الحكومة :

زوجي آغا خان^(١)

ان النظام الذي يتبعه (آغا خان) في حياته اليومية ، يختلف باختلاف المكان الذي يكون فيه . ففي القاهرة مثلاً ، يقضي فترة الصباح في نادي الجزيرة ، حيث يستمتع بلعبة الجولف ، وهي أحب أنواع الرياضة اليه ؛ فاذا حل موعد الغداء ذهب إلى نادي محمد علي لتناوله ، واستقبال الزوار والتحدث اليهم . ثم يعود إلى فندق سميراميس ليستريح قليلاً في جناحه الخاص وأما الهواية الخاصة التي ولع بها منذ زمن طويل ، فهي لعبة الجولف ، أما الهواية التي تستغرق الشطر الأكبر من اوقاتنا فهي الاسفار ، فنحن لا نكث طويلاً في بلد من بلدان العالم ، بل ننتقل من مكان إلى مكان فلا نستقر في مدينة حتى نكون قد تأهبنا لمبارحتها .

والواقع اننا في حركة لا تنقطع ويخيل لنا اننا قلما نستريح - لا نستريح إذا قطعنا المسافات الشاسعة في السفر ، ولا نستريح إذا القينا عصا الترحال ، فكأننا خلقنا للرحيل ، والتنقل والتجوال . ولست انكر السعادة التي نجدها في هذه الحياة التي لا نكاد نضرب خيامنا في مكان فيها ، حتى نطويها ، ونرحل إلى غيرها من أرض الله الواسعة .

على ان زوجي يحلو له أن نقضي شهرين من كل عام في قصرنا في مدينة (كان) في ساحل فرنسا الجنوبي ، ومن الحوادث التاريخية التي

لا تنسى في حياة زوجي ، الاحتفال بمرور ٦٥ عاماً على تقلده (الامامة) وما تبع ذلك من وزنه مرتين ماساً في (دار السلام) تنجانيقا بشرقي افريقيا ، وبومباي في الهند ، وهي حادثة لا اخال احداً يجهلها أو لم يسمع عنها .

ولو انني كنت ادون في يومياتي ، ما نشهده من التقاليد والعادات العربية في شتى اطراف المعمورة لمئات مجلدات ، ولعل أغرب ما شهدت في رحلتنا الاخيرة في إيران ما حدث في (محلات) ، ومحلات هذه تقع بين مدينة اصفهان وطهران . وهي بلدة آغاخان الاول جد زوجي سمو آغا خان الثالث . وقد رحل آغاخان الاول مع أسرته أثر خلافات سياسية بينه وبين دولة (القاجارية) إلى بمباي في الهند لأن اقواماً فيها من أصل السادات الامامية التي ينحدر منها آل آغاخان .

كان لا يخطر ببالي ان في العالم ، مثل ما رأيت عينايا بين المطار التي حطت فيه الطائرة التي اقلتنا وبين هذه البلدة ، فقد تقاطرت الجماهير المحتشدة على طول الطريق ، ومعهم الماشية والخراف والجمال وفي ايديهم سكاكين طويلة حادة مخيفة . وكلما تقدمت السيارة خطوات ، توقفت عن المسير أمام رجل يطمئن حيوانه بسكينه طعنة نجلاء في عنقه ، فيرمي على الأرض تتدفق منه الدماء وأخذت الذبائح تنجر ، والدماء تتدفق ، ومتافات الجماهير تختلط باصوات الحيوانات ، وقد تكدست لحومها على الطريق ، وواصلت سيارتنا المسير وهي تخوض الدماء ، تخترق الجماهير إلى أن بلغنا بعد زمن ليس بقصير ، قلعتنا (قصرنا) في البلدة .

وكما ان زوجي آغاخان يهوى السفر والتنقل ولعبة الجولف ، فانه يهوى كذلك الكتب والمجلات ، والقراءة والاطلاع ، إذ تستغرق القراءة من وقته في المتوسط ، من أربع ساعات إلى خمس ساعات يومياً ، وتشمل

هذه الكتب والمجلات ، كل ما يتصل بالفكر الانساني من دينية ، وعلمية ، وأدبية ، وفلسفية ، من نثر وشعر ، إلى ما يقصد به التسلية ، والترفيه والاسترخاء وراحة الجسم والتنقل . أما اللغة الغالبة في هذه الكتب والمجلات فالانجليزية على ان منها ما هو بالعربية أو الفارسية أو الهندية أو الهندستانية أو الفرنسية ، وسموه شديد الولع على الأخص بقصائد الشاعر الفارسي المطبوع حافظ شيرازي ، ومنظوماته ، وبقرونها بلغتها الأصلية لأنها في الغالب لم تنقل إلى لغات أخرى ، أو على الأصح يصعب جداً ترجمتها ، لأنها من الشعر الفلسفي الصوفي العميق ، فإذا ما ترجمت فقدت قيمتها الفنية وتعبيراتها الفارسية الجميلة ، ومعانيها السامية التي لا تستقيم في غير الفارسية ، وآراءها ، وفلسفاتها الصوفية ، السقي تذهب اللغات الأجنبية بروعتها الكامنة في عباراتها الأصلية . هذا فيما يختص بالمطالعة ، أما لغة الحديث بيننا فالفرنسية دائماً .

الأمير المحسن

إن مناسبات اليوبيل الذهبي واليوبيل الماسي اللذين تكرر حدوثهما مرتين ، واليوبيل البلاطيني الذي سيتكرر حدوثه خمس مرات ، هي مناسبات لم يسبق لها مثيل ، لا في حدوثها فحسب بل في نتائجها وخيراتها .

ذلك لأن سموه الملكي الذي وزن بهذه الأحجار الكريمة التي لا تقدر بثمن ، قد وهب بكل لطف جميع هذه الكنوز العظيمة لأتباعه من أجل انفاقها على أمورهم الثقافية والنواحي الحيوية الأخرى التي تضمن سعادتهم ورفاهيتهم . لقد شيد لأتباعه المدارس ، ودور الحضارة ، والمستشفيات في جميع الاقطار التي يقطنونها ، ووزع المنح والمطايا على الطلاب المجتهدين

وعلى المراكز الصحية والعلمية ، ولا يزال حتى الآن ينفق ملايين الروبيات في كل سنة من أجل سعادة ورفاهية أتباعه .

كان سمو آغا خان يعمل وما زال في سبيل تقدم ونجاح الاسماعيلية منذ ان اعتلا عرش الامامة في العام الثامن من عمره ، وليس هذا فحسب بل أن جوده وكرمه مشهوران في جميع الأقطار الاسلامية لما أنفقه في سبيل المسلمين من ملايين الروبيات لرفع مستواهم الثقافي والسياسي والاجتماعي والديني ، حتى ان مكارمه وصدقاته على الناس من شتى الطبقات والمذاهب أعظم من أن تعد وتحصى في هذه البلاد . وفي كل مكان يستقر قدمه فيه ، يناله نصيب من كرمه وسخائه ، وما من مشروع انساني نبيل يقوم ويتحقق إلا وشمله عطف وإحسان هذا الامير الانساني المحسن وكرمه .

ان الخدمات التي أداها صاحب السمو الملكي السير سلطان محمد شاه الامير آغا خان للمسلمين في شبه القارة الهندية الباكستانية هي أكثر من أن توصف بإسهاب في هذا البحث الضيق . لقد زودهم وأعطاهم أعظم التوجيهات والارشادات في الميدان الثقافي ، ففي سنة ١٨٩٤ ميلادية عندما كان في السابع عشرة من عمره زار كلية (عليكرة) وقابل مؤسسها السيد سيد احمد خان وعرض عليه المساعدات القيمة ، وفي سنة ١٩٠٣ ميلادية ترأس المؤتمر الحمدي الثقافي ووجه للمسلمين نداء مخلصاً طالباً منهم أن يسمعوا وراء العلم ما وسعهم ويبدلوا جهودهم لرفع المستوى الثقافي في بلادهم . وفي سنة ١٩١٠ ميلادية قام برحلة جمع فيها مبالغ طائلة ساهم فيها بنفسه من أجل انشاء جامعة اسلامية ، ولولا جهوده هذه لما كانت من الممكن جمع مثل هذه المبالغ التي أمكن بفضلها تحويل كلية (الانكلو - اوريانثال) إلى جامعة اسلامية هي جامعة (عليكرة) .

ومن الناحية السياسية فقد أيقظ وأرشد جميع أبنائه واخوانه الروحانيين ، ففي سنة ١٩٠٦ م قام الحلف الاسلامي الهندي بفضل مساعي سموه الملكي ، وقال في ذلك الوقت كلمته المشهورة (ان مسلمي الهند ليسوا طوائف دينية متفرقة انما هم أمة اسلامية موحدة) . وفي السنة التالية انتخب رئيساً دائماً لهذا الحلف الى أن استقال سنة ١٩١٤ م . وفي عهد إصلاحات (مورلي - مينتو) بسدل جهوداً جبارة لتأمين مقاعد انتخابية للمسلمين ، وقد مثل الهند في مؤتمر المائدة المستديرة في لندن وفي مؤتمرات نزع السلاح في جنيف ، وبذلك استطاع ان يوضح وجهة النظر الهندية في المجتمعات العالمية ، وترأس الاجتماع الاسلامي الذي عقد في (دكا) عام ١٩٥١ م . وفي ذلك الاجتماع نهض السيد حبيب الله بهادور وأشار الى خدمات سموه فقال : يا صاحب السمو الملكي !

ان حركتكم التي بدأت بها في سنة ١٩٠٦ م . من أجل تأمين مقاعد انتخابية منفصلة للأمة الاسلامية قد أذكت الروح الوطنية التعاونية بين المسلمين ، وكاد (حلم الشعب الباكستاني) أن يتحطم لولا جهادكم الطويل في سبيل تحقيق ذلك الحلم وتأمين المقاعد الانتخابية للمسلمين .

ولقد ترأس سمو الأمير آغا خان لعدة مرات جميع أسباب التقدم الحياتي في جنوب افريقيا ، لذا نرى أن المسلمين في افريقيا يحملون لسموه أسمى آيات الشكر والاعتراف بفضل الخدمات التي قدمها لهم من أجل تقدمهم ورفقيهم وازدهارهم في مختلف نواحي حياتهم الاجتماعية والزراعية والثقافية والسياسية ولقد ساهم سموه بمبالغ كبيرة لبناء مسجد (كابولي) وافتتاح مؤسسة فنية في افريقيا ، وتحدث السير (ل. ب. انكزسون) عن صاحب السمو الأمير آغا خان فقال :

لقد أظهر سمو آغا خان في مناسبات عديدة بأنه لا يمثل الشرق

فحسب بل يمثل الغرب ايضاً ويتمتع بقيمة معنوية هامة ليس لها أي اعتبارات جغرافية او اقليمية فهو كما قال عنه السير (صموئيل هورد) بمناسبة الجهود الجبارة التي بذلها في سبيل إقرار السلم في هذا العالم ، هذه الجهود التي نالت إكبار و إعجاب وتقدير جميع الأمم وجعلت سموه منزلة عظيمة في مجالس الأمم ، انه (اعظم مواطن في العالم) .

وبالنظر للجهود التي بذلها للحيولة دون وقوع حرب بين تركيا وقوات أخرى تهدد بنشوب حرب عالمية فقد قرر مجلس الدولة الهندي عام ١٩٢٤ بالاجماع توجيه نداء للحكومة النروجية لترشيح سمو (آغا خان) كشخص ممتاز ليمنح جائزة (نوبل للسلام) عن تلك السنة .

والتيخ ب سموه الملكي رئيساً لعصبة الأمم سنة ١٩٣٧ م. وهذا الانتخاب برهان قاطع على انه من أعظم قواد وساسة العالم .

وكتب السير تيودور موريسون منذ ٤٥ سنة عنه ما يلي (انني اعتقد بأن سمو الأمير آغا خان سيلعب اعظم دور خلال النصف الثاني من هذا القرن في توجيه مصير العالم الاسلامي ، هذا التوجيه الذي تؤهله له مكانته السامية ومقدرته العلمية والسياسية الباهرة) .

وحاول سموه أن يجعل من تركيا والعراق والافغان ومصر اعضاء في مجلس عصبة الأمم ، فقال أحد الكتاب (ان الاسلام بتقاليده العظيمة قد اصبغ في غنى عن أي رئيس ولم يعد بحاجة لأكثر من رسول واحد هو سمو الأمير آغا خان) وفيما يلي بروي لنا الشريف الشيخ السيد حسين قيصاوي حادثتين وقعتا بحضوره .

قال : كانت الحادثة الأولى عندما شككت الحكومة الهندية لجنة لتعلمها لدى بريطانيا مؤلفة من سمو الامير آغا خان رئيساً والسادة ثوثاني وحسن (٢٥)

امام والدكتور انصاري وأنا ، وكان على هذه اللجنة ان تتوسط لدى البرلمان الانكليزي لارجاع (تراس وسميرنا) للحكومة التركية ، ولدى وصولنا مثلنا أمام البرلمان البريطاني وتقدم خطيبنا السيد حسن امام وشرح القضية مطالباً البرلمان البريطاني بالموافقة على ارجاع تلك المقاطعات الى تركيا الدولة الاسلامية ، فنهض رئيس الوزراء البريطاني (لويد جورج) قائلاً : ما دامت (تراس) تحت الحكم اليوناني العسكري فمن هو الذي سيطردهم منها ، فلم يجب حسن الامام ولا أحد منا ، وسرعان ما نهض سمو آغا خان بكل حماس رافعاً اصبعه الى اعلى قائلاً (حسناً يا دولة الرئيس كن على ثقة وبالرغم من كبر سني سأذهب وسيأتي بيدي لأطردهم من هناك ، وسنبقي السفن ونفعل كل شيء فتركهم لنا) وكان صاعقة قد نزلت على رأس (لويد جورج) فلم يتكلم إلا بدمدمة مضطربة فقال : (كلا كلا لا نستطيع ان نفعل ذلك) .

لقد اهتزت مشاعري لتلك الكلمات والطريقة التي تكلم بها سمو آغا خان . فكانت كل كلمة تحفر نفقاً عميقاً في قلبي : حتى انني لا أزال اذكر كل كلمة من عباراته حتى الآن وأتخيله أمامي يرددها . وأتمنى لو أن هذه الكلمات تخرج من فمي بنفس الطلاقة وعدم التكلف ، التي خرجت بها من فم سموه المقدس ، لأنها كانت تعبر تعبيراً صادقاً عن مبلغ حبه العظيم ... حبه الذي لا ينتهي ، حبه الذي يغمر قلبه ... للاسلام ، لقد كان رائعاً في تعبيره ... فهو لم يقل بأنه صاحب السمو الملكي سير سلطان محمد شاه . ج . س . س . ك . ل . س . س . ي الخ وانه أعظم مواطن مخلص لجلالة الملك البريطاني وأمثال هذه الالقاب والكلمات . ومن هذه الملاحظات ظهر بأنه المسلم الصادق المعمور قلبه بحب الاسلام ، ان دم النبي محمد الذي يسري في عروقه جعله يمثل هذا ، ويؤكد بأنه على استعداد ليقدم ثروته ومكانته وحتى حياته في سبيل الاسلام .. نعم في

سبيل الاسلام .. وليس فقط من أجل تلك الطائفة التي تعتبره رئيساً روحياً أعلى وانني استطرد فأقول بأن ما حدث كان رائعاً ومدهشاً . حتى لقد صدمت به .. واصبح قلبي منذ تلك اللحظة ملكاً له .. هذا القلب الذي استقر حبه فيه .. واخذ ينمو ويكبر ويتسع لأعظم عواطف من التقدير والاخلاص الأبدي حتى انني الآن وعند كتابة هذه السطور أشعر بأنني يجب ان اصلي لذلك الذي يحب الاسلام بمثل هذه الحرارة . والمناسبة الثانية التي اهتزت فيها عظامي طرباً لما قال سمو الأمير آغا خان ، كانت بعد أيام قلائل من قيام الحركة الحادية الروسية في السنة الماضية ، عندما انضمت دولة افغانستان الاسلامية إلى عصبة الأمم ، وكان سمو آغا خان رئيساً لمثلي الهند في جنيف ، وبينما كان سموه يرحب بدخول دولة افغانستان قال « ان الهند لفخورة بثقافتها الشرقية ، وبتقاليدها وبلغتها وبمدنياتها وبافغانستان ، إن ثمانين مليوناً من المسلمين الهنود لفخوريين مثلي بانتظامهم في رابطة الأخوة العظيمة في الاسلام » . ولقد كنت من حسن الحظ موجوداً بهذه المناسبة ، وكان البهو مكتظاً بجماهير غفيرة من مختلف الأمم والجنسيات ويمثلون أدياناً مختلفة عديدة . وكان أعضاء عصبة الأمم أنفسهم يمثلون ما يزيد على خمسين أمة وكانوا جميعاً أشخاص موهوبين وذوي ثقافة عالية تؤهلهم لتمثيل حكوماتهم ولكن أحداً منهم لم يكن قط بأوسع اطلاعاً أو أسمى ثقافة من سمو الأمير آغا خان الذي كان يحيط بأعظم وأعلى ما في ثقافة الغرب والشرق على السواء . ولكم كان سخطي عظيماً عندما لاحظت ان رجلاً مثل (دي فاليرا) قد ترأس باسم القضية المسيحية بعض اجتماعات العصبة وأخذ يهاجم الحركة الروسية بكل فصاحة وطلاقة . حتى ان أولئك المسلمين الذين كانوا في العصبة نفسها اتضح لي كأنهم يحملون عقدة

نفسية وانهم أصبحوا يشعرون بالخجل من (الاسلام) . ذلك الاسلام الذي كان المعلم اللامع والمهذب الاكبر وموقد نار المدنية في أوروبا كلها . ذلك الاسلام الذي كان يعطي منذ ثلاثة عشر قرناً وحتى الآن دروساً عملية صادقة بوحدة الجنس البشري ومساواته في شتى الميادين العالمية ، ذلك الاسلام الذي يحمل في ثناياه مثلاً فريداً من نوعه لرابطة أممية نحو الأحسن والأكمل والتي اضمحل امامها (ميثاق بسيدو الأمم) وتلاشى . في عصابة الأمم وبحضور عدد كبير من العلماء والمثقفين الذين حضروا ليعملوا امماً منتشرة فوق سطح الأرض - رجل واحد فقط - ذو عقلية لامعة جبارة ... وقف ... وكان رجلاً مسؤولاً .. رجلاً واسع الثقافة والعلم ، رجلاً عظيم الخبرة ، رجلاً عرف الأرض بطولها وعرضها وتجول فيها ، رجلاً مصقول النفس ، سيداً نبيلاً . محترماً من الأفراد ومن الجميع .. أقول وقف ليعلم بأعلى صوته وعلى مسمع الاشهاد ورؤوسهم بأنه فخور بانتسابه الى رابطة الأخوة في الاسلام . لقد كانت في الحقيقة موقفاً رائعاً مؤثراً ، وكان بمثابة صفة قاسية على وجه أولئك الجبناء الذين شعروا بالخجل لدى ذكر اسم (الاسلام) وقد عززت كلمات سمو آغا خان هذه من سطوة الاسلام ونفوذه في هذا الجمع الذي كان الى لحظات مضت يتحامل ويتغرض ضده .

لقد طغى عليّ الفرح وأنا رجل عنيد صعب المراس وليس سهلاً أن انحني أمام أي انسان ولو كان ملكاً ، ولكن بكل فخر وسرور انحني احتراماً واجلالاً وتقديراً أمام ذلك الرجل الذي نطق من صميم قلبه (بهذه الكلمات المؤثرة) .

هذه خلاصة مختصرة لحياة السير آغا خان المجيدة ... آغا خان الذي وهب نفسه وحياته للاسلام ، ان كرم سموه وسخاءه على المؤسسات

الاسلامية والقضية الاسلامية الهندية سيبقى أبداً مصدر الهام لا ينضب
الأجيالنا الصاعدة المقبلة حتى نهاية هذا العالم .
كراتشي (الباكستان) هـ . م شير علي عليا الدين

بعض الحوادث الهامة في حياة سمو الامير آغا خان الملكي

سنة ميلادية

- ١٨٧٧ ولد في كراتشي (الباكستان) في الثامن من شهر نوفمبر .
- ١٨٨٥ في السابع عشر من أغسطس اعتلى عرش الإمامة .
- ١٨٩٧ تزوج البيجوم (شاه زاده) .
- ١٨٩٨ زار أوروبا وقابل الملكة فكتوريا .
- ١٨٩٩ زار افريقيا وحصل على وسام النجمة اللامعة من زنجبار
وزار تركيا وحصل على وسام تركيا وزار العجم وحصل على
وسام (شامسول همايون) أي نجمة العجم .
- ١٩٠٢ حضر حفلة تتويج الملك ادوارد واعتبر (ضيف الأمة)
- ١٩٠٣ ترأس اللجنة التشريعية في الهند ، وعمل كرئيس للجنة
التمهيد للمؤتمر الثقافي الاسلامي في الهند كلها .
- ١٩٠٦ ترأس البعثة الاسلامية لمقابلة اللورد مينتو من أجل انتخابات
منفردة .
- ١٩٠٧ انتخب رئيساً دائماً للرابطة الاسلامية ، واستقال سنة ١٩١٤
ميلادية .
- ١٩٠٨ تزوج من الاميرة تيريزا ما جليانو أم الامير علي خان ولي
عهد الامامة الاسماعيليه .

- ١٩١٠ في الثالث عشر من يونيه ولد الامير علي خان الابن الاكبر في مدينة تورين بايطاليا .
- ١٩١١ جمع ثلاثة ملايين روبية للجامعة (عليكره) الاسلامية ودعا لعقد مؤتمر الرابطة الهندية الاسلامية في (الله آباد) .
- ١٩١٦ منح تحية احدى عشر طلقة مدفع ورتبة فارس من الدرجة الاولى لمدينة بمباي .
- ١٩١٨ نشر كتابه (الهند في مرحلتها الانتقالية) .
- ١٩٢٤ ترأس مؤتمر (جميع الفرق الاسلامية) في دلهي .
- ١٩٢٦ تزوج من (أندري كارون) والدة الأمير صدر الدين .
- ١٩٢٧ في التاسع والعشرين من تشرين عهده بولاية العهد لولده الأمير علي أمام وفود من الاسماعيلية السوريين في مدينة (بور سعيد) .
- ١٩٣٠ ربح جائزة سباق الدربي لأول مرة .
- ١٩٣١ ترأس المحادثات الهندية البريطانية لدى مؤتمر المائدة المستديرة .
- ١٩٣٢ مثل الهند في مؤتمر نزع السلاح العالمي وترأس المفاوضات الهندية في عصبة الأمم ، وأيضاً في سنة (١٩٣٤ - ١٩٣٥ - ١٩٣٦) .
- ١٩٣٣ ولد الأمير صدرالدين الابن الثاني .
- ١٩٣٥ احتفل بيوبيله الذهبي في ١٨ أغسطس بمناسبة مضي ٥٠ عاماً على إمامته المقدسة ، ربح جائزة سباق دربي للمرة الثانية .
- ١٩٣٦ احتفل بيوبيله الذهبي في الهند ، وزن بالذهب في مدينة بمباي ، ربح جائزة دربي للمرة الثالثة ، وولد حفيده الأول (كريم آغا) .
- ١٩٣٧ اليوبيل الذهبي في افريقيا وزن بالذهب في نيروبي وانتخب رئيساً لعصبة الأمم ، وولد حفيده الثاني (محمد أمين) .

- ١٩٤٤ تزوج من (إيفيت لابروس) البيجوم الحالية .
- ١٩٤٥ احتفلت الاسماعيلية بمناسبة مضي ستون عاماً على إمامته في الثامن عشر من أغسطس .
- ١٩٤٦ وزن بالماس في العاشر من آذار في مدينة ممباي وفي العاشر من أغسطس في دار السلام بأفريقيا .
- ١٩٤٧ منح لقب شرف لمدينة كان الفرنسية .
- ١٩٤٩ أعلن رسمياً بأنه أصبح (مواطن إيراني) ومنح لقب صاحب السمو الملكي .
- ١٩٥٠ زار الباكستان لأول مرة بعد استقلالها .
- ١٩٥١ زار إيران ومنح وسام فيها وزار سوريا ومنح (وشاح أمية الأكبر) .
- ١٩٥٢ ربح الجائزة الأولى لسباق الدربي للمرة الخامسة .
- ١٩٥٣ قرر أن ينشر مذكراته السياسية والعلمية .
- والخلاصة يعد عمه الامام سلطان محمد شاه علي من ازهى واعظم وأرقى العهود التي شهدتها الاسماعيلية ، وبفضل تعاليمه وارشاداته ومساعداته الكثيرة ، احتلت الطائفة الاسماعيلية المكان اللائق بها كأمة تؤمن بالقيم الروحية ، واعترافاً بهذا الفضل والكرم قررت الأمة الاسماعيلية جمعاء ان تحتفل في عام ١٩٥٤ ميلادية في كل من افريقيا والباكستان وبورما بوزن سموه بالبلاطين ، والبلاطين هذا من أغلى وندر المعادن في العالم ، وحتماً سوف يأمر بالفاق هذا المبلغ على تحسين شؤون أتباعه في العالم .
- وفي سنة ١٩٥٤ ميلادية في الثالث من شهر شباط احتفل بيوبيله البلاطيني باحتفال عظيم جرى في مدينة كراتشي الباكستان .

وفي سنة ١٩٥٥ ميلادية في شهر آذار احتفل بيوبيله البلايني في مدينة القاهرة .

وفي سنة ١٩٥٧ أحدث كرسيًا للدراسات الاسلامية في جامعة (هارفارد) في اميركا .

وفي سنة ١٩٥٧ أناب عنه ولي عهده الأمير علي خان لحضور احتفالات بيوبيله البلايني في بمباي .

وفي يوم الخميس الساعة الثانية ظهراً الحادي عشر من تموز سنة ١٩٥٧ توفي في قصره بسويسرا ، ونقل جثمانه جواً الى اسوان في الجمهورية العربية المتحدة ، وفي ١٩ تموز من نفس العام احتفل بوضع الجثمان في فيلا (نور السلام) حتى تلتهي المقبرة التي شرع بتشييدها على رأس ربوة الجبل الاصفر بقرب فيلا نور السلام غرب مدينة اسوان في مصر .

وفي ٢٠ شباط سنة ١٩٥٩ ميلادية تجمع الاسماعيليون من جميع انحاء العالم حيث احتفل رسمياً بنقل الجثمان الى مقره الاخير ، وترأس الاحتفال آغا خان الرابع ، وكان لكاتب هذه السطور شرف المساهمة بهذا الحفل الرائع العظيم . وتعتبر مذكرات (آغا خان الثالث) التي وضعها باللغة الانكليزية وترجمت الى جميع اللغات فتحاً جديداً في اسلوب المذكرات لما تضمنته من حقائق دامغة وحوادث شيقة .

ولي عهد الامامة الاسماعيلية الامير علي خان

اثر وفاة زوجة الامام سلطان محمد شاه الاولى ذهب الى اوروبا في مدينة (مونت كارلو) ليسري عن نفسه وهناك تعرف بالآنسة الايطالية (تريزا ماجليانو) وكانت في التاسع عشرة من عمرها ، وفي صيف

١٩٠٨ تزوج منها في مدينة (ميلانو) ودعاها الاسماعيليون بالمرأة المقدسة ، وفي الثالث عشر من حزيران ١٩١٠ ميلادية انجبت له الامير علي خان وكانت ولادته في مدينة تورين ، وقد أمضى طفولته مع والدته في سويسرا وايطاليا وفرنسا وفي عام ١٩٢٦ توفيت والدته في مدينة باريس اثر عملية جراحية .

تلقى الامير علي خان علومه على يد الاستاذ (ودنكتون) رئيس كلية (مايو) في أجير ، وهذه الكلية انشئت خصيصاً لتدريس أولاد الامراء الهنود ، وكان سموه مثلاً يقتدى به لما كان يتمتع فيه من خلق قويم ومسلك اجتماعي سليم وكان شغوفاً بالرياضة الى حد كبير ، ثم انتسب الى جامعة (اكسفورد) في انكلترا وتخرج منها بعد مضي اربع سنوات على انتسابه وحاز على شهادة (ماجستير) وسموه يحيد اللغة الانكليزية والفرنسية والايطالية والاسبانية والفارسية والاوردية اعادة نادرة ويعرف العربية والالمانية ، أصبح ولياً لعهد الامامة الاسماعيلية في التاسع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٢٧ ميلادية وجرت احتفالات عظيمة لهذه المناسبة عمت جميع البلدان الاسماعيلية ، وفي الثالث عشر من أيار تزوج السيدة الانكليزية (جوان بربارا يارد بولد) الابنة الكبرى للمليونير الانكليزي (شرستون) وقد زار وزوجته الهند في السنة التي أعقبت زواجه وحضر حفلة اليوبيل الفضي (لحيدر اباد) وزار تركيا ومصر وسوريا حيث تفقد شؤون أتباعه في تلك البلاد ، ثم ذهب إلى افريقيا حيث استقبلا استقبالاً حاراً من قبل الاسماعيلية ولقد اعجب سموه بنشاطهم وتقدمهم السريع في تلك البلاد الثانية ، أنجب ولدين كريم خان عام ١٩٣٦ م ، ومحمد أمين عام ١٩٣٧ م .

والأمير علي خان يتعشق الروح العسكرية ويحب المغامرات والرياضة

وإرضاء لملكه الفريزي هذا تطوع سنة ١٩٣٩ م ، في الفرقة الاجنبية بالجيش الفرنسي برتبة ملازم وحارب في خط ماجينو عام ١٩٣٩ م ، ثم عين مرافقاً للجنرال (ويغان) . ولما انهارت فرنسا انتقل الى الجيش البريطاني وبعد احتلال سوريا ولبنان من قبل القوات البريطانية والفرنسية الحرة عمل (كضابط ارتباط) بين الجيشين ثم حارب في ليبيا بصنفوف الجيش البريطاني وراح يتدرج في رتب الجيش حتى نال رتبة زعيم عام ١٩٤٥ م ، ومنحه الجيش الاميركي وساماً للخدمات التي اداها كضابط اتصال وقد أدى خدماته هذه بكل أمانة واخلاص ، ونال عدداً من الأوسمة الاميركية والبريطانية والفرنسية ، ومنح مؤخراً في فرنسا باحتفال رسمي أرفع وسام فرنسي وهو (جوقة الشرف) من درجة فارس ممتاز ، وعندما اصبح ولياً للعهد بدأ يحضر وينوب عن والده في كثير من الاحتفالات والمناسبات المختلفة واستفاد كثيراً من التجارب الزمنية فأصبح رجلاً عاملاً في جميع الحقول الحياتية .

وأوكل اليه والده مهام التنظيمات الاجتماعية والثقافية في جميع المناطق الاسماعيلية وبرهن عن نشاط وجد لا محدودين كما أظهر تفوقاً بارزاً في معالجة مختلف الشؤون التي تهم اتباعه ، ويمتاز بمبقرته الفذة وذكاؤه الحاد وببساطته المتناهية ، ويتمتع بحس رياضي رشيق شديد الجاذبية وهوايته المحببة السباحة والتزحلق على الجليد ، يؤمن بالديمقراطية إيماناً لا يتزعزع ويبشر بها .

تزوج في السابع والعشرين من أيار سنة ١٩٤٩ من السيدة (ريتا هيوارث) ورزق منها طفلة دعاها (ياسمين) وزواجه هذا شغل الصحافة العالمية أسابيع طويلة تبارت في نشر الريبورتاجات المصورة والمقالات الشيقة عن قصة زواجه .

قالت صحيفة لبنانية معروفة :

تقابلا في كان بفرنسا ويعود الفضل في ذلك إلى الصحيفة الاميركية الكبيرة (ايلسا ماكسويل) وتم التعارف في حفلة كان ضيف الشرف فيها الأمير علي خان وهما الآن يعيشان في قصر (الأفق) أجل قصور العالم وكان الأمير قد اشترى هذا القصر بنصف مليون جنيه من ورثة الممثلة المسرحية المشهورة (ماكسين اليوت) ومن أشهر الشخصيات التي سكنت هذا القصر قبل الحرب الثانية (ونستون تشرشل) الذي رسم فيه كثيراً من لوحاته .

وقالت إحدى المجلات الافرنسية :

شهدت اليوم قرية (فالوري) أروع حفلة زواج وبسطها ولقد تسابقت عدة قرى ومدن في منطقة الألب الساحلية جنوبي فرنسا ، ولكن قرية (فالوري) وحدها هي التي نالت هذا الشرف باعتبار ان خليج جوان الذي يقوم فيه قصر الافق حيث يسكن الأمير علي خان تابع لتلك القرية ولقد شهدت حفلة زواج الأمير علي خان كصحفي من الوف الصحفيين الذين قدموا فالوري واختلطوا بالقرويين في ساحاتها منذ ليلة أمس ، وقد أجرت جميع السطوح وحتى النوافذ المطلة على دار بلدية فالوري وتراكم الصحفيون والمصورون على سلم الدار ينعمون من التقدم حاجز من رجال الشرطة . الخ .

أعمال الأمير علي خان في السامية والحواري :

كانت زيارته الأولى للسامية والحواري عام ١٩٣١ فاستقبل استقبالاً لا مثيل له في مدينة السامية ، وبعد أن أطلع على حياة الاسماعيليين الاجتماعية والثقافية والاقتصادية أوعز ببناء بعض المؤسسات الثقافية ومنح اتباعه

كثيراً من الارشادات القيمة وأشرف بنفسه على اجراء تعديلات قيمة في مدرسة السلمية الزراعية ، ثم غادر السلمية الى الخوابي عن طريق مصياف - قدوموس حيث دشّن المدرسة الأهلية الكبرى في الخوابي (المدرسة المحمدية) .

ومنذ زيارته الأولى أصبح يهتم بشؤون الاسماعيليين السوريين اهتماماً كبيراً فيقدم لهم المساعدات والارشادات القيمة ويبذل جهده ليؤمن لهم جميع الوسائل الحديثة التي تساعد على التقدم والرفق ، وكانت النتيجة أن ازدهرت الحياة الاقتصادية في السلمية وكثر عدد المتعلمين فارسلت البعثات الى الخارج وأنشأت المؤسسات الحديثة ، وشيدت المدارس العديدة في السلمية وفي القرى التابعة لها ، وبنيت المساجد في جميع المناطق التابعة للسلمية كل هذا بفضل جهود وارشادات وتعاليم ولي عهد الامامة الاسماعيلية الامير علي خان وتعددت زيارته الى سوريا وأصبح لا يطيق البعد عنها فيأتيها ليتفقد شؤون أتباعه ومريديه من الاسماعيلية ويطلع بنفسه على التطور والتقدم الذي أصبح يعم جميع أفراد الطائفة . وعندما زار السلمية في الواحد من شهر نيسان عام ١٩٥١ م تمكن مؤلف هذا الكتاب من مقابلة سموه مرتين : الاولى في قصر الأمير مرزا الصيفي في السلمية ، والثانية في مدينة طرطوس بعد عودته من زيارة نهر الخوابي ، وفيما يلي الحديث الذي دار بيني وبين الامير علي خان حول عدة نواح دولية وطائفية :

س - هل تعتقدون يا صاحب السمو ان روسيا ستهاجم تركيا ، وهل في امكان تركيا الوقوف بوجهها ؟

ج - ان التفكير الذي حدا بالمانيا لمهاجمة روسيا يعود الآن ليدفع روسيا لمهاجمة تركيا ، إن العالم لا يعرف قوة تركيا وخاصة قوة طيرانها ،

بينما باستطاعة كل شخص أن يعرف كثيراً عن الجيوش العالمية عن طريق الصحف والمجلات التي تكثر الكثير بهذا الصدد ، أما الجيش التركي فكل شيء عنه مجهول ، وهو من خيرة الجيوش شجاعة ومعنوية اذا توفرت له الاسلحة والعدد الكافي من الرجال تمكن من الوقوف في وجه روسيا .

س - هل تعتقدون أن الحرب ستقع قريباً ؟

ج - أتمنى أن لا يحدث شيء من هذا ، فالروس قد لمسوا الآن ان هناك تسابقاً للتسلح ، والذي نخشاه ان تجر الحرب الاقتصادية إلى حرب فعلية ، واعتقد ان ميزانيات الدول الخيالية لا تستطيع دولة أن تتحملها لمدة طويلة ، ولهذا نجد الدول نفسها مجبرة على اعلان الحرب .

س - أهنك فرق بين سياسة هتلر وسياسة الولايات المتحدة ؟

ج - كانت سياسة هتلر تهدف إلى كسب الاراضي والتوسع الاستراتيجي ، واما السياسة الاميركية فهي قائمة على تأمين اسواقها الخارجية واستقرار اقتصادياتها وتنمية تجارتها .

س - ما هي التدابير الفعالة التي اتخذتموها لتحسين المستوى الاقتصادي للطائفة الاسماعيلية في سوريا .

ج - لقد عزمنا على رفع المستوى الاقتصادي للطائفة ، وخاصة بعد ان شعرنا بالتحسن الملموس الذي طرأ على انتاج الطائفة بصورة خاصة وعلى سوريا عامة ، وقد استقدمنا بعثة من كبار اصحاب رؤوس الاموال الاسماعيلية في العالم إلى سوريا لانشاء روابط اقتصادية فعالة عن طريق المساعدات المالية لشراء المعامل الحديثة وتأسيس محالج القطن .

س - ما هو رأيكم بالناحية الاجتماعية للطائفة وهل تدعمون المرأة في الحصول على حقوقها الكاملة ؟

ج - شعرت بتحسين ملموس في جميع النواحي الاجتماعية ، وامرت باتخاذ الترتيبات لرفع مستوى هذه الناحية الهامة بأقرب وقت ممكن ، وسررت جداً بتقديم المرأة الاسماعيلية ، وخاصة بعد أن شرعت أغلب سيدات الطائفة بنزع الحجاب ، ونزلن إلى معترك الحياة جنباً إلى جنب مع الرجل ، وأنا ادعم بكل قواي حقوق المرأة ، وأتمنى ان تحصل المرأة العربية على كامل حقوقها بأقرب وقت ممكن لتلحق بموكب التطور والرقى .

س - ما هو شعوركم نحو الطائفة الدرزية ؟

ج - هذا لا يحتاج الى سؤال لأن علاقتنا مع الدروز أسمى من المواطف والمشاعر فهي علاقات روحية باطنية ، والطائفتان كانتا ولا زالتا تشكلان وحدة كاملة في جميع نواحي الحياة وانني سأعمل على توطيد هذه العلاقات من جديد ، ولقد اتخذت جميع الترتيبات لأجل توثيق عرى المودة والأخوة ، وسأنقل المشاريع الاصلاحية إلى الجبل فور انتهاء الاصلاحات بالسلمية وأتمنى أن يتحقق ذلك قريباً .

بعض التعاليم والارشادات التي كان يزود بها الاسماعيلية في سوريا قدم الأمير علي خان إلى السلمية في الثالث من شهر أيار سنة ١٩٤٢ م. ولبيت فيها عدة أيام أشرف بنفسه على التنظيمات والترتيبات التي جرت حسب تعليمات وارشادات حاضر إمام ومما قاله الأمير علي خان المناء وجوده في السلمية :

أبنائي الروحيين في سوريا :

لا أستطيع أن أصف لكم سروري بهذا اليوم المشهود الذي استقبلتموني فيه ، ثقوا بانني كنت خلال هذه المدة التي قضيتها بعيداً عنكم دائم التفكير في أحوالكم ، وكأنت أفكاري دوماً معكم ، وقلبي وإن كان بعيداً

عنكم فهو بينكم ، وكل ما أسمى اليه الآن وأعمل من أجله هو أن أبعد مصائب الحرب وشرورها عن بلادكم بعد أن أصابت جميع البلدان في العالم . وسيكون النصر حتماً بجانب الحلفاء .

ان الشعب الاسماعيلي ذو ماض مجيد وكرامة عظيمة فيجب عليكم أن تحافظوا على هذه المزايا وتعيشوا كرماء أعزاء شرفاء ، وبذلك تتوصلوا إلى ما توصل إليه آباؤكم واجدادكم العظماء الذين سطوروا بدمائهم الذكية على صفحات التاريخ البطولات والشجاعة والتضحية بأحرف من نور .

علموا أولادكم جميعاً ، لا فرق بين الانثى والذكر ، ولا تهملوا تعليم البنات أمهات المستقبل ، ان والدي حاضر إمام يمنحكم بركاته الروحية الحبية .

وزار سوريا أيضاً في الرابع من شهر نيسان سنة ١٩٤٨ م . موفداً من قبل حاضر إمام ليشرف على شؤون أتباعه الاسماعيليين في منطقة السلمية والحراي ، ولقد استقبل استقبالاً حافلاً ، وما كاد يصل القصر المعد لسكناه حتى أطل من الشرفة على الجماهير المحتشدة وخاطبهم قائلاً :
أبنائي الروحيين :

لقد أوفدني والدي حاضر إمام نحو بلادكم وأمرني أن أقدم اليكم بركاته الروحية ، وسأذهب خلال زيارتي هذه لمشاهدة أولادي الاسماعيليين القاطنين في كافة القرى والساكنين ، انني أشعر الآن وأنا بينكم بالغبطة والسرور بملآن قلبي خاصة بعد أن غبت عنكم هذه المدة الطويلة .

اتحدوا واعملوا يداً واحدة فتصبحوا سعداء في الدارين ، ان والدي سيرسل اليكم إرشاداته وتعاليمه .

وفي اليوم الثاني خاطب الجمع المحتشدة قائلاً :

جئت هذه البلاد حاملاً لكم حب وبركات أبينا الروحي ، وأنا بدوري أتمنى لكم حياة سعيدة ومستقبلاً عظيماً . وسأعمل على إزالة كافة الصعوبات التي تعترض طريق تقدمكم ورقيتكم ، وسأغتنم كل فرصة لأعمل خلالها على رفع مستواكم المادي والمعنوي وجلب المنفعة لكم ، فانبذوا كل حقد وضعينة من قلوبكم ، وسأعمل على تقوية مواردكم المادية ، اذ على المادة يتوقف المستقبل كما يتوقف على الروح .
أبنائي ..

وحدوا صفوفكم ولا تدعوا التفرقة تسيطر على مجتمعكم ، لأن التفرقة اذا سيطرت على قوم فرقت كلمتهم ومزقت شملهم وعمهم البلاء والدمار والالقراض ، ابعدوا عنكم عناصر الشر والفساد وعاملوا بعضكم بالحب والاخلاص ، وعليكم باطاعة رؤسائكم إطاعة عمياء .
وأذكركم بأن الحرب قد انتهت ، ولكن الحرب تترك عادة خلفها صعوبات ومحن ، لذا جئت لأقف حائلاً أمام كل عقبة تعترض طريق تقدمكم وازدهاركم وسعادتكم ، ولا تتم لكم هذه السعادة الا اذا واطبتم على العبادة وتسكتم بتعاليمنا الدينية واطعتم أوامرنا واحببتم بعضكم ، واذا نال أحدكم شراً من أخيه فليصفح عنه ، والآن ابلغكم بركات والدي الروحية متمنياً لكم كل هناء وسعادة .

وفي السابع من شهر نيسان ترأس اجتماعاً ضم عموم موظفي المساجد في منطقة السمية وزودهم بالتعاليم والارشادات التالية :
أخاطبكم بصفتمكم موظفين ، وفي كل قرية الموظف يعتبر ممثلاً لحاضر امام ، فأتأمل منكم ان تكونوا متفاهمين مع بعض ومتحدين واعلموا بأن والدي لم يشأ ان يرسل وزيراً أو وكيلاً أو موظفاً كبيراً بل ارسلني بصفتي ولده الأكبر وولي عهده لأبلغكم بأن المنحة التي وهبكم إياها

وهي (وارداته لمدة عشر سنوات) لم يسبق ان نالها أحد غيركم ، وانتم أول من استفاد منها ويأمل والدي بأن تصرف هذه الهبة لخدمة المصلحة العامة ولا يصرف قرش بغير محله ، وبما ان بلادكم زراعية بالدرجة الأولى ، يجب عليكم ان تقوا الزراعة لتزداد الواردات وان لا تبيعوا حاصلاتكم الا بالوقت المناسب ، عليكم أن تنفقوا تلك المنحة على ثلاثة أوجه :

١ - على المساجد . ٢ - على المدارس . ٣ - لتقوية المرافق الزراعية كشراء الجرارات والحصادات وغيرها من الآلات الزراعية الحديثة .

وكل ما أرجوه أن تنفق تلك الاموال لمنفعة هذه البقعة الطيبة ولتحسين احوالها الاقتصادية والثقافية والزراعية والدينية ، ولي كلمة أخيرة أوصيكم بها وهي ان لا تبيعوا الأرض التي تملكونها واحفظوها ولا تبقوها جرداء واغرسوها بالزيتون والتين . وحاضر امام يأمركم بأن تزوجوا أبناءكم في السن المبكرة حرصاً على الصحة العامة وأعلمكم بأن المرید الحقيقي هو من أطاع أوامره وأدى واجباته على خير ما يرام وكل من خالف هذه الأوامر يعد نفسه من المذهب الاسماعيلي براء في الدنيا والآخرة والسلام .

وبرز علي خان في الأوساط الدولية العالمية كسياسي عظيم ، وخطيب مفوه قوي الحججة عندما أصبح المندوب الدائم لدولة الباكستان الاسلامية في هيئة الامم المتحدة . وقد تبنى الدفاع عن القضايا العربية ومشاكل الشعوب الملونة ، وكانت مواقفه هذه مشرفة للباكستان ، كما اكسبته شهرة واسعة أدخلته في قلب كل الذين عرفوه . وظل يشغل هذا المنصب حتى توفي في باريس يوم الخميس في الثاني عشر من أيار سنة ١٩٦٠ ميلادية الموافق الخامس عشر من ذي القعدة سنة ١٣٨٠ هجرية بحادث اصطدام سيارته التي كان يقودها بنفسه . ودفن جثمانه مؤقتاً في قصره الخاص في (نويلي) بفرنسا ريثما يتم نقله الى مقره الاخير في سلمية سوريا لتنفيذاً لوصيته .

كريم بن علي بن محمد

(آغا خان الرابع)

ما كادت صحف العالم واذاعاتها تردد نبأ وفاة (آغا خان الثالث) سلطان محمد شاه الحسيني في سويسرا حتى توجه زعماء الاسماعيلية من مختلف أنحاء العالم إلى مقر (الآغا خان) في قصر بركان حيث حضروا فتح وصية الامام الراحل التي كانت مودعة في بنك (لويدز) في بريطانيا وجاء بالوصية ما يلي :

« نظراً للظروف التي تغيرت تغيراً أساسياً في العالم ، في السنوات الأخيرة ، ونظراً للتغيرات الكبرى التي وقعت ، ومن بينها اكتشاف العلوم الذرية ، فاني على يقين أن مصلحة الطائفة الاسماعيلية تقتضي أن يخلفني شاب نشأ وترعرع في السنوات الأخيرة وسط هذا العصر الحديث ، وأن تكون له نظرة جديدة للحياة عند تولي زعامة الطائفة الاسماعيلية ، لذلك : أختار حفيدي « كريم » ليكون خليفة لي ، وزعيماً للطائفة من بعدي . » .

وإستناداً إلى هذه الوصية أعلنت إمامة كريم بن علي شاه الحسيني ولقب (بآغا خان الرابع) روجه إلى عموم الاسماعيلية في العالم البرقية التالية :

عن جنيف في ١٤/٧/١٩٥٧ إلى مراكز الاسماعيلية في جميع أنحاء العالم .
بمناسبة تسلمي الإمامة المقدسة ، بموجب إرادة جدّي المطلقة الجديرة بالذكرى والاحترام ، أرسل بركاتي الأبوية ، والأمومية لجميع أبنائي الروحانيين الأعزاء في كافة أنحاء العالم .

آغا خان الرابع

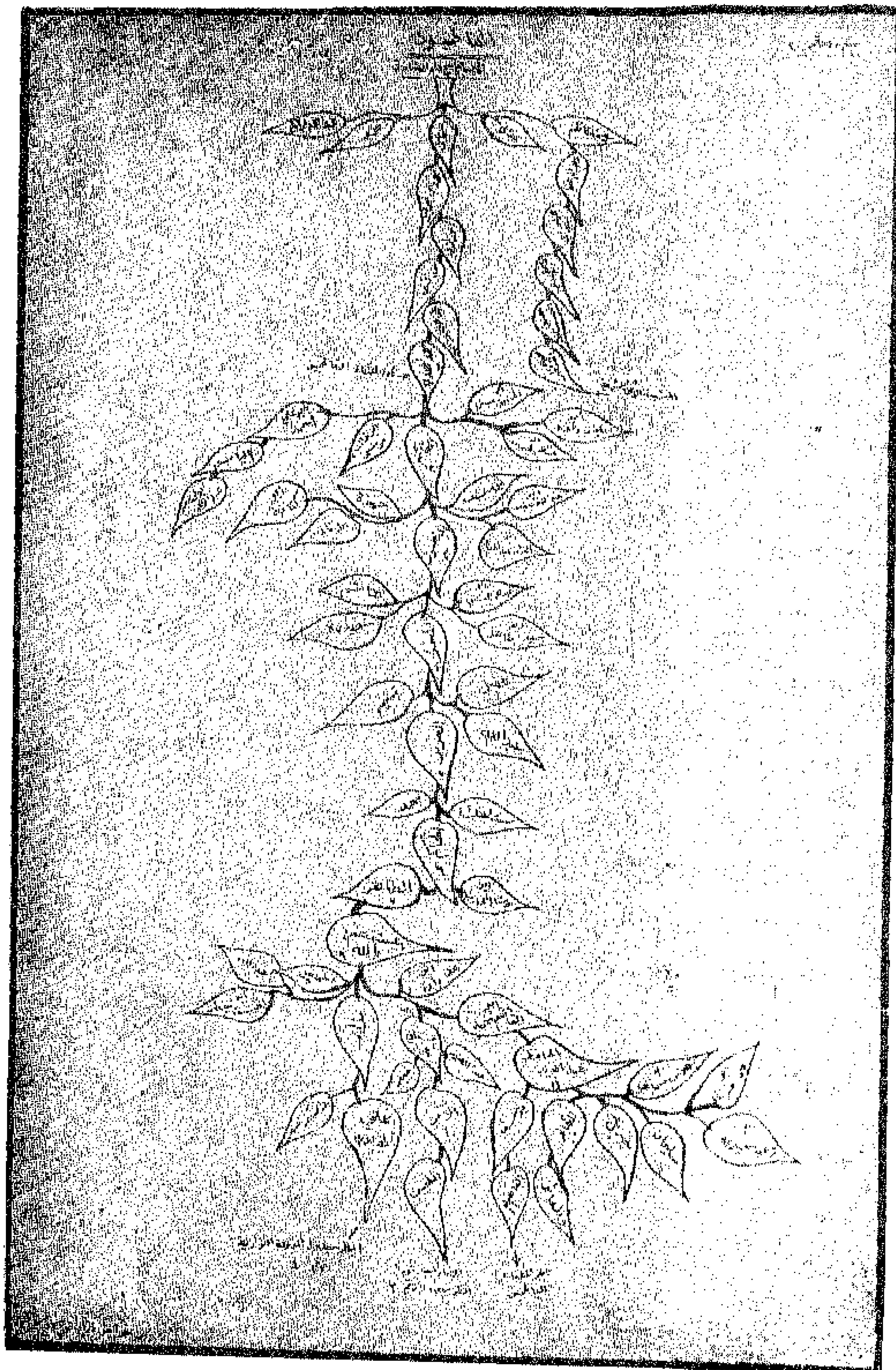
كانت ولادة كريم بن علي بن محمد الحسيني (آغا خان الرابع) في ١٣ كانون الأول سنة ١٩٣٦ ميلادية في مدينة جنيف بسويسرا ، أمه الأميرة البريطانية (جون بربارا يولد) ابنة اللورد تشارستون . تلقى علومه الأولية في مدارس سويسرا ، فأتقن الانكليزية والإفريقية والاسبانية ، كما درس اللغة العربية وأخذ يتكلمها وهو في العاشرة من عمره ، أظهر تفوقاً بالرياضيات ، وبعد أن أكمل تحصيله في سويسرا انتسب إلى جامعة (هارفرد الأميركية) .

عرف بين أقرانه بالذكاء الحاد والنشاط في جميع الحقول ، اشترك في كافة فرق الجامعة الرياضية ، كثير المطالعة ويقول رفاقه في الجامعة ان باستطاعته ان يمسك كتابين : انكليزياً وفرنسياً وان يقرأهما معاً . وعرف كذلك انه محظوظ جداً وذلك لنجاته مرتين من حادثتي اصطدام مروعتين . الأولى عندما انفجر يخته في سان توريز ، والثانية بحادث اصطدام سيارته في باريس ، واستناداً إلى وصية جده (آغا خان الثالث) تولى الإمامة في ١٤/٧/١٩٥٧ وكما جرت العادة لدى تنصيب كل إمام جديد

قام بحولته لأخذ البيعة من الأتباع ولإقامة مراسيم تنصيبه ، فأقيمت له اول حفلة تنصيب في دار السلام في (تنكا نيك) في ١٩ تشرين الثاني عام ١٩٥٧ ، وفي نيروبي عاصمة (كينيا) في ٢٢ منه وفي كيبالا عاصمة اوغندا في ٢٥ منه ، وقد شهد هذه الاحتفالات مندوبون عن الطائفة من جميع أنحاء العالم . وكذلك احتفل بتنصيبه في كراتشي عاصمة الباكستان في ٢٣ شباط سنة ١٩٥٨ ميلادية ، وفي (دكا) عاصمة باكستان الشرقية في ١٢ منه ، وفي ٣٠ تموز عام ١٩٥٩ زار سورية واحتفل بتنصيبه حسب الاصول المتبعة لدى الطائفة الاسماعيلية

ولقد تمخض عن زيارة (آغا خان الرابع) لسورية اجراء تعديلات جذرية في تنظيمات الدعوة وأجهزتها ، وأعلن عن تبرعه ببعض المساعدات المادية لتنشيط العلم ، وإيفاد البعثات الطلابية على نفقته الخاصة للدراسة في الخارج ، كما وضع بعض الأموال باسم بنك أهلي لمساعدة المزارعين والتجار . وقبرع بمائة الف ليرة سورية للجامعة السورية بدمشق ولبعض المشاريع الخيرية بمبالغ اخرى .

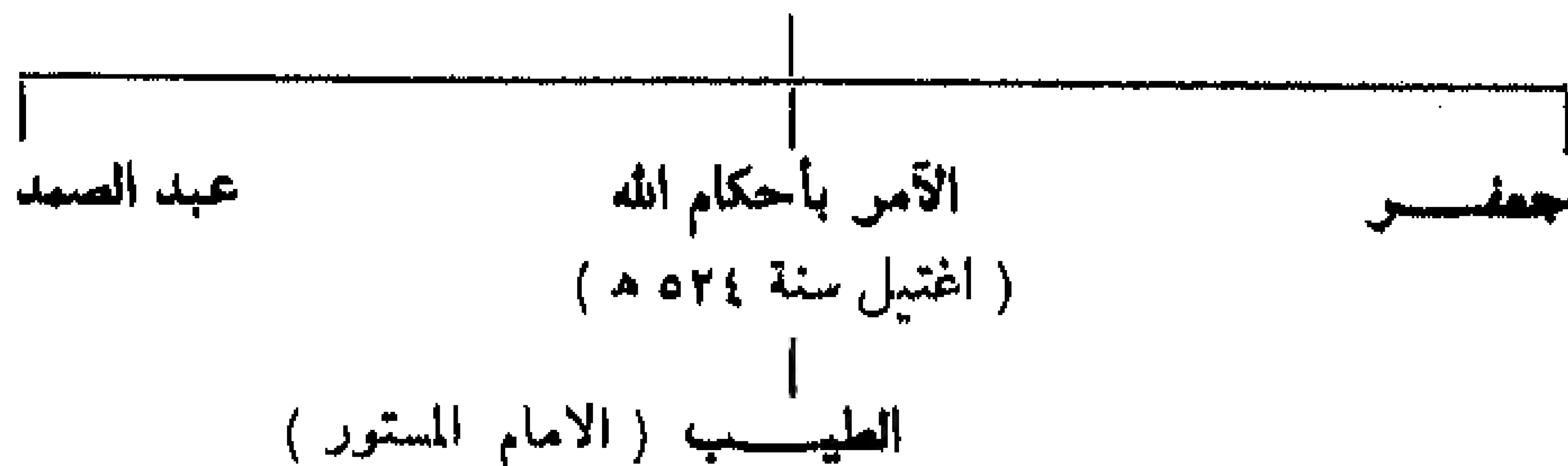
ولنا وطيد الأمل بأن تبلغ الطائفة الاسماعيلية في عهد الامام الحاضر أسمى درجات الرقي والتمدن والازدهار .



جدول رقم (٣)

الاسماعيلية المستعلية

احمد المستعلي بن المستنصر بالله (ت سنة ٥٤٩٥ هـ)



دعاة الاسماعيلية المستعلية المطلقين

الرقم	اسم الداعي المطلق	الاستلام هجري	الاستلام ميلادي	الرقم	اسم الداعي المطلق	الاستلام هجري	الاستلام ميلادي
١	ذؤيب بن موسى	٥٤٦	١٣٥٤	١٤	عبد المطلب	٧٥٥	١٣٥٤
٢	ابراهيم بن حسين	٥٥٧	١٣٧٨	١٥	عباس بن محمد	٧٧٩	١٣٧٨
٣	حاتم بن ابراهيم	٥٩٦	١٤٠٧	١٦	عبد الله بن علي	٨٠٩	١٤٠٧
٤	علي بن حاتم	٦٠٥	١٤١٨	١٧	حسن بن عبد الله	٨٢١	١٤١٨
٥	علي بن محمد	٦١٢	١٤٢٨	١٨	علي بن عبد الله	٨٣٢	١٤٢٨
٦	علي بن حنظلة	٦٢٦	١٤٦٨	١٩	ادريس بن حسن	٨٧٢	١٤٦٨
٧	احمد بن المبارك	٦٢٧	١٥١٢	٢٠	حسن بن ادريس	٩١٨	١٥١٢
٨	حسين بن علي	٦٦٧	١٥٢٧	٢١	حسين بن ادريس	٩٣٣	١٥٢٧
٩	علي بن حسين بن علي	٦٨٢	١٥٢٧	٢٢	علي بن حسين	٩٣٣	١٥٢٧
١٠	علي بن حسين	٦٨٦	١٥٣٩	٢٣	محمد بن حسن	٩٤٦	١٥٣٩
١١	ابراهيم بن حسين	٧٢٨	١٥٦٧	٢٤	يوسف بن سليمان	٩٧٤	١٥٦٧
١٢	محمد بن حاتم	٧٢٩	١٥٦٧	٢٥	جلال بن حسن	٩٧٥	١٥٦٧
١٣	علي بن ابراهيم	٧٤٦	١٥٩١	٢٦	داهود بن أجب	٩٩٩	١٥٩١

البهرة الداهودية

البهرة السليمانية

٢٧	سليمان بن حسن	١٠٠٥	١٥٩٧	٢٧	داهود برهان الدين	١٠٢١	١٦١٢
----	---------------	------	------	----	-------------------	------	------

١٦٢١	١٠٣٠	٢٨	شيخ آدم سيف الدين	١٦٤٠	١٠٥٠	٢٨	جعفر بن سليمان
١٦٣١	١٠٤١	٢٩	عبد الطيب زكي الدين	١٦٧٧	١٠٨٨	٢٩	علي بن سليمان
١٦٣٢	١٠٤٢	٣٠	علي شمس الدين	١٦٨٣	١٠٩٤	٣٠	ابراهيم بن محمد
١٦٤٤	١٠٥٤	٣١	قاسم زين الدين	١٦٩٧	١١٠٩	٣١	محمد بن اسماعيل
١٦٤٦	١٠٥٦	٣٢	قطب خان قطب الدين	١٧٤٧	١١٦٠	٣٢	هبة الله بن ابراهيم
١٦٥٥	١٠٦٥	٣٣	بيرخان سوجا الدين	١٧٧٠	١١٨٤	٣٣	اسماعيل بن هبة الله
١٦٧٤	١٠٨٥	٣٤	اسماعيل بدر الدين	١٧٧٥	١١٨٩	٣٤	حسن بن هبة الله
١٦٩٩	١١١٠	٣٥	عبد الطيب زكي الدين	١٧٨١	١١٩٥	٣٥	عبد العلي
١٧١٠	١١٢٢	٣٦	موسى كليم الدين	١٨١٠	١٢٢٥	٣٦	عبد الله بن علي
١٧١٨	١١٣٠	٣٧	نور محمد نور الدين	١٨١٩	١٢٣٤	٣٧	يوسف بن علي
١٧٣٧	١١٥٠	٣٨	اسماعيل بدر الدين	١٨٢٦	١٢٤١	٣٨	حسين بن حسين
١٧٥٤	١١٦٨	٣٩	ابراهيم وجيه الدين	١٨٤٠	١٢٥٦	٣٩	اسماعيل بن محمد
١٧٧٩	١١٩٣	٤٠	هبة الله المؤيد في الدين	١٨٤٦	١٢٦٢	٤٠	حسن بن محمد
١٧٨٥	١٢٠٠	٤١	عبد الطيب زكي الدين	١٨٧٢	١٢٨٩	٤١	حسن بن اسماعيل
١٧٩٨	١٢١٣	٤٢	يوسف نجم الدين	١٨٨٩	١٣٠٦	٤٢	احمد بن اسماعيل
١٨١٧	١٢٣٢	٤٣	عبد علي سيف الدين	١٩٠٥	١٣٢٣	٤٣	عبد الله بن علي
١٨٢١	١٢٣٦	٤٤	محمد عز الدين	١٩١٣	١٣٣١	٤٤	علي بن هبة الله
١٨٣٧	١٢٥٢	٤٥	طيب زين الدين	١٩٣٦	١٣٥٥	٤٥	علي بن محسن
١٨٤٠	١٢٥٦	٤٦	محمد بدر الدين	١٩٣٨	١٣٥٧	٤٦	غلام حسين
١٨٨٥	١٣٠٢	٤٧	عبد القادر نجم الدين	١٩٣٩	١٣٥٨	٤٧	حسين بن احمد
١٨٩١	١٣٠٨	٤٨	عبد الحسين حسام الدين	٤٨	علي بن حسين
١٩٠٦	١٣٢٣	٤٩	محمد برهان الدين				
١٩١٥	١٣٣٣	٥٠	عبد الله بدر الدين				
.....	٥١	طاهر سيف الدين				

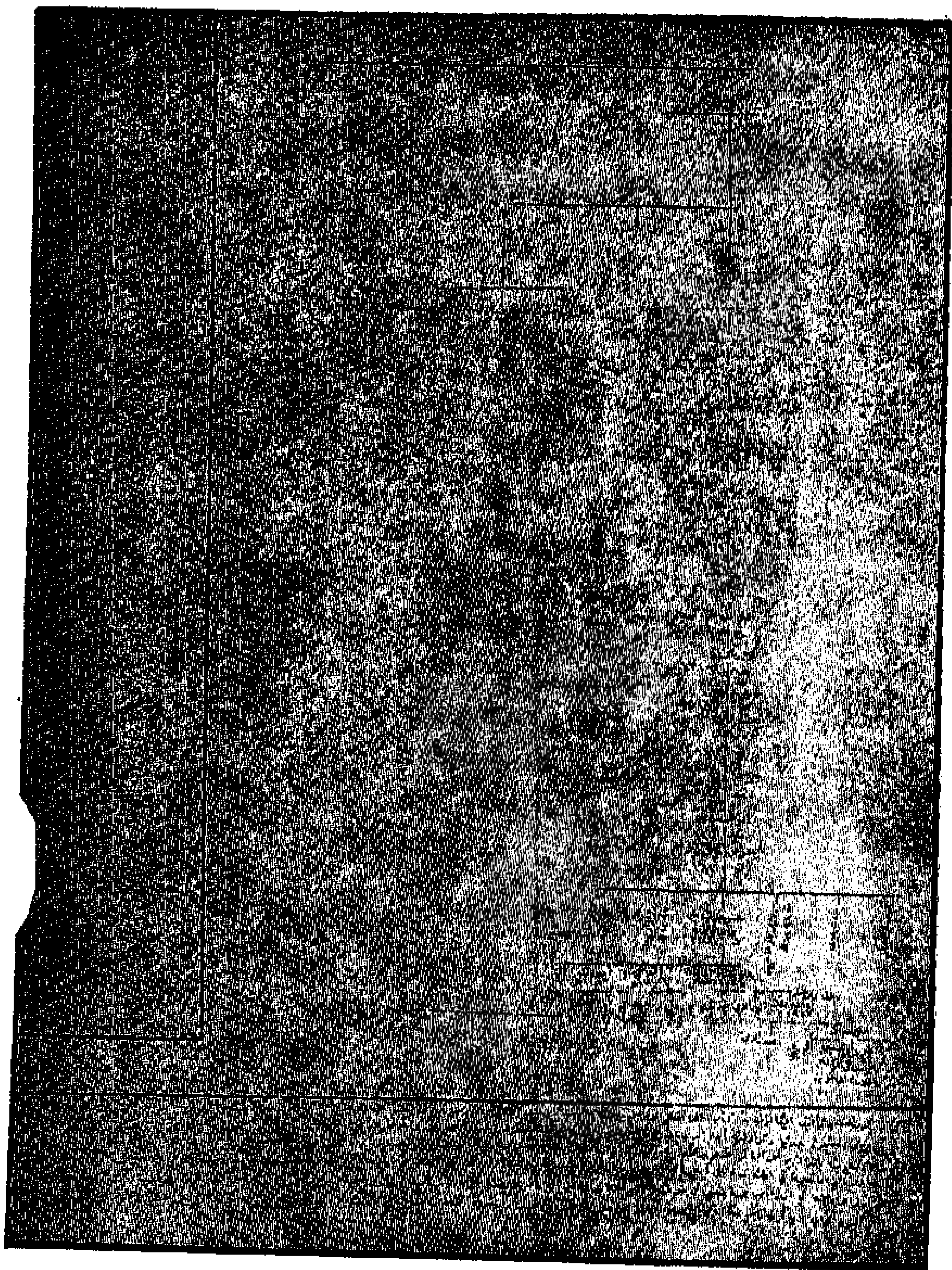
جدول رقم (٤)

الأئمة الاسماعيلية النزارية الآخائية

الرقم	الاسم والشهرة	سنة هجرية	سنة ميلادية	سنة هجرية	سنة ميلادية	تاريخ استلام الامامة	تاريخ الوفاة	مدة
١	علي بن ابي طالب	١١	٦٣٨	٤٠	٦٦٧	٢٩		
٢	الحسين بن علي بن ابي طالب	٤٠	٦٦٧	٦١	٦٨٨	٢١		
٣	علي زين العابدين بن الحسين	٦١	٦٨٨	٩٤	٧٢١	٣٣		
٤	محمد الباقر بن علي زين العابدين	٩٤	٧٢١	١١٤	٧٤١	٢٠		
٥	جعفر الصادق بن محمد الباقر	١١٤	٧٤١	١٤٨	٧٧٥	٣٤		
٦	اسماعيل بن جعفر الصادق	١٤٨	٧٧٥	١٥٨	٧٨٥	١٠		
٧	محمد بن اسماعيل بن جعفر	١٥٨	٧٨٥	١٩٧	٨٢٤	٣٩		
٨	عبد الله بن محمد بن اسماعيل	١٩٧	٨٢٤	٢١٢	٨٣٩	١٥		
	(احمد الوفي)							
٩	احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل	٢١٢	٨٣٩	٢٢٥	٨٥٢	١٣		
	(محمد التقى)							
١٠	الحسين بن احمد بن عبد الله	٢٢٥	٨٥٢	٢٦١	٨٨٨	٣٦		
	(عبد الله الرضي)							
١١	عبيد الله بن الحسين	٢٦١	٨٨٨	٣٢٢	٩٤٩	٦١		
	(محمد المهدي)							
١٢	محمد بن عبيد الله المهدي	٣٢٢	٩٣٤	٣٣٤	٩٤٥	١١		
	(القائم بأمر الله)							
١٣	اسماعيل بن محمد القائم	٣٣٤	٩٤٥	٣٤١	٩٥٢	٧		
	(المنصور بالله)							
١٤	معد بن اسماعيل المنصور	٣٤١	٩٥٢	٣٦٥	٩٧٥	٢٣		
	(المعز لدين الله)							

٢١	٩٩٦	٣٨٦	٩٧٥	٣٦٥	١٥ نزار بن معد المعز (العزيز بالله)
٢٤	١٠٢٠	٤١١	٩٩٦	٣٨٦	١٦ ابو علي منصور بن نزار (الحاكم بأمر الله)
١٥	١٠٣٥	٤٢٧	١٠٢٠	٤١١	١٧ ابو حسن علي بن منصور (الظاهر لاعزاز دين الله)
٦٠	١٠٩٤	٤٨٧	١٠٣٥	٤٢٧	١٨ معد ابو تميم (المستنصر بالله)
٣	١٠٩٧	٤٩٠	١٠٩٤	٤٨٧	١٩ نزار بن المستنصر بالله (المصطفى بالله)
٤٠	١١٣٧	٥٣٠	١٠٩٧	٤٩٠	٢٠ علي بن نزار بن المستنصر (الهادي)
٢٢	١١٥٩	٥٥٢	١١٣٧	٥٣٠	٢١ محمد بن علي بن نزار (المهدي)
٥	١١٦٤	٥٥٧	١١٥٩	٥٥٢	٢٢ حسن بن محمد بن علي (القاهر)
٤	١١٦٨	٥٦١	١١٦٤	٥٥٧	٢٣ حسن بن حسن بن محمد (علي ذكره السلام)
٤٦	١٢١٤	٦٠٧	١١٦٨	٥٦١	٢٤ محمد بن حسن بن حسن (أعلا محمد)
١١	١٢٢٥	٦١٨	١٢١٤	٦٠٧	٢٥ حسن بن محمد بن حسن (جلال الدين حسن)
٣٥	١٢٦٠	٦٥٣	١٢٢٥	٦١٨	٢٦ علاء الدين محمد بن جلال الدين
١	١٢٦١	٦٥٤	١٢٦٠	٦٥٣	٢٧ ركن الدين خير و شاه بن علاء الدين محمد
٥٦	١٣١٧	٧١٠	١٢٦١	٦٥٤	٢٨ شمس الدين محمد بن ركن الدين (خير و شاه)
٦١	١٣٨٧	٧٧١	١٣١٧	٧١٠	٢٩ قاسم شاه بن شمس الدين محمد
٥٦	١٤٣٤	٨٢٧	١٣٨٧	٧٧١	٣٠ اسلام شاه بن قاسم شاه
٤١	١٤٧٥	٧٦٨	١٤٣٤	٨٢٧	٣١ محمد بن اسلام شاه بن قاسم شاه
١٢	١٤٨٧	٨٨٠	١٤٧٥	٧٦٨	٣٢ المستنصر بالله الثاني بن محمد بن اسلام
١٩	١٥٠٦	٨٩٩	١٤٨٧	٨٨٠	٣٣ عبد السلام شاه بن المستنصر بالله الثاني
٣	١٥٠٩	٩٠٢	١٥٠٦	٨٩٩	٣٤ غريب ميرزا بن عبد السلام شاه

۳۵	ابو الذر علي بن غريب ميرزا	۹۰۲	۱۵۰۹	۹۱۵	۱۵۲۲	۱۳
۳۶	مراد ميرزا بن ابو الذر علي	۹۱۵	۱۵۲۲	۹۲۰	۱۵۲۷	۵
۳۷	ذو الفقار علي بن مراد ميرزا	۹۲۰	۱۵۲۷	۹۲۲	۱۵۲۹	۲
۳۸	نور الدين علي بن ذو الفقار علي	۹۲۲	۱۵۲۹	۹۵۷	۱۵۶۴	۳۵
۳۹	خليل الله علي بن نور الدين علي	۹۵۷	۱۵۶۴	۹۹۳	۱۶۰۰	۳۶
۴۰	تزار الثاني بن خليل الله علي	۹۹۳	۱۶۰۰	۱۰۳۸	۱۶۴۵	۴۵
۴۱	سيد علي بن تزار الثاني	۱۰۳۸	۱۶۴۵	۱۰۷۱	۱۶۷۸	۳۳
۴۲	حسن علي بن سيد علي	۱۰۷۱	۱۶۷۸	۱۱۰۶	۱۷۱۳	۳۵
۴۳	قاسم علي بن حسن علي	۱۱۰۶	۱۷۱۳	۱۱۴۳	۱۷۵۰	۳۵
۴۴	ابو الحسن علي بن قاسم علي	۱۱۴۳	۱۷۵۰	۱۱۹۴	۱۸۰۱	۵۰
۴۵	خليل الله علي بن ابو الحسن علي	۱۱۹۴	۱۸۰۱	۱۲۳۳	۱۸۴۰	۳۷
۴۶	حسن علي شاه (آغا خان الاول)	۱۲۳۳	۱۸۴۰	۱۲۹۸	۱۸۸۱	۶۴
۴۷	علي شاه بن حسن علي (آغا خان الثاني)	۱۲۹۸	۱۸۸۱	۱۳۰۲	۱۸۸۵	۴
۴۸	سلطان محمد شاه علي (آغا خان الثالث)	۱۳۰۲	۱۸۸۵	۱۳۷۴	۱۹۵۷	۷۲
۴۹	كريم شاه علي (آغا خان الرابع)	۱۳۷۴	۱۹۵۷			



جدول رقم (٦)

الذين حملوا لقب (بير)

بالنسبة للأسمايلية الأغاخانية

الرقم	اسم حامل اللقب	الرقم	اسم حامل اللقب
١	بير نبي محمد المصطفى	٢٣	صدر الدين
٢	بير امام حسن	٢٤	حسن كبير الدين
٣	بير قاسم شاه	٢٥	تاج الدين
٤	بير احمد علي	٢٦	بير بانديا ديجار انماردي
٥	بير ستكور نور	٢٧	حيدر
٦	امام الدين	٢٨	علاء الدين
٧	محمد منصور	٢٩	قاسم شاه
٨	غالب الدين	٣٠	نصر محمد
٩	عبد العزيز	٣١	دادر
١٠	مستنصر بالله	٣٢	آغا حسن شاه
١١	احمد هادي	٣٣	محمد
١٢	قاسم شاه	٣٤	آغا عزيز
١٣	بير محمد	٣٥	مهراب بيخ
١٤	محمود	٣٦	آغا علي أكبر
١٥	محب الدين	٣٧	آغا علي أصغر
١٦	خليل الدين	٣٨	حسن علي
١٧	عبد المؤمنين	٣٩	عبد القاسم علي
١٨	اسلام الدين	٤٠	ابو الحسن علي
١٩	صلاح الدين	٤١	بيبي فاطمة
٢٠	شمس الدين	٤٢	آغا علي شاه
٢١	ناصر الدين	٤٣	آغا محمد سلطان
٢٢	صاحب الدين		

فهرست

الصفحة		الصفحة
٣		مقدمة الطبعة الثانية
١٣		مقدمة الطبعة الاولى
٢٥		الدعوة الاسماعيلية وتنظيماتها
٣٨		عقائد الاسماعيلية
٥٨		الائمة الاسماعيلية
٧٧		الامام علي بن أبي طالب
٨٩		الامام الحسين بن علي
١٠٧		الامام علي زين العابدين
١١٤		الامام محمد الباقر
١١٨		الامام جعفر الصادق
١٢٣		الامام اسماعيل بن جعفر
١٣٠		الامام محمد بن اسماعيل
١٤٨		الامام الوفي أحمد
١٥٢		الامام احمد بن عبد الله
١٥٥		(محمد التقي) الامام الحسين بن أحمد
١٥٨		(عبد الله الرضى) الامام عبيد الله المهدي
١٧٠		الامام القائم بأمر الله
١٧٥		الامام المنصور
١٧٧		الامام المعز لدين الله
٢١٥		الامام العزيز
٢٢١		الامام الحاكم بأمر الله
٢٣١		الامام الظاهر لاعزاز دين الله
٢٣٣		الامام المستنصر بالله
٢٣٩		الامام المصطفى بالله نزار
٢٤٥		الامام علي الهادي
٢٥٢		الامام محمد المهدي
٢٥٥		رسالة محمد المهدي
٢٥٨		الامام حسن بن محمد
٢٦١		الامام الحسن علي
٢٦٣		الامام آعلا محمد
٢٧٠		الامام جلال الدين حسن
٢٧٢		الامام علاء الدين محمد
٢٧٥		الامام ركن الدين
٢٧٧		الامام شمس الدين
٢٨٠		الامام قاسم شاه
٢٨٣		الامام اسلام شاه
٢٨٥		الامام محمد بن اسلام شاه
٢٨٧		الامام المستنصر (ثاني)
٢٩٠		الامام عبد السلام
٢٩٢		الامام غريب مرزا
٢٩٤		الامام ابو الذر علي
٢٩٥		الامام مراد ميرزا
٢٩٨		الامام ذو الفقار علي

الصفحة		الصفحة
٣٠١	الامام نور الدين شاه	٣١٩
٣٠٣	الامام خليل الله علي	٣٢١
٣٠٦	الامام شاه نزار	٣٢٥
٣٠٩	الامام شاه سيد علي	٣٢٨
٣١٢	الامام حسن علي	
٣١٥	الامام قاسم علي	٣٨٨
٣١٧	الامام ابو الحسن علي	آغا خان الرابع

[illegible][illegible]





مركز الأناجيل
للطباعة والنشر والتوزيع

١٥٠٠٠